" لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية !"

العددان 11 و 12

ناظم الماوي

حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد حزب ماركسي مزيّف

إنّنا نؤكّد بأنّ الماوية مرحلة جديدة فى تطور الماركسية – اللينينية و بدون الدفاع عن الماركسية - اللينينية - الماوية و بدون البناء على هذه القاعدة يستحيل الإنتصار على التحريفية و الإمبريالية و الرجعية عموما.

(" بيان الحركة الأممية الثورية " لسنة 1984).

" و سيكون واجب القادة على وجه الخصوص أن يثقفوا أنفسهم أكثر فأكثر فى جميع المسائل النظرية و أن يتخلصوا أكثر فأكثر من تأثير العبارات التقليدية المستعارة من المفهوم القديم عن العالم و أن يأخذوا أبدا بعين الاعتبار أن الاشتراكية ، مذ غدت علما ، تتطلب أن تعامل كما يعامل العلم ، أي تتطلب أن تدرس و الوعي الذى يكتسب بهذا الشكل و يزداد وضوحا ، ينبغى أن ينشر بين جماهير العمال بهمة مضاعفة أبدا..."

(انجلز ، ذكره لينين فى " ما العمل؟ ") .

============

" لقد منيت اشتراكية ما قبل الماركسية بالهزيمة . وهي تواصل النضال ، لا فى ميدانها الخاص ، بل فى ميدان الماركسية العام، بوصفها نزعة تحريفية...
- ان ما يجعل التحريفية أمرا محتما ، انما هي جذورها الطبقية فى المجتمع المعاصر . فإن النزعة التحريفية ظاهرة عالمية...
- ان نضال الماركسية الثورية الفكرى ضد النزعة التحريفية ، فى أواخر القرن التاسع عشر ، ليس سوى مقدمة للمعارك الثورية الكبيرة التى ستخوضها البروليتاريا السائرة الى الأمام ، نحو انتصار قضيتها التام..."

(لينين- الماركسية و النزعة التحريفية-)

" إنّ لكلمة برنشتاين المجنّحة :" الهدف النهائي ليس بشيء ، الحركة هي كلّ شيء " ، تعبّر عن طبيعة النزعة التحريفية خيرًا من عدد كبير من الشروحات المستفيضة . أن يحدّد المرء سلوكه تبعًا لأحداث الساعة ، لتغيرات الأمور السياسية الطفيفة ، أن ينسى مصالح البروليتاريا

الجذرية و الميزات الجوهرية لمجمل النظام الرأسمالي و لكلّ التطوّر الرأسمالي ، أن يضحّي بهذه المصالح من أجل منافع وقتية ، فعلية أو مفترضة : تلك هي خطوط السياسة التحريفية ."

(لينين- الماركسية و النزعة التحريفية-)

" إن وجهة النظر الديمقراطية الشكلية هي بالضبط وجهة نظر الديمقراطي البرجوازي الذى لا يقبل بأن تعلوها مصالح البروليتاريا و النضال الطبقي البروليتاري ".

(لينين - الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي-)

" نحن لا نعتبر أبدا نظرية ماركس شيئا كاملا لا يجوز المساس به ، بل إننا مقتنعون ، على العكس ، بأنها لم تفعل غير أن وضعت حجر الزاوية لهذا العلم الذي يترتب على الإشتراكيين أن يدفعوه إلى الأبعد في جميع الإتجاهات إذا شاءوا ألا يتأخروا عن موكب الحياة."

(لينين –" برنامجنا "-)

============

" التحريفية أو الإنتهازية اليمينية ، هي تيّار إيديولوجي برجوازي أشدّ خطرا من الجمود العقائدي. إنّ المحرفين أي الإنتهازيين اليمنيين ، يتشدّقون بالماركسية و هم أيضا يهاجمون " الجمود العقائدي" . و لكن ما يهاجمونه إنّما هو بالضبط خلاصة الماركسية . إنّهم يعارضون المادية و الديالكتيك أو يشوهونهما ...".

(ماو تسي تونغ – حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب" 27 فبراير 1957)

" إن الجمود العقائدى و التحريفية كلاهما يتناقضان مع الماركسية . و الماركسية لا بد أن تتقدم ، و لا بد أن تتطور مع تطور التطبيق العملى و لا يمكنها أن تكف عن التقدم .فإذا توقفت عن التقدم و ظلت كما هي فى مكانها جامدة لا تتطور فقدت حياتها ، إلا أن المبادئ الأساسية للماركسية لا يجوز أن تنقض أبدا ، و إن نقضت فسترتكب أخطاء . إن النظر إلى الماركسية من وجهة النظر الميتافيزيقة و إعتبارها شيئا جامدا، هو جمود عقائدي ، بينما إنكار المبادئ الأساسية للماركسية و إنكار حقيقتها العامة هو تحريفية . و التحريفية هي شكل من أشكال الإيديولوجية البرجوازية . إن المحرفين ينكرون الفرق بين الإشتراكية و الرأسمالية و الفرق بين دكتاتورية البروليتاريا و دكتاتورية البرجوازية . و الذى يدعون اليه ليس بالخط الإشتراكي فى الواقع بل هو الخط الرأسمالي ."

(ماو تسي تونغ : خطاب فى المؤتمر الوطنى للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية "12 مارس/أذار 1957 "مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ" ص21-22).

" تعلمنا تجارب الصراع الطبقي فى عصر الإمبريالية بأن الطبقة العاملة والجماهير الكادحة لا تستطيع إنزال الهزيمة بالبرجوازيين وملاك الأراضي المسلحين إلا بقوّة البنادق ."

(ماو تسى تونغ)

" على الشيوعيين أن يكونوا مستعدين فى كلّ وقت للتمسّك بالحقيقة ، فالحقيقة ، أية حقيقة ، تتفق مع مصلحة الشعب. وعلى الشيوعيين أن يكونوا فى كلّ وقت على أهبة لإصلاح أخطائهم، فالأخطاء كلّها ضد مصلحة الشعب ".

(ماو تسى تونغ- 1945)

==

مقدّمة :

منذ بضعة أشهر ، أنجزنا كرّاسا أفردناه لحزب " يساري" تأسس فى أوت 2012 ، الحزب الوطني الإشتراكي الثوري – الوطد و الآن نصبّ إهتمامنا على حزب حديث الولادة هو الآخر ، حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد الذى أنهى أشغال مؤتمره التوحيدي فى مطلع شهر سبتمبر 2012 وهو إفراز لعملية وحدة بين حزبين قانونيين موجودين على الساحة السياسية هما حركة الوطنيون الديمقراطيون و حزب العمل الوطني الديمقراطي (تيار الوحدة ؛ فى حين واصل التيّار الآخر مساره نحو الإلتحاق بمستنقع " نداء تونس" و أضرابه).

و يندرج مجهودنا هذا فى إطار تطبيق شعار مزيد الوضوح الإيديولوجي و السياسي فى صفوف " اليسار" فى القطر والفرز بين الماركسية و التحريفية بما هي فكر برجوازي يتقنّع بقناع الماركسية . فهدفنا كشيوعيين حقيقيين هو الشيوعية و تحرير البروليتاريا و الإنسانية جمعاء من كافة أنواع الإضطهاد القومي و الطبقي و الجندري و هدف الماركسية المزيفة التى ننقد و نفضح هو خدمة أعداء الكادحين و تأبيد الإضطهاد و الإستغلال و ليس القضاء عليهما.

و سنحكم على أصحاب حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد حسب كلمات للينين فى " ما العمل؟" ، " **لا على أساس البزّة البراقة التى يخلعونها على أنفسهم بأنفسهم ، لا على أساس اللقب الطنّان الذى ينتحلونه لأنفسهم ، بل على أساس سلوكهم و على أساس ما يدعون إليه فى الواقع** "، و فى هذا العمل تحديدا و جوهريّا على أساس وثائقهم هم بالذات .

و لسنا من هواة إطلاق الشتائم و القذف و لا من هواة أسلوب السباب و إنّما ديدننا هو إستخدام سلاح النقد الماركسي و الخوض فى أعماق أفكار و مقولات المجموعة التى نسلّط عليها الأضواء لنظهرها على حقيقتها ، عارية ، دون المساحيق التى تخدع الكثيرين من الذين يتأثّرون بالكلام المعسول و المنمّق و الأوهام البرجوازية الصغيرة و ينسون أن الشيوعية علم يجب أن يدرس و نتائجه فى صفوف البروليتاريا و الشعب يجب أن تروّج .

و نحن كماديين جدليين لا ننطلق من فراغ لنصدر الأحكام و لا نحن نرجم بالغيب بل منطلقنا على الدوام هو الواقع الموضوعي و وثائق المجموعة التى ننقد و التى عليها نطبّق علم الثورة البروليتارية العالمية : الماركسية - اللينينية - الماوية ليكون تحليلنا و تلخيصنا تحليلا و تلخيصا علميين نعتمدهما فى الصراع فى سبيل الخطّ الإيديولوجي و السياسي الصحيح الذى بوسعه أن ينير لنا و للمناضلين و المناضلات و للبروليتاريا و بقيّة الطبقات الشعبية طريق التحرّر الحقيقي و ليس الوهمي .

و نحن نعوّل على رحابة صدر القرّاء ليسمحوا لنا باللجوء إلى كمّ لا بأس به من الإستشهادات بأقوال رموز الشيوعية لا سيما لينين و ماو تسى تونغ و نتوقّع من الذين ننقدهم أن ينتفضوا ضد

إستعمالنا لل" كتب " التى نراها متضمّنة لتحاليل وتلاخيص نظرية علمية لحقائق موضوعية من تجربة البروليتاريا العالمية بمختلف أوجهها و تكتسي بالغ الأهمّية فى علم الثورة البروليتارية العالمية و يرونها حجر عثرة أمام مشروعهم التحريفي . ففى هذا الجدال ضد من يدعون الماركسية- اللينينية فى حين أنّهم يطمسونها ويشوّهونها ، لا مناص من عرض الآراء الحقيقية للينينية كمرحلة ثانية فى تطوّر الماركسية و الماوية كمرحلة ثالثة فى تطوّرها و لا مناص من إبراز ما سعى و يسعى التحريفيون إلى قبره و طمره و إهالة التراب عليه من مبادئ الشيوعية الثورية و بذلك يلبّي عملنا هذا حاجة مزدوجة : دحض التحريفية و التعريف بالشيوعية الحقيقية ، الشيوعية الثورية .

و بحثا عن منتهى الوضوح الممكن ، فصّلنا مسائل الخطّ الإيديولوجي و السياسي التى سنتناول بالبحث تفصيلا فتوصّلنا إلى التخطيط التالي لعملنا هذا الذى لن يُعنى إلاّ بأمّهات المسائل أمّا تلك التى نعدّها ثانوية الآن فقد نناقشها فى مناسبات أخرى :

<u>مقدّمة :</u>

I- <u>هل حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد حزب ماركسى ؟</u>

1- من هو الماركسي الحقيقي؟
2- تحطيم الدولة القديمة أم ترميمها و تحسينها ؟
3- الشيوعية أم الإشتراكية هي المشروع البديل ؟
4- الأممية البروليتارية أم مجرّد التضامن العالمي ؟

II- <u>هل حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد حزب لينيني ؟</u>

1- طبيعة الدولة و الجيش طبقية أم لا ؟
2- الديمقراطية الطبقية أم الديمقراطية " الخالصة " ؟
3- حزب لينيني أم سفينة نوح ؟
4- النظرية الثورية أم الأفكار الرجعية و البرجوازية السائدة ؟

III- **<u>هل يطبّق حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد المادية الجدلية أم المثالية الميتافيزيقية ؟</u>**

1- المبادئ الشيوعية أم البراغماتية ؟
2- جمع الإثنين فى واحد أم إزدواج الواحد؟
3- تحليل مادي جدلي للواقع أم تحليل مثالي ميتافيزيقي؟
4- الحرية : نشر الحقائق الموضوعية أم الأوهام الديمقراطية البرجوازية ؟

VI- **<u>"الهوية الفكرية والطبقية لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد": حزب تحريفي برجوازي.</u>**

1- عن الماركسية - اللينينية .
2- عن الإشتراكية العلمية .
3- عن " التداول السلمي على السلطة عبر الإنتخابات".
4- عن النظرية العامة للثورة و" الخصوصية ".

V- الثورة الوطنية الديمقراطية و تكتيك حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد الذى يبتلع الإستراتيجيا :

1- طريق الثورة الوطنية الديمقراطية بين الماركسية و التحريفية.
2- المسألة الديمقراطية غائبة والجبهة الوطنية مائعة.
3- التكتيك الذى يبتلع الإستراتيجيا.
4- إلى أين تفضى الأوهام الديمقراطية البرجوازية ؟ : دروس التجارب العالمية.

IV- مغالطات حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد فى قراءة الصراع الطبقي فى تونس :

1- تداخل مفزع فى المفاهيم.
2- لأغراض إصلاحية يتمّ تشويه الفهم اللينيني للوعي و العفوية.
3- أوهام حول طبيعة الدولة و الجيش .
4- أوهام حول الدين و الأصولية الدينية.
5- أوهام حول المجلس التأسيسي .

IIV- جملة من أخطاء حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد فى قراءة الصراع الطبقي عربيّا و عالميّا :

1 - طبيعة الأنظمة فى الأقطار العربية.
2- الكفاح المسلّح.
3- القوى التى تعزّز موقع حركات التحرّر.

IIIV- ماضى حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد و حاضره و مستقبله :

1- بصدد ماضي هذا الحزب.
2- بصدد حاضره.
3- بصدد مستقبله.

خاتمة :

ملاحق :

1- الديمقراطية القديمة و الديمقراطية الجديدة.
2- طليعة المستقبل ينبغى أن نكون!
3- رسالة مفتوحة إلى أنصار حركة الوطنيون الديمقراطيون.

جانفى 2013

==

I- **هل حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد حزب ماركسي ؟**

===

"على الشيوعيين كلّما واجهوا أمرا من الأمور أن يبحثوا عن أسبابه و دواعيه ، و أن يستخدموا عقولهم و يفكّروا بإمعان ليتبيّنوا هل الأمر يطابق الواقع و تؤيده مبرّرات سليمة أو لا ، و لا يجوز لهم بأي حال من الأحوال أن ينقادوا وراء غيرهم إنقياد الأعمى أو يشجّعوا العبودية."

(ماو تسى تونغ- " إصلاح أساليب الحزب " ، فيفري 1942) .

بادئ ذى بدء ، دعونا نتناول بالبحث بعض أوجه علاقة هذا الحزب ب " الفكر الماركسي - اللينيني" الذى إدعى أنّه أساس خطّه فى وثيقة " فى تحديد الهوية الفكرية و الطبقية لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد ".

1- من هو الماركسي الحقيقي ؟

و مباشرة إلى لينين الذى يسعفنا بتعريف من هو الماركسي الحقيقي فى كتابه " الدولة و الثورة " حيث كما يعلم المطّلعون على الأدب الشيوعي قال بصيغة حصرية :" **ليس بماركسي غير الذى يعمّم إعترافه بالنضال الطبقي على الإعتراف بديكتاتورية البروليتاريا. و هذا ما يميّز بصورة جوهرية الماركسي عن البرجوازي الصغير (وحتى الكبير) العادي. و على هذا المحكّ ينبغى التحقّق من الفهم الحقّ للماركسية و الإعتراف الحقّ بها."** (الفصل الثاني ، الصفحة 36 من طبعة دار التقدّم ، موسكو ؛ باللغة العربية).

و معنى هذا واضح جلي و لا غبار عليه ، الماركسي هو من يقرّ بدكتاتورية البروليتاريا كمرحلة إنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية ، أي الدولة الإشتراكية فى ظلّ سلطة البروليتاريا و حلفائها الساعية إلى الإنتقال إلى الشيوعية و ليس أية دولة تدعي إشتراكية و ليس مجرّد نمط الإنتاج الإشتراكي و كما شرح ماركس فى " نقد برنامج غوتا " بصيغة حصرية أيضا :

" ... **بين المجتمع الرأسمالي و المجتمع الشيوعي تقع مرحلة تحوّل الرأسمالي تحوّلا ثوريّا إلى المجتمع الشيوعي و تناسبها مرحلة إنتقال سياسية أيضا ، لا يمكن أن تكون الدولة فيها سوى الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا** ..."(و ذكره أيضا لينين فى "الدولة و الثورة " ، الصفحة 92) .

إذن من يتكلّم عن الإشتراكية دون دكتاتورية البروليتاريا كسلطة دولة يتحدّث عن إشتراكية لا صلة لها بالماركسية أو صلتها بها جزئية – نمط إنتاج دون سلطة دولة- مشوّهة لم توجد و لن توجد قطّ .

نظريّا الإقرار بديكتاتورية البروليتاريا يميّز بين الماركسي الحق و الماركسي المزيّف و عمليّا المحكّ هو النضال على كافة الجبهات لأجل بلوغ دكتاتورية البروليتاريا / ديمقراطية البروليتاريا كدكتاتورية ضد الأعداء و ديمقراطية للشعب و تكريسها على أرض الواقع و غايتها الأسمى هي تجاوز بقايا المجتمع الرأسمالي و "الحق البرجوازي" بجميع تمظهراته و الإختلافات الطبقية و

ما يولّد الرأسمالية كعلاقات إنتاج و علاقات إجتماعية و الأفكار المتناسبة معها ومن ثمّة الإنتقال إلى الشيوعية.

فهل نجد أدنى إشارة فى وثائق هذا الحزب الجديد إلى دكتاتورية البروليتاريا ناهيك عن الإعتراف بها و العمل من أجل بلوغها ؟ لا أبدا . لا البتّة . هي غائبة من قاموسه غيابا كلّيا . المحكّ الذى يتحقّق على أساسه من الفهم الماركسي الحقّ غائب كلّيا . غيّبوه عمدا عامدين ليحلّوا محلّة مفاهيما غير ماركسية سنكتشفها معا شيئا فشيئا .

لا يذكرون دكتاتورية البروليتاريا مجرّد الذكر ثمّ يزعمون أنّهم ماركسيون و ماركسيون - لينينيون و أنهم يتبنّون " الإشتراكية العلمية " و هلمجرا.

و كثيرا ما يعتقد ذوو المعارف المحدودة أن لماركس يرجع فضل إكتشاف الطبقات و الصراع الطبقي وكثيرا ما يعتقد من يتحدّثون عن الصراع الطبقي أنّهم ماركسيّون . هذا إعتقاد لديهم لا أكثر ، هذا وهم لديهم و ليس الحقيقة . فماركس نفسه فى رسالته إلى يوسف فيدماير منذ مارس 1852 ، صرّح واضعا النقاط على الأحرف بأنّ :

" و فيما يخصّنى ، ليس لى لا فضل إكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع المعاصر و لا فضل إكتشاف النضال فيما بينها. فقد سبقنى بوقت طويل مؤرّخون برجوازيون بسطوا التطوّر التاريخي لهذا النضال بين الطبقات، و إقتصاديون برجوازيون بسطوا تركيب الطبقات الإقتصادي . و إنّ الجديد الذى أعطيته يتلخّص فى إقامة البرهان على ما يأتي: 1- إنّ وجود الطبقات لا يقترن إلاّ بمراحل تاريخية معينة من تطوّر الإنتاج، 2- إنّ هذه الديكتاتورية نفسها لا تعنى غير الإنتقال إلى القضاء على كلّ الطبقات و إلى المجتمع الخالي من الطبقات. إن الحمقى الجهلاء ، من طراز هينتسين، الذين لا ينكرون النضال الطبقي فحسب ، بل وحتى وجود الطبقات ذاته ، لا يبرهنون بذلك إلاّ على أنهم ، بالرغم من ولولتهم الضارية المدعية بحب الإنسان ، يعتبرون الظروف الإجتماعية التى ترتكز عليها سيطرة البرجوازية ، بمثابة النتاج الأخير أو ...للتاريخ ، يبرهنون على أنهم ليسوا أكثر من خدم للبرجوازية " .

(ماركس و إنجلز و لينين " حول المجتمع الشيوعي " ، دار التقدّم ، موسكو ، الصفحة 65).

و تراكمت تجارب البروليتاريا العالمية بعد لينين و شهد الصراع الطبقي فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا ما لم يكن يتوقّعه ماركس و إنجلز و لينين و إثر تحليل وتلخيص التجربة الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي و الثورة الصينية التى حقّقت الظفر سنة 1949 و الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى (1966-1976) فى الصين و الجدال العظيم ضد التحريفية المعاصرة بتفرعاتها السوفياتية و الفرنسية و الإيطالية و اليوغسلافية ... ، فى بيانها التأسيسي سنة 1984 ، أكّدت الحركة الأممية الثورية " وريثة ماركس و إنجلز و لينين و ستالين و ماو " و التى جمعت تحت لوائها عديد الأحزاب التى ظلّت تدافع بصرامة عن الماركسية - اللينينية - فكر ماو تسى تونغ آنذاك (الماوية منذ 1993) ، على أنّ :

" قال لينين :" ليس بماركسي غير الذى يعمّم إعترافه بالنضال الطبقي على الإعتراف بديكتاتورية البروليتاريا ". لقد تدعم هذا الشرط الذى طرحه لينين أكثر على ضوء الدروس و النجاحات القيّمة للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى بقيادة ماو تسى تونغ .
و يمكن لنا القول الآن ليس بماركسي غير الذى يعمّم إعترافه بالنضال الطبقي على الإعتراف بديكتاتورية البروليتاريا و أيضا على الوجود الموضوعي للطبقات و التناقضات الطبقية العدائية

و مواصلة صراع الطبقات فى ظل دكتاتورية البروليتاريا طوال مرحلة الإشتراكية و حتى الوصول إلى الشيوعية . و كما قال ماو فإن :" كل خلط فى هذا المجال يؤدى لا محالة إلى التحريفية " . "

و هذا الحزب الجديد ، حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد ، ينكر أحد أهمّ مقوّمات الماركسية و أمام الهجوم الإيديولوجي و السياسي البرجوازي الإمبريالي الرجعي على الشيوعية منذ عقود الآن ، إرتدّ مؤسّسو هذا الحزب عن جوهر الماركسية وروحها الثورية و تخلّوا عن حجر الزاوية فيها ليحتفظوا منها بما يرضى الرجعية و البرجوازية و الإمبريالية و دولة الإستعمار الجديد فصاروا يزحفون أمام الإمبريالية و الرجعية و صحّت عليهم كلمات ماركس : " يبرهنون على أنّهم ليسوا أكثر من خدم للبرجوازية ".

2- تحطيم الدولة القديمة أم ترميمها و تحسينها ؟

يتحدّث الحزب الجديد عن الإنتفاضة و التمرّد و الثورة و المسار الثوري و كأنّها الشيء عينه و يعتبر نفسه حزبا ثوريّا و يتجاهل تمام التجاهل دكتاتورية البروليتاريا بما هي دولة جديدة تقوم على أنقاض الدولة القديمة التى هي بدورها تتعرّض لعملية تجاهل كلي من حيث مصيرها . و يعتبر هذا الحزب أنّ ما حدث فى تونس هو " بداية تفكيك الدكتاتورية " و لا ينبس ببنت شفة عن جهاز الدولة بمكوّناته الأساسية من جيش و شرطة و مؤسسات دواوينية ... وعمادها الجيش.

" يعتبر الجيش ، حسب النظرية الماركسية حول الدولة ، العنصر الرئيسي فى سلطة الدولة . فكلّ من يريد الإستيلاء على السلطة و المحافظة عليها ، لا بدّ أن يكون لديه جيش قويّ "

(ماو تسى تونغ " قضايا الحرب و الإستراتيجيا "6 نوفمبر - تشرين الثاني 1938 ؛ المؤلفات المختارة المجلّد الثاني ، الصفحة 66 من " مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ ") .

و يطلقون فى الوثائق التى ندرس لسانهم بكلام عن الإستعمار الجديد و نظام الإستعمار الجديد و يلوذون بالصمت المطبق و المطلق لمّا يتعلّق الأمر بكشف الحقائق و قول الحقيقة للجماهير ، قول إنّ الجيش هو العنصر الرئيسي فى سلطة دولة الإستعمار الجديد ، عماد الدولة القائمة و الساهر الرئيسي على ديمومتها و ديمومة مسك الطبقات الحاكمة بالسلطة بل و يمضون بعيدا (مثل تصريحات شهيرة لمن أمسى أمينا عاما لهذا الحزب) فى الثناء على الجيش التونسي و كيل المديح لجيش دولة الإستعمار الجديد هذا ! من ناحية يصبّون جام غضبهم و نار نقدهم على دولة الإستعمار الجديد و من ناحية أخرى يمدحون جيشها ، عماد هذه الدولة و عنصرها الرئيسي. بأي نبوغ لا يضارع وبأية مهارة تحريفية تحبك هذه المغالطة من المغالطات الكثيرة التى يعتمدها عن وعي قادة هذا الحزب على وجه الخصوص.

فى 2012 ، و عقب ما يسمّوه زورا " ثورة " وهو فى الحقيقة إنتفاضة شعبية ليس إلاّ ، نلفى جماعة هذا الحزب يهيلون جبالا من التراب على مبدأ آخر من المبادئ الأساسية للماركسية ألا وهو ضرورة تحطيم جهاز الدولة القديمة ، الذى طالما شدّد عليه لينين و ماركس من قبله عند تلخيصه لتجربة كمونة باريس التى ركّزت شكلا من أشكال دكتاتورية البروليتاريا و التى لا يرى فيها التحريفيون إلاّ جانب ثانويى انتخابات المسؤولين – دون التشديد الصريح حقّا على ناحية إمكانية إقالتهم- الذى ينفخون فيه نفخا ليجعلوا منه أسمى أشكال الديمقراطية فى المطلق أي يطمسون الديمقراطية البروليتارية / دكتاتورية البروليتاريا و يسوّقون لنقيضها الديمقراطية

البرجوازية . و من الدروس المستخلصة من كمونة باريس درس عظيم الأهمية و الدلالة سلّط عليه لينين الكثير من الضوء فى " الدولة و الثورة " (الصفحات 39 و40) :

" و بوجه خاص برهنت الكومونة أنّ " الطبقة العاملة لا تستطيع أن تكتفي بالإستيلاء على آلة الدولة جاهزة و أن تحركها لأهدافها الخاصّة "..."(من مقدّمة لطبعة ألمانية من " البيان الشيوعي " بتاريخ 24 حزيران (يونيو) سنة 1872)؛ ثم فى أفريل سنة 1871 ، فى أيام الكمونة بالذات ، " كتب ماركس إلى كوغلمان : "... **أعلنت أن المحاولة التالية للثورة الفرنسية يجب أن تكون لا نقل الآلة البيروقراطية العسكرية من يد إلى أخرى كما كان يحدث حتى الآن ، بل تحطيمها . و هذا الشرط الأوّلي لكلّ ثورة شعبية حقّا فى القارة** ".

كان لماركس و لينين من المبدئية و الجرأة النظرية و العملية بحيث صرّحا بهكذا آراء على الملأ و ناضلا بما أوتيا من جهد نظري و عملي من أجل تكريسها فى الواقع و يأتي هذا الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد بعد أكثر من 140 سنة من كتابة تلك الأسطر العاكسة لحقيقة فاقعة و بعد ما يناهز القرن من تذكير لينين بها و إبرازها ثم تطبيقها على أرض الواقع فى ثورة أكتوبر 1917 ، ليتنكّروا لذلك ويتستّروا على أهمّ مكوّن من مكوّنات دولة الإستعمار الجديد و ينقذوا هذه الدولة بإستبعاد طرح أيّة فكرة عن تحطيمها . إنّهم يعملون على ترميمها و تحسينها و ليس على تحطيمها و إنشاء دولة جديدة على أنقاضها . آراءهم التحريفية هذه بعيدة جدّا ، بعيدة منتهى البعد عن الماركسية و روحها الثورية .

و مرّة أخرى ، يصحّ عليهم قول ماركس" يبرهنون على أنهم ليسوا أكثر من خدم للبرجوازية "!

3- الشيوعية أم الإشتراكية هي المشروع البديل ؟

" التحريفية هي شكل من أشكال الإيديولوجية البرجوازية . إن المحرفين ينكرون الفرق بين الإشتراكية و الرأسمالية و الفرق بين دكتاتورية البروليتاريا و دكتاتورية البرجوازية . و الذى يدعون اليه ليس بالخط الإشتراكي فى الواقع بل هو الخط الرأسمالي ."(ماو تسى تونغ) .

يرفع الماركسيون و الماركسيات الحقيقيون عاليا راية الشيوعية كإيديولوجيا و مجتمع نتوق إليه و نتطلّع و فى سبيله نناضل فغاية الماركسية ليست سوى الشيوعية أمّا الذين يستخدمون بعض المفاهيم الماركسية و يطمسون روحها الثورية و التوّاقة إلى الهدف الأسمى الشيوعي فما هم إلاّ ماركسيون مزيفون ، ما هم إلاّ " خدم للبرجوازية ".

" الشيوعية هي نظام كامل للإيديولوجية البروليتارية وهي فى نفس الوقت نظام إجتماعي جديد . وهذا النظام الإيديولوجي و الإجتماعي يختلف عن أي نظام إيديولوجي و إجتماعي آخر، وهو أكثر النظم كمالا و تقدّمية و ثورية و منطقية فى التاريخ الإنساني . فالنظام الإيديولوجي و الإجتماعي الإقطاعي لم يعد له مكان إلاّ فى متحف التاريخ ، كما أنّ النظام الإيديولوجي و الإجتماعي الرأسمالي قد دخل هو الآخر فى متحف التاريخ فى جزء من العالم (فى الإتحاد السوفياتي) ، بينما هو يشبه فى البلدان الأخرى " شخصا مشرفا على الموت يلفظ أنفاسه الأخيرة ، أو كالشمس الغاربة خلف التلال الغربية " ، و لن يطول به الوقت حتى يصبح فى متحف التاريخ . أمّا النظام الإيديولوجي و الإجتماعي الشيوعي فهو وحده ينبض بالشباب الناضر و الحيوية الدافقة و ينتشر فى العالم بسرعة التيار الجارف و قوة الصاعقة."

(ماو تسى تونغ " حول الديمقراطية الجديدة " (يناير– كانون الثاني – 1940) ، المؤلفات المختارة ، المجلّد الثاني).

و يدافع حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد بطرق ملتوية (سنناقش لاحقا) عن " الإشتراكية مشروعا بديلا " (" البرنامج السياسي العام") و لا أثر فى كافة وثائق المؤتمر لكلمة الشيوعية أصلا و مطلقا . كلمة " الشيوعية " ملغاة من قاموس هؤلاء الذين يدعون الماركسية - اللينينية ، و هم يحاولون تعويضها ب" الإشتراكية " و إيهامنا أنّ الأمر سيّان و هو ليس كذلك. فالماركسية كما أكّد لينين نتاج لأفضل ما بلغته الإنسانية من الإشتراكية الفرنسية و الإقتصاد السياسي الأنجليزي و الفلسفة الألمانية مكوّناتها و مصادرها الثلاثة الأساسية و قد خاض ماركس و إنجلز صراعات عظيمة لتطوير عملية الفرز فى صفوف التيارات الإشتراكية و لينشروا الشيوعية تجاوزا للمقولات السابقة لها و لم تظلّ الإشتراكية لديهم سوى المرحلة الدنيا أو السفلي من الشيوعية ، المرحلة الإنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية و جماعة الحزب الجديد يريدون تبديل الشيوعية كهدف أسمى بالإشتراكية كمرحلة إنتقالية حاملة لإمكانية التقدّم نحو الشيوعية و كذلك لبقايا الرأسمالية و إمكانية إعادة تركيز الرأسمالية ، كمجتمع طبقي لا تزال فيه الدولة قائمة و لا يزال فيه قانون القيمة ساري المفعول هو و " الحق البرجوازي".

لقد أعرب ماركس بصدد الإشتراكية عن : "**إنّ ما نواجه هنا ليس مجتمعا شيوعيّا تطور على أسسه الخاصّة ، بل مجتمع يخرج لتوه من المجتمع الرأسمالي بالذات؛ مجتمع لا يزال ، من جميع النواحي ، الإقتصادية و الأخلاقية و الفكرية ، يحمل طابع المجتمع القديم الذى خرج من أحشائه**". (ذكره لينين فى " الدولة و الثورة " ، الصفحة 98).

و على ضوء ما تقدّم نلمس أن هدف الماركسية و غايتها الأسمى هو الشيوعية و انّ الإشتراكية مرحلة إنتقالية لا غير وهي بالتالي ليست المشروع البديل الذى يرفع رايته الماركسيون الحقيقيون إذ انّ المشروع الماركسي البديل حقّا هو الشيوعية. و هذا من جماعة الحزب الجديد مغالطة إعتاد عليها الشيوعيون الحقيقيون فى نضالاتهم بلا هوادة ضد ألوان التحريفية عبر العالم. و الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد يعود بنا إلى ما قبل " بيان الحزب الشيوعي " الذى أعلن و منذ 1848 بكلّ جرأة الثوريين عن المشروع الشيوعي بصوت هزّ العالم هزّا و يأتى أصحاب الحزب الجديد فى 2012 ليعيدوا عقارب الساعة إلى ما قبل ذلك البيان التاريخي و يدعون الماركسية وحتى الماركسية - اللينينية . ببساطة هم نكوصيون رجعيون . ببساطة هم ماركسيون مزيفون.

و علاوة على ذلك ، تعلن وثائق الحزب الجديد (فى " البرنامج السياسي العام " تحديدا) أنّ الحزب ينأى بنفسه عن إتباع نماذج معينة مسجّلا أنّه يعمل " بعيدا عن الإنحصار فى نماذج سابقة و بعيدا عن مركزية وليدة رؤية قديمة بالية ".

ولعلّكم لاحظتم معنا الشتائم الموجّهة للتجارب الإشتراكية الأصلية السابقة للبروليتاريا العالمية و لعلّكم تساءلتم معنا إذا لم يكن لهذا الحزب نماذج أو نموذج يدافع عنه وهو يدين التجارب الإشتراكية السابقة عوض تقييمها علميا و إستخلاص الدروس الإيجابية و السلبية منها ، عن أية إشتراكية يتحدّث إذن ؟

ما من ماركسين حقيقيين و خاصة ما من ماويين حقيقيين يدعون للإنحصار فى نماذج و لإدانة التجارب الإشتراكية السابقة . الثورات و التجارب السابقة موروث ثوري منه ننطلق لنشّيد بناءا أفضل ، نحلّله و نلخصه و نخرج منه بدروس من أجل ممارسة أرقي فأرقي أمّا رمي الصائب

و هو الرئيسي فى تجارب الإشتراكية لا سيما في الإتحاد السوفياتي و الصين ، و الخاطئ وهو ثانوي و إن كان هاما فهو تصفوية فى أبرز تجلّياتها ، فضلا عن كونه مثالية ميتافيزيقية لا تحلّل الأشياء والظواهر و السيرورات على أنّها وحدة أضداد/ تناقض بمعنى أنّها لا تحلّل التجارب الإشتراكية (إن إعتبرت نماذجا) فتميزّ بين المظهر الصائب و المظهر الخاطئ و تراكم ما هو صائب و تبنى عليه مزيد التقدّم نحو الشيوعية عالميّا و تدحض ما هو غلط و تسعى جهدها لتجاوزه و تجنّب تكراره بشكل أو آخر .

كما ورد فى مثل فرنسي ، يرمي هذا الحزب بالطفل مع الماء المتسخ فى المجاري فيرتكب خطأ فادحا ، حتى لا نستعمل نعوتا جارحة ، تجاه تضحيات ملايين العمال و الفلاحين و المثقّفين الثوريين و الشيوعيات و الشيوعيين خلال ما يناهز القرنين إن بدأنا العدّ فقط منذ صدور " بيان الحزب الشيوعي " مرورا بكمونة باريس فثورة أكتوبر 1917 فالثورة الصينية لسنة 1949 و الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى 1966- 1976 إلى حرب الشعب و النضالات الأخرى فى أكثر من بلاد و من قارة إلى يومنا هذا .

يدعونا أصحاب هذا الحزب إلى فسخ موروثنا البروليتاري الثوري ، التجارب التى راكمتها البروليتاريا العالمية بحلوها و مرّها و بتصفوية ننطلق من جديد و من الصفر و كأنّ شيئا لم يكن كما يدعونا بإسم الماركسية إلى أن نعود إلى ما قبل الماركسية و نبذ " النماذج" . هذا منهم هراء تصفوي ، مجرّد هراء تصفوي و ليس من المنطق المادي الجدلي فى شيء . هذا نقد عدميّ و ليس نقدا بنّاءا. هذا سجود و إستسلام تام أمام الهجمة الرجعية والبرجوازية و الإمبريالية على الشيوعية عبر العالم و منذ عقود الآن . هذه خدمة أخرى للبرجوازية.

لماذا بلغوا هذا المبلغ من الإرتداد عن الشيوعية بإسم " إشتراكيتهم " و " ماركسيتهم " ؟ هل الهجوم على الشيوعية وحده يفسّر هذا الإرتداد ؟ فضلا عن الهجوم الرجعي والبرجوازي والإمبريالي العالمي على الشيوعية وهو سبب أساسي ينضاف إلى خسارة الدول الإشتراكية السابقة ، مردّ هذا الموقف التصفوي فى تقديرنا مزدوج . أوّلا ، سقوط جميع مؤسسى هذا الحزب الجديد فى حبال الديمقراطية البرجوازية عائد فى جزء هام منه إلى التخلّى (بالنسبة لتيار حزب العمل و حزب العمل برمته)عن أرقى ما توصّل إليه علم الثورة البروليتارية العالمية و نقصد الماوية كمرحلته الثالثة أو الوقوف (بالنسبة لحركة الوطنيون الديمقراطيون) موقفا وسطيّا من أمهات المسائل و الصراعات التى شهدتها الحركة الشيوعية العالمية و بالذات إنقسام الحركة الماركسية- اللينينية إلى ماوية و خوجية. على الدوام إلى التحريفية تفضى الوسطية و يفضى التعامل التصفوي تجاه أرقى ما بلغه علم الثورة البروليتارية العالمية و هذا ينسحب ليس على القطر فقط بل هو قانون شامل عالمي نشاهد تجلّياته عبر القارات الخمس . و ثانيا ، و من الناحية المنهجية ، يقوم خطّ الحزب الجديد على ركيزة أساسية هي عدم البحث فى التجارب التاريخية للبروليتاريا العالمية و القضايا النظرية لأنّها سياسيّا قد تتسبّب فى إنشقاقهم أو تشتّتهم وهو إيديولوجيا يطبّق المثالية و الميتافيزيقا التى قال عنها ماو تسى تونغ :

" إن المثالية هي الشيء الوحيد فى العالم الذى لا يكلف الإنسان أي جهد ، لأنها تتيح له أن يتشدق كما يشاء دون أن يستند إلى الواقع الموضوعي و دون أن يعرض أقواله لإختبارات الواقع . أما المادية و الديالكتيك فهي تكلف الإنسان جهدا ، إذ أنها تحتم عليه أن يستند إلى الواقع الموضوعي و أن يختبر أمامه ، فإذا لم يبذل جهدا إنزلق إلى طريق المثالية و الميتافيزيقا . "

(ماو ، مايو – إيار 1955 ص 224 من مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسي تونغ)

الإشتراكية التى يروّج لها جماعة حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد زئبقية لا حدود لها ، هي كلمة هلامية لا غير . و مع التملّص من النماذج السابقة أي التجارب الإشتراكية السابقة و نبذها قلبا و قالبا ، شكلا و مضمونا ، و كلّيا ، ماذا تبقى لهم ؟ تبقّى لهم كيل المديح لنماذج كوبا و فينيزويلا... حين يحطّم التحريفيون التجارب الرائدة للبروليتاريا العالمية ، علينا أن نفتّش عن بديلهم الذى يقدّمون مباشرة أو بصفة غير مباشرة . و بديل الحزب الموحّد غائم ، يلهث بالثناء على كوبا و فينيزولا اللذان لا صلة لهما بالإشتراكية الحقيقية و الشيوعية الحقيقية ، الشيوعية الثورية ، و يتناسى عن قصد حرب الشعب فى الهند و الفليبين مثلا أين تخفق الراية الحمراء .

إلى أي درك من الإنحطاط دفع هؤلاء " الموحّدون" "الماركسيون" زورا و بهتانا بالإشتراكية كمكوّن من المكوّنات الثلاثة للماركسية و كمرحلة إنتقالية إلى الشيوعية .

4- الأممية البروليتارية أم مجرّد التضامن العالمي؟

تهتمّ وثائق هذا الحزب بذكر مفردة الأممية ففى " البرنامج السياسي العام" نعثر على " أممية عمالية ثورية جامعة " و على " العمل الدؤوب للإسهام فى بناء جبهة أممية ضد الهيمنة و الإستغلال و الإضطهاد و ضد سياسات الحرب و العدوان الإمبريالي و ضد كلّ أنواع العنصرية و الصهيونية و الإستعمار..." و فى ذات الوثيقة نعثر على شعار " يا عمّال العالم و شعوبه و أممه المضطهدة إتحدوا" ؛ إلاّ أنّه لا وجود لذكر الأممية البروليتارية كمبدأ من المبادئ الشيوعية الأساسية التى أعلنها " بيان الحزب الشيوعي". و الأممية البروليتارية ليست الأممية العمّالية و لا هي " جبهة أممية " بمعنى " جبهة عالمية " ، جبهة تضامن عالمية ضد الهيمنة ... و بالتالي لا يلتزم هذا الحزب بالمفهوم و المبدأ الماركسي الأصيل و إنّما يعمد إلى المغالطة و الإيهام بذلك الإلتزام .

و نلقى نظرة على مضمون " أممية " هذا الحزب وهي بوضوح ليست الأممية البروليتارية ، فنرصد أنّه يفهم الأممية فهما لا علاقة له بالفهم الماركسي- اللينيني (حتى لا نقول الماركسي- اللينيني – الماوي) . ورد فى " فى تحديد الهوية الفكرية و الطبقية لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد " و على وجه الضبط ضمن الأهداف : " الإنخراط الواسع فى نضالات الطبقة العاملة و عموم القوى المناهضة للعولمة الرأسمالية " و " يعمل الحزب على بناء علاقات كفاحية و توطيد أسس التعاون مع الأحزاب الثورية و التقدّمية و مع الحركات العمالية و مع كلّ قوى التغيير الإجتماعي فى العالم على أساس التضامن الأممي ضد الإمبريالية وسياسات الحرب و العدوان و الإستغلال و ضد الصهيونية و الرجعية و كلّ أشكال الإستعباد و العنصرية و العمل على المساهمة فى بناء مستقبل إنساني واحد خال من كلّ أنواع الهيمنة والإستغلال و التفرقة و الإغتراب." و " العمل على تحقيق الهدف النهائي للحزب متمثّلا فى بناء مجتمع أممي لا طبقي خال من كلّ أشكال الإستغلال و الإستيلاب أساسه المساواة التامة و الإتحاد الحرّ للمنتجين الأحرار".

هذا لفّ و دوران وإجترار لكلام يمكن أن يصدر عن حزب إشتراكي ديمقراطي و ليس بالضرورة عن حزب شيوعي فمن أوكد واجبات الحزب الشيوعي الحقيقي العمل على وحدة الشيوعيين العالمية من منطلق أنّ الطبقة العاملة طبقة واحدة و مصيرها العالمي واحد و مثلما قال ماو تسى تونغ ما معناه إمّا أن نبلغ الشيوعية جميعنا أو لن يبلغها أحد.

فى تباين جلي مع فهم الأممية على أنّها مساندة ثورة لأخرى أو حزب لآخر ، علمنا لينين العظيم واجبنا الأممي البروليتاري بصورة لا أوضح منها حين قال إنّه يجب أن ننظر للثورة فى كلّ بلد على أنّها **:" إشتراكي أنا فى تحضير الثورة البروليتارية العالمية ، فى الدعاية لها ، فى تقريبها ".** فقد جاء فى كتاب لينين " الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي" (دار التقدّم موسكو، الصفحة 68-69) :

" أمّا الإشتراكي ، البروليتاري الثوري ، الأممي ، فإنّه يحاكم على نحو آخر : ... فليس من وجهة نظر بلاد"ي" يتعين علي أن أحاكم (إذ أنّ هذه المحاكمة تغدو أشبه بمحاكمة رجل بليد و حقير ، محاكمة قومي تافه ضيق الأفق، لا يدرك أنّه لعبة فى أيدى البرجوازية الإمبريالية) ، بل من وجهة نظر إشتراكي أنا فى تحضير الثورة البروليتارية العالمية ، فى الدعاية لها ، فى تقريبها. هذه هي الروح الأممية ، هذا هو الواجب الأممي ، واجب العامل الثوري ، واجب الإشتراكي [إقرأوا الشيوعي] الحقيقي ."

وكتب لينين فى " مسودّة أوّلية لموضوعات فى المسألة القومية و مسألة المستعمرات " :

" إن الأممية البروليتارية تتطلّب ، أوّلا ، إخضاع مصالح النضال البروليتاري فى بلد من البلدان لمصالح هذا النضال فى النطاق العالمي ، ثانيا ، كفاءة و إستعداد الأمّة المنتصرة على البرجوازية للإقدام على تحمّل التضحيات الوطنية الكبرى من أجل إسقاط رأس المال العالمي"
(لينين: " مسودّة أوّلية لموضوعات فى المسألة القومية و مسألة المستعمرات " يونيو – يوليو (حزيران – تموز) 1920.)

و علاوة على ذلك ، عند حديث هذا الحزب عن سعي بعض الأحزاب إلى التجمّع فى منظّمات عالمية ، ما إستأثر بإنتباهنا هو ملاحظة " بعيدا عن الإنحصار فى نماذج سابقة و بعيدا عن مركزية وليدة رؤية قديمة بالية ..." وهو شيء يستدعى منّا الوقوف عنده ، دفعا لهذه التهمة الباطلة ، للتأكيد على أنّ الأمميّات الأولى و الثانية و الثالثة (الثالثة / الشيوعية) أمميّات قدّمت الكثير للبروليتاريا العالمية و عندما صار من اللازم تجاوزها تجاوزا ثوريّا أنجز ذلك الشيوعيون الحقيقيون من أجل مواقف و برامج و صراعات أرقى . هذا هو مظهرها الرئيسي أمّا مظهرها الثانوي فهو إرتكاب أخطاء حتى من قبل الأممية الثالثة ، الأممية الشيوعية و الكومنترن من بعدها . لكن المشكل بالنسبة للحزب الموحّد أنّه هنا أيضا يلقى بالماء المتسخ و الطفل معا فى المجاري . ففضلا عن توجيهه الشتيمة المبتذلة للمركزية (و يقصد بها المنظّمة الأممية) بنعتها ب" وليدة رؤية قديمة بالية " ، يتنصّل من التجارب التاريخية للبروليتاريا العالمية تنصّلا تاما و يعلن تنكّره لضرورة قيام أممية شيوعية جديدة كمنظّمة بروليتارية عالمية . و رأي هذا الحزب الموحّد يعدّ بداهة إفتراء على الماركسية و بكلمات لينين : " محاكمة قومي تافه ضيق الأفق . "

و بالمناسبة نذكّر جماعة هذا الحزب الجديد بشيئين إثنين أولهما هو أنّ نعت " قديم" لا يفيد شيوعيّا ، أنّه ، غير مرغوب فيه فالمنظّمة البروليتارية الأممية شأنها فى ذلك شأن هدفنا الشيوعي قديمين نسبيّا و نحن كماركسيين و شيوعيين ثوريين نتمسّك بهما كلّ التمسّك مهما كانت النعوت التى تطلقونها عليها لا لشيء إلاّ لأنّها تحمل فى مظهرها الرئيسي الحقيقة و المبادئ العليا للشيوعية . و ثانيا، تجسيدا للنقد و النقد الذاتي و تكريسا للمادية الجدلية ، أجرى ماو تسى تونغ تحليلا و تلخيصا نقديين للأممية الثالثة و الكومنترن و تجربة دكتاتورية البروليتاريا فى الإتحاد السوفياتي من منظور بروليتاري و حدّد نقاط القوّة التى ينبغى التشبّث بها و نقاط الضعف التى ينبغى تجاوزها و بكلّ روح رفاقية نقد ستالين الماركسي العظيم الذى قام

بأخطاء كما نقد فهمه و تطبيقه للمركزية على مستوى المنظمة العالمية و هذا منذ نهاية خمسينات القرن العشرين، أي قبل أكثر من نصف قرن و جماعة الحزب الموحّد بمثالية يغمضون أعينهم عن هذا و يلقون به فى غياهب النسيان.

إزاء شتى الشطحات الإنتهازية ، كان و لا يزال من أوكد واجبات الشيوعيين الثوريين فى موضوع الحال ، إعلاء راية الماركسية ف" **الحركة الإشتراكية - الديمقراطية [لنقرأ الشيوعية] هي حركة أممية فى جوهرها . و ذلك لا يعنى فقط أنّه يتعيّن علينا أن نناضل ضد الشوفينية القومية بل ذلك يعنى أيضا أن الحركة المبتدئة فى بلاد فتيّة لا يمكن أن تكون ناجحة إلاّ إذا طبقت تجربة البلدان الأخرى . و لبلوغ ذلك لا يكفي مجرد الإطلاع على هذه التجربة أومجرّد نسخ القرارات الأخيرة . إنّما يتطلّب هذا من المرء أن يمحص هذه التجربة و أن يتحقّق منها بنفسه. و كلّ من يستطيع أن يتصوّر مبلغ إتساع و تشعب حركة العمال المعاصرة، يفهم مبلغ ما يتطلّبه القيام بهذه المهمّة من إحتياطي من القوى النظرية و التجربة السياسية (الثورية أيضا). "**

(لينين : " ما العمل؟ ")

و ندعوكم تتدبّرون لبّ كلام لينين البليغ فى دلالته :" **لا يمكن أن تكون ناجحة إلاّ إذا طبقت تجربة البلدان الأخرى**" و " **إنّما يتطلّب هذا من المرء أن يمحص هذه التجربة و أن يتحقّق منها بنفسه. و كلّ من يستطيع أن يتصوّر مبلغ إتساع و تشعب حركة العمال المعاصرة ، يفهم مبلغ ما يتطلّبه القيام بهذه المهمّة من إحتياطي من القوى النظرية و التجربة السياسية (الثورية أيضا)**" مقارنة بالمواقف التصفوية للحزب الموحّد حيال تجارب الثورة البروليتارية العالمية .

و بعد وفاة ماو تسى تونغ و الإنقلاب التحريفي فى الصين سنة 1976 و تحوّلها من صين إشتراكية إلى صين رأسمالية ، نهض الشيوعيون الحقيقيون، الماركسيون- اللينينيون- الماويون عبر العالم بمهمّة تقييم التجارب البروليتارية و على قاعدة الدروس المستخلصة قاموا بتأسيس منظّمة أممية إعتبروها نواة وجب تطويرها لبلوغ المنظّمة البروليتارية العالمية ، و نقصد الحركة الأممية الثورية منذ سنة 1984.

و الحزب الموحّد ينطق بموقف تحريفي جلي وغير فريد فى بابه و يهمل كلّ هذا و يدير له ظهره و يراوغ كي يبقى طليق اليدين ، لا يلتزم بأية منظّمة بروليتارية عالمية و لا يتخذ موقفا صارما من عديد المنظمات الموجودة على الساحة العالمية وغالبيتها الساحقة مستندة إلى خطوط إيديولوجية و سياسية متضاربة أيما تضارب مع الماركسية الحقيقية .

ممّا تقدّم نستشفّ أنّ حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد لا صلة وطيدة له بأوجه الماركسية الأساسية التى عالجنا ، لا بل صلته بها صلة طمس و خداع فهو حزب ماركسي مزيّف لا غير وهو أمر سيزداد جلاء فى الأبواب القادمة .

II - هل حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد حزب لينيني ؟

==

هنا أيضا لن نتطرّق إلى مختلف أوجه اللينينية فى علاقة بهذا الحزب الوليد و إنّما سنقتصر على أوجه أساسية معبّرة تسمح لنا بكشف النقاب عن حقيقة علاقة هذا الحزب باللينينية ، علاقة تنافر مثلما لمسنا آنفا مع الماركسية .

1- طبيعة الدولة و الجيش طبقية أم لا ؟

راينا أن لينين من مبرزي أفكار ماركس بشأن تحطيم الدولة القديمة و إنشاء دولة جديدة على أنقاضها تجسّد دكتاتورية البروليتاريا كمرحلة إنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية و رأينا أن الحزب الموحّد يتنكّر لضرورة تحطيم الدولة القديمة رغم أنّه يتكلّم عن نظام الإستعمار الجديد .

قال لينين : " **برأي ماركس ، الدولة هي هيئة للسيادة الطبقية ، هيئة لظلم طبقة من قبل طبقة أخرى ، هي تكوين " نظام" يمسح هذا الظلم بمسحة القانون و يوطده، ملطّفا إصطدام الطبقات.**" (لينين " الدولة و الثورة " ، دار التقدّم موسكو ، الطبعة العربية ، الصفحة 8).

ماركسيّا و لينينيّا ، الدولة ليست جهازا محايدا بل هي جهاز لسيطرة طبقة (او طبقات) على طبقة (أو طبقات أخرى) و دولة الإستعمار الجديد فى تونس دولة طبقية تمثّل و تخدم مصالح الكمبرادور و الإقطاع المتحالفين مع الإمبريالية العالمية . بيد أنّ هذا الحزب الجديد و قياداته المتقلّبة مع كلّ ريح ينزعون عن الدولة طابعها الطبقي كلّما عنّ لهم ذلك خدمة لخطّ الحزب الإيديولوجي و السياسي الإنتقائي . فالهدف الذى يكرّرونه هو " تفكيك الدكتاتورية " و آليّاتها ما يملى علينا التوقّف وقفة لنقول لأصحاب هذا الحزب : أيها المحترمون متى لم تكن الدولة " دكتاتورية " ؟ كلّ دولة أداة قمع و سيطرة طبقية و بالتالي دكتاتورية ، و حتّى الدولة الإشتراكية الحقيقية ذاتها التى تسمّى دكتاتورية البروليتاريا أداة قمع و سيطرة طبقية و إن كانت تختلف عن الدول الأخرى فى كونها تسعى جاهدة من أجل تجاوز الإختلافات الطبقية و علاقات الإنتاج و العلاقات الإجتماعية و الأفكار المتناسبة معها ، التى أفرزت الإنقسام إلى طبقات و من ثمّة هي تسعى جاهدة من أجل إضمحلالها و إضمحلال أي جهاز مختصّ فى القمع الطبقي .

" إن أشكال الدول البرجوازية فى منتهى التنوع ، و لكن كنهها واحد : فجميع هذه الدول هي بهذا الشكل أو ذاك و فى نهاية الأمر ديكتاتورية البرجوازية على التأكيد . و يقينا أن الإنتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية لا بد و أن يعطى وفرة و تنوعا هائلين من الأشكال السياسية ، و لكن فحواها ستكون لا محالة واحدة : ديكتاتورية البروليتاريا ."

(لينين " الدولة و الثورة " ، دار التقدّم موسكو ، الطبعة العربية ، الصفحة 37).

هذه واحدة تضيئ فى الثوريين و الثوريات نور الحقيقة فى المجتمع الطبقي و إليها نضيف أيها "المحترمون" الذين يجب أن يشكّ من يبحث عن الحقيقة فى صفاء طويتكم أنّ مفهومكم للدكتاتورية و الديمقراطية مفهوم برجوازي مبتذل يجعل الدكتاتورية و الديمقراطية يتنافيان مثاليّا و الحال أنّهما تناقض / وحدة أضداد و نشرح فنقول إنّ كلّ دكتاتورية ديمقراطية و كلّ ديمقراطية دكتاتورية فديمقراطية سادة العبيد ديمقراطية للسادة و دكتاتورية ضد العبيد و ديمقراطية البرجوازية ديمقراطية لهذه الطبقية و قد توسّعها لحلفائها أو تضيقها إلى فئة مهيمنة داخل هذه

الطبقة ، وهي فى نفس الوقت دكتاتورية ضد البروليتاريا و الطبقات الكادحة بوجه خاص. و دكتاتورية البروليتاريا هي دكتاتورية البروليتاريا و حلفائها ضد البرجوازية خاصة و الرجعيين عامة وهي فى نفس الوقت ديمقراطية فى صفوف الشعب . لذلك صار الكثير من الشيوعيين الحقيقيين يعتمدون مصطلحات الديمقراطية / الدكتاتورية البرجوازية و دكتاتورية / ديمقراطية البروليتاريا كتعبير أدقّ مادي جدلي عن وحدة أضداد / تناقض عن طبيعة الدولة الطبقية التى تمسك بزمامها البرجوازية و تلك التى تمسك بزمامها البروليتاريا .

و فى تاريخ الماركسية - اللينينية - الماوية ، قد سبق و أن إستعمل كلّ من لينين و ماو تسى تونغ مفهوم الدكتاتورية الديمقراطية و من ذلك :

- **" يقينا أنّ الدروس المستخلصة من التجربة الألمانية ، التى أنارها ماركس ، لا يمكن لها أن تقودنا إلى أي شعار من أجل إنتصار حاسم تحرزه الثورة غير شعار الديكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا و الفلاحين "** .

(لينين " خطّتا الإشتراكية – الديمقراطية فى الثورة الديمقراطية "، فقرة " المفهوم البرجوازي المبتذل عن الديكتاتورية و مفهوم ماركس عنها ").

- **" إن الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية تتطلب قيادة الطبقة العاملة ، لأنها هي الطبقة الوحيدة النافذة البصيرة و أكثر الطبقات إنكارا للذات ، كما أنها أكثر الطبقات حزما فى الثورة . و يبرهن تاريخ الثورات بأكمله على أن الثورة تفشل إذا كانت بدون قيادة الطبقة العاملة و أنها تنتصر إذا قادتها هذه الطبقة."**

(ماو تسى تونغ - " الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية "، 30 يونيو – حزيران 1949 ، المجلّد الرابع ، الصفحة 41).

- **" إنّ دولتنا هي دولة الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية التى تقودها الطبقة العاملة و تقوم على أساس التحالف بين العمّال و الفلاحين ."**

(ماو تسى تونغ -" حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب " 27 فبراير - شباط 1957).

يركّز الحزب الموحّد ، من منطلق برجوازي صغير ، على الدكتاتورية و يدعو إلى تفكيكها دون تحديد طبيعتها الطبقية و دون فهم أنّها ديمقراطية أيضا لمن كان يتمتّع بها و إن ضاقت حدودها أحيانا. فبن علي مارس الدكتاتورية ضد جماهير شعبها و لكن هذه الدكتاتورية هي دكتاتورية التحالف الطبقي الحاكم المتحالف مع الإمبريالية العالمية و ليست دكتاتورية خارج الطبقات ، تغيّر شكلها و نطاقها على مرّ السنين . فغبيّ من ينسى أن بن علي إستطاع فى فترة ما أن يوحّد و يجمع حوله ليس الكمبرادور و الإقطاع و الإمبريالية العالمية فحسب بل إستطاع أيضا أن يخدع و يجلب إلى دائرة حكمه و برامجه و سياساته و لو أنّها لا وطنية و لا ديمقراطية و لا شعبية جوهريّا ، شرائحا مختلفة من البرجوازية الصغيرة و فئات من الجماهير الكادحة بفعل الأوهام التى بثّها و القمع الذى توخّاه فتمكّن من توسيع جبهة حكم دولة الإستعمار الجديد و من تعبيرات ذلك مثلا " الميثاق الوطني". و من لا يرى هذا أعمى بعيون إنتهازية .

لكن هذا الوضع لم يستقرّ و لم يستمرّ و إضطرّ بن علي إلى ممارسة الدكتاتورية حتى المفتوحة منها ضد من مارس معهم سابقا الديمقراطية و فرض عليه تطوّر الصراع الطبقي (دون الدخول فى التفاصيل) تقليص دائرة الديمقراطية فى جبهته و توسيع إطار القمع و مركزة أكثر فأكثر للسلطة فى دائرة آخذة فى الضيق و العزلة بلغت أشدّها قبيل الإنتفاضة الشعبية التى ضغطت فأتت ما يعتبره البعض معجزة أي كسرت نواة السلطة العليا التى غدت معزولة و حرقت أوراقها ففرّ بن علي هاربا ليفسح المجال لإعادة هيكلة الدولة التى لم تسقط و لم تتحطّم بل أصيبت برجّة أسقطت رأسها و ظلّت أعمدتها قائمة و قادرة على إنتاج لا رأسا آخر وحسب بل رؤوسا إن لزم الأمر و بالسرعة المطلوبة .

و الجيش عماد هذه الدولة التى لم تتحطّم ظلّ دون مساس وهو يتحكّم من خلف الستار غالبا و بسفور أحيانا فى لعبة إعادة هيكلة دولة الإستعمار الجديد و إن لزم الأمر يتولّى الحفاظ على مصالح الطبقات الحاكمة و الإمبريالية العالمية بالطرق التى يرونها صالحة لا يستثنون منها طريقا. و إمكانيات إنقلاب عسكري إن إستعصى الأمر على القوى السياسية و الشرطة التحكّم فى مجريات الصراع الطبقي واردة و لا نقول إنّها متأكّدة الحصول ، على نطاق ضيّق محلّي أو جهوي أو نطاق واسع قطري هذا ما لا نغامر بالتنبؤ به إذ هو رهين معطيات كثيرة ، متداخلة و معقّدة .

و عليه ، لسنا نغالي إذا قلنا إنّ حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد يطمس شأنه شأن فرسان الأممية الثانية خلال الحرب العالمية الأولى الذين فضح لينين تحريفيتهم ، طبيعة الدولة الطبقية و ينشر الأوهام البرجوازية حولها و بتشديده على " تفكيك الدكتاتورية " و عدم شرحه للجماهير الواسعة طبيعتها الطبقية و علاقتها بالديمقراطية الطبقية لإنارة العقول بالحقيقة من أجل تغيير العالم ثوريّا وهو أمر يحتاج إليه قبل كلّ شيء و أكثر ما يحتاج إليه شعبنا ، يغرس مسمارا آخر فى جسد دكتاتورية البروليتاريا إذ كيف سيدافع (و لو إفتراضا لأنّ دكتاتورية البروليتاريا غائبة من قاموسه) هذا الحزب عن دكتاتورية البروليتاريا / دولة الإشتراكية كمرحلة إنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية ، وهو ما ينفكّ يشجب " الدكتاتورية " بصورة عامّة ؟

و الواقع المعيش ما يفتأ يكذّب أطروحات هذا الحزب بشأن الموضوع الذى نحن بصدده كما بشأن عدّة مواضيع أخرى سبق و أن تناولناها أو سنتناولها لاحقا . فدكتاتورية دولة الإستعمار الجديد لم يقع تفكيكها وهي تعمل و تواصل عملها إلى اليوم و قد كوت نارها الجماهير الشعبية فى البلاد بطولها و عرضها ؛ فى المنازل و الشوارع و الأحياء و المدن و حتى مناضلي و مناضلات هذا الحزب ذاته ؛ و أكثر من ذلك هي تستعيد عافيتها بعد أن إرتجّت بها الأرض نوعا ما و ما سقطت ، و لكنّها ما تفكّكت و الدولة التى يقف الجيش عنصرها الرئيسي عمادا لها هي التى تمارس هذه الدكتاتورية ضد جماهير شعبنا و تمارس أيضا الديمقراطية فى صفوف من يخدمها فى الوقت الراهن ومن لا يعمل على الإطاحة بها و هي صفوف قد تضيق و تتوسّع حسب مقتضيات هذه الدولة و الظروف الداخلية والخارجية التى تمرّ بها . ودون محو الفروقات، لا ننسى أن دولة الإستعمار الجديد سبق و أن إستعملت لعبة الديمقراطية و الإنفتاح فى بداية ثمانينات القرن العشرين و سرعان ما إلتجأت مجدّدا إلى القمع المفضوح أو المتستّر بوتائر و على نطاقات شتّى و كان للجيش دور فى ذلك كما يعلم من درس أو شهد تلك الفترة من "العهد البورقيبي".

من يتخيّل أنّ فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة ثمّة إمكانية وجود ديمقراطية برجوازية على النمط الغربي حيث غالبا ما تتسع الديمقراطية إلى الطبقات الوسطى و البرجوازية الصغيرة و حتى إلى شريحة الأرستقراطية العمالية مع إستعمال الدكتاتورية السافرة

و القمع المسلّح إن خرجت نضالات البروليتاريا و الجماهير الشعبية إلى حدود عن السيطرة ، فواهم و مريض لا يرجى شفاؤه خاصة إذا كانت له عيون ليرى ما يجرى فى العالم . غالبا ما يكون شكل الحكم فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة دكتاتوريّا مفضوحا و دمويّا إن لزم الأمر بالنسبة للطبقات الحاكمة و أحيانا و لمدد قصيرة تتمّ عملية " إنفتاح ديمقراطي" للتنفيس و المغالطة و تجميل وجه الدولة و إعادة هيكلتها سرعان ما تتلوها حملات قمع الدولة البوليسية التى لا تتورّع عن اللجوء للرصاص و المجازر الجماعية إن إقتضي الأمر و تجارب القطر و أقطار عربية أخرى و الفليبين و الشيلي و بلدان أمريكا اللاتينية و غيرها تنهض شاهدا على هذا . الديمقراطية القديمة لم تعد ممكنة فى المستعمرات و أشباهها و المستعمرات الجديدة ، الديمقراطية البرجوازية لم تعد ممكنة فى هذه البلدان فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية . و ما ظلّ ممكنا هو الديمقراطية الجديدة وبهذا المضمار مفيد للغاية الإطلاع على ملاحق هذا العمل التى يحتاج إليها أشدّ الحاجة من يريد حشد قواه والإنكباب على بحث الفروقات بين الديمقراطية القديمة و الديمقراطية الجديدة بهدف رفع الوعي الطبقي الشيوعي الثوري.

2- الديمقراطية "الخالصة " أم الديمقراطية الطبقية ؟

فى هذا الباب أيضا كسائر التحريفيين و البرجوازيين المروّجين لحياد جهاز الدولة يطعن مؤسّسو الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد الطبيعة الطبقية للديمقراطية مثلما طعنوا الطبيعة الطبقية للدكتاتورية . و قد بلغت بهم الهلوسة البرجوازية الصغيرة حدّ إعتبار ما جدّ فى تونس " ثورة ديمقراطية " و " ثورة ديمقراطية إجتماعية " دون إضافة أي نعت طبقي (هذا بقطع النظر عن كون ما جدّ ليس ثورة أصلا بل هو إنتفاضة شعبية و قد حبّرنا بعض الصفحات من قبل بهذا المضمار.) و قد بلغ بهم الإستهتار بالحقيقة و الغرق فى مستنقع أوهام الديمقراطية البرجوازية أن جعلوا من " الديمقراطية " فى عداء سافر للينينية ، فى الصفحة 6 من عدد جوان 2011 من " الوطني الديمقراطي " مطلب البشرية جمعاء" و " مفهوما إنسانيا كونيا " .

و من يسلك نهج نزع الطبيعة الطبقية للديمقراطية و يغالط المناضلات و المناضلين و الجماهير الشعبية العريضة يحوّر الماركسية تبعا للإنتهازية و بالتأكيد ليس من تلامذة لينين و إنّما من أعدائه فلينين كان صارما حاسما فى فهمه الطبقي لطبيعة الديمقراطية :

" طالما هناك طبقات متمايزة ، ـ و طالما لم نسخر من الحسّ السليم و التاريخ ، ـ لا يمكن التحدث عن " الديمقراطية الخالصة" ، بل عن الديمقراطية الطبقية فقط (و نقول بين هلالين إنّ " الديمقراطية الخالصة" ليست فقط صيغة جاهلة تنم عن عدم فهم لنضال الطبقات و لجوهر الدولة على حدّ سواء ، بل هي أيضا صيغة جوفاء و لا أجوف، لأنّ الديمقراطية، ستضمحلّ ، إذ تتطور فى المجتمع الشيوعي و تتحوّل إلى عادة، و لكنها لن تصبح أبدا ديمقراطية " خالصة".

إنّ " الديمقراطية الخالصة " ليست سوى تعبير كاذب للبيرالي يخدع العمّال . إنّ التاريخ يعرف الديمقراطية البرجوازية التى تحلّ محلّ النظام الإقطاعي ، و الديمقراطية البروليتارية التى تحلّ محلّ الديمقراطية البرجوازية ")."

و إذا و بإختصار شديد بكلمات لينين ، مفهوم مؤسسى الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد و كوكبة نقّاد الشيوعيّة الثورية من أمثالهم " صيغة جوفاء و لا أجوف " و " تعبير كاذب للبيرالي يخدع العمّال ".

و نطلب من القرّاء أن يتذرّعوا بالصبر و أن يسمحوا لنا هنا بأن نضيف ما كتبناه فى العدد6 / جانفي 2012 من نشرية " لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية ! " مجادلين بالذات ضد الديمقراطية " الخالصة "(مقتطف من نصّ " تونس : أنبذوا الأوهام و إستعدّوا للنضال! - خطوة إلى الأمام ، خطوتان إلى الوراء !") :

" لا للأوهام الديمقراطية الرجوازية ! :

أ – الديمقراطية / الدكتاتورية :

ما إنفكّ حزب العمّال و حركة الوطنيين الديمقراطيين و قبلهم و إلى جانبهم على الساحة السياسية ، الحزب الإشتراكي اليساري – فى الحقيقة " الرأسمالي اليميني "- و حركة التجديد و قوى عديد أخرى يبثّون الأوهام البرجوازية الصغيرة حول مسألة الديمقراطية. دون مراوغة و مباشرة نقولها : إنّ حزب العمّال و حركة الوطنيين الديمقراطيين الذين يدعيان تبنّى اللينينية ينظّران و يمارسان فى تضارب تام مع اللينينية التى هي منهما براء. إنّهما مرتدّان . متحدثا عن مرتدّ آخر ، كاوتسكي فى"الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي " (ص18)، أوضح لينين :

" أنّه طالما هناك طبقات متمايزة ، - و طالما لم نسخر من الحسّ السليم و التاريخ ، - لا يمكن التحدث عن " الديمقراطية الخالصة" ، بل عن الديمقراطية الطبقية فقط (و نقول بين هلالين إنّ " الديمقراطية الخالصة" ليست فقط صيغة جاهلة تنم عن عدم فهم لنضال الطبقات و لجوهر الدولة على حدّ سواء ، بل هي أيضا صيغة جوفاء و لا أجوف، لأنّ الديمقراطية، ستضمحلّ ، إذ تتطور فى المجتمع الشيوعي و تتحوّل إلى عادة، و لكنها لن تصبح أبدا ديمقراطية " خالصة".)

فلينين أكّد أنّه لا وجود لديمقراطية خالصة ، فوق الطبقات و أنّ ما هناك إلاّ ديمقراطية طبقية و أنّ كلّ ديمقراطية هي فى آن واحد دكتاتورية ؛ ديمقراطية لطبقة أو طبقات و دكتاتورية ضد طبقة أو طبقات (و قد تعمّقنا فى هذه المسألة فى مقال " أنبذوا الأوهام البرجوازية الصغيرة حول الإنتفاضة الشعبية فى تونس "، الحوار المتمدّن) فى حين أنّ هؤلاء روّجوا خيالات عن ديمقراطية لا طبقية - سياسية و إجتماعية – و ما من مرّة نعتوها أو حدّدوها طبقيّا و بذلك ساهموا و يا لها من مساهمة فى تضليل المناضلين و المناضلات و الجماهير الشعبية .

إنّهم لم يقوموا باللازم لينينيّا لشرح علاقة الديمقراطية بالدكتاتورية طبقيّا و بأنّ كل ديمقراطية هي بالضرورة دكتاتورية : ديمقراطية لأقلية أو أغلبية و دكتاتورية ضد أغلبية أو أقلية و مثال ذلك فى كتاب لينين " الدولة و الثورة" أنّ الديمقراطية البرجوازية ديمقراطية للأقلية و دكتاتورية ضد الأغلبية بينما دكتاتورية البروليتاريا / ديمقراطية البروليتاريا هي فى آن أيضا ديمقراطية الأغلبية دكتاتورية ضد الأقليّة.

و كذلك لم يبذل مدّعو تبنّى اللينينية قصارى الجهد – فى الواقع لم يبذلوا أي جهد – لتفسير أنّ لكلّ طبقة ديمقراطيتها و أنّ الديمقراطية ذاتها كشكل للدولة مآلها تاريخيا الإضمحلال مع إضمحلال الدولة مثلما بيّن ذلك لينين فى " الدولة و الثورة " أنّ " **الديمقراطية البروليتارية لأكثر ديمقراطية بمليون مرّة من أية ديمقراطية برجوازية** " (لينين " الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي " ، دار التقدّم ،موسكو ، الطبعة العربية ، الصفحة 25).

و ليعلم مؤسّسو الحزب الجديد أن الديمقراطية البرجوازية وحتى البروليتارية المناقضة لها ، لينينيّا مآلهما الإضمحلال مستقبلا. و من أوكد واجبات الشيوعيين و الشيوعيات النضال بلا هوادة فى سبيل أن تعوّض ديمقراطية / دكتاتورية البروليتاريا ديمقراطية / دكتاتورية البرجوازية ثم مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية/ ديمقراطية البروليتاريا من أجل إضحلال الديمقراطية جميعها مع إضمحلال الدولة بما يعلن عالميّا بلوغنا هدفنا الأسمى ، الشيوعية كمجتمع خال من الطبقات لا حاجة فيه للدولة و لا للديمقراطية كشكل من أشكالها.و قد نبّهنا لينين في " الدولة و الثورة " لحقيقة أنّ :

" الديمقراطية هي أيضا دولة و أنّ الديمقراطية تزول هي أيضا ، تبعا لذلك ، عندما تزول الدولة ". (المصدر السابق ، الصفحة 20). (إنتهي المقتطف)

3- حزب لينيني أم سفينة نوح؟

معلّقا على المؤتمر التوحيدي ، أفصح أحدهم : ألا ترون معى أنّ الحزب الذى أفرزه سفينة نوح . نعم نرى أنّ هذا المؤتمر مثّل و افرز سفينة نوح حيث ضمّ هذا الحزب الجديد إلى صفوفه أرهاطا متنوّعة من " الوطنيين الديمقراطيين" منحدرين من شتى المجموعات السياسية التى نشطت فى وقت من الأوقات و لمدد طويلة أو قصيرة تحت مسمّى الوطنية الديمقراطية و الأسماء التى يستدلّ بها على ذلك كثيرة و معروفة . فالمؤتمر أراد أن يكون توحيديّا لكافة الوطنيين الديمقراطيين و بالتالى فتح الحزب ذراعيه و أبوابه على مصاريعها لكلّ من هبّ و دبّ من الإنتهازيين ، لكلّ من إدعى و يدّعى الوطنية الديمقراطية (مع إستثناءات نادرة جدّا). لا قراءة لتاريخ " الخط" و لا مبادئ شيوعية توحّدهم ، فقط إنتماء تاريخي و طريق إنتخابي ديمقراطي برجوازي قد يعيه بعض القادة و قد لا يفقه البقية شيئا من تضاربه مع الماركسية – اللينينية .

و تشكّلت القيادة الحالية بصورة توافقية و ليس بالإنتخاب ،" من كلّ زوجين إثنين" ، من حركة الوطنيون الديمقراطيون و حزب العمل الوطني الديمقراطي (تيار التوحيد) ، إضافة إلى عناصر يقال إنّها مستقلّة أي لم تنتمى لهذين الحزبين ، وذلك فى تضارب تام مع النقطة 24 من الفصل التاسع من " النظام الداخلي لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد " الذى صادق عليه المؤتمر : " ضمان حرية التنافس بين المترشّحين إلي الهياكل الحزبية القيادية و حقّ الناخبين فى الإعتراض عليهم أو مطالبتهم بتوضيح آرائهم و مواقفهم تجاه أيّة قضية ".

يتشدّقون بالديمقراطية (البرجوازية) و فى مؤتمرهم التوحيدي لا يطبّقونها حتى بل يكرّسون التعيين البيروقراطي فى سفينة نوح هذه . هذه فقط البداية !

و ننصرف إلى الوثيقة المخصّصة للهوية الفكرية و الطبقية و بالذات إلى جملها الأولى حيث يتمّ الحديث عن أنّ هذا الحزب هو تتويج نوعي لما راكمه هذا "الخطّ " من فكر سياسي و مرجعية نظرية...إلاّ أن واقع سفينة نوح يسفّه هذا الكلام إذ لم تحصل مراكمة بقدر ما حصل إفراغ لمقولات " الخط" و إنحراف به و تغيير لونه و تحويله من " خطّ " ثوري رئيسيّا إلى خطّ إصلاحي . أو إذا شئتم حصلت مراكمة لكن مراكمة ماذا ؟ مراكمة كمّية للإنحرافات و المواقف و السلوكات الإنتهازية الديمقراطية البرجوازية و الإبتعاد أكثر فأكثر عن الروح الثورية للشيوعية ما تسبّب فى تحوّل نوعي فى طبيعة هذه المجموعات المؤسسة للحزب الموحّد.

لقد جرت عملية تقليم أظافر و مخالب " الخطّ " و حقنه بجرعات متتالية من الديمقراطية البرجوازية بما يناسب دولة الإستعمار الجديد و العمل السياسي القانوني فى إطارها . مخالب

الأسد و أنيابه إنتزعت و بات قطّا أليفا . نزعوا الروح الثورية " للخطّ " ، روحه الشيوعية الثورية متخلّين عن الخطّ الإيديولوجي و السياسي الثوري و من مكوّناته المشروع الشيوعي و الماركسية- اللينينية - الماوية و العنف الثوري و حرب الشعب و الحزب اللينيني و نقد التحريفية و الإصلاحية إلخ ، ليرتموا فى أحضان الإصلاحية و البيروقراطية النقابية و يقبلوا بدولة الإستعمار الجديد و بلعبتها الديمقراطية البرجوازية ، ديمقراطية الإستعمار الجديد قولا وفعلا.

و فى هذا السياق يمكن فهم إفراغ " الخط " من روحه الشيوعية الثورية و ذرّا للرماد فى العيون عدم تمسّك مؤسسي هذا الحزب إلاّ بالإسم " الوطني الديمقراطي" وبعض المقولات العامة لأواسط السبعينات و التى تقبل بها و ترضى عنها دولة الإستعمار الجديد و جيشها الذى كال له الأمين العام لهذا الحزب المديح ، له و لشرعية حكومتها التى يقدّسون جميعا كإصلاحيين ملتزمين بديمقراطية دولة الإستعمار الجديد شرعيتها الإنتخابية .

سفينة نوح هذه جمّعت الكثير و الكثير من العناصر الإنتهازية الشهيرة فى عدّة حقول و قلّة قليلة من العناصر النزيهة المغرّر بها أو التى جرفها التيار و لم تفهم الرهان ؛ سفينة نوح وحّدت عناصرا كانت تتقاتل أشدّ القتال من أجل نيل رضى البيروقراطية النقابية ، عناصرا باعت قضايا العمّال و عقدت تحالفات مشبوهة و عاشت و تعيش حياة برجوازية و من الأفكار حملت أساسا أفكارا برجوازية و سلوكها سمته الرئيسية برجوازي ليبرالي و نحو ذلك كثير و خطير...

هل خاضت صفوف هذا الحزب فى المؤتمر التوحيدي فى تاريخ الشيوعية و فى التجارب الإشتراكية و قيمتها و إستخلصت الدروس الإيجابية منها و السلبية ؟ لا وثيقة من وثائق المؤتمر إياه تعكس ذلك أو تشير إليه. هل قيّمت حاضر الحركة الشيوعية العالمية و صراعاتها ؟ لا أثر لهذا فى وثائق المؤتمر . هل خاضت فى تاريخ " الخطّ " (و لا نودّ هنا الخوض فى معنى هذا المصطلح و إستعمالاته) و قيّمته و إستنتجت منه عبرا و دروسا سياسية و إيديولوجية إلخ؟ لوائح المؤتمر و وثائقه الأخرى تشهد بعدم القيام بذلك .

و إذن نخلص إلى إستنتاج أنّ مؤسسي هذا الحزب أفرغوا " الخطّ " من الجانب الإيديولوجي و السياسي الذى قد يشكّل بالنسبة لهم قنابلا قابلة للإنفجار فى وجوههم فى أية لحظة و قادرة على تفتيت الوحدة غير المبدئية أصلا ، سالكين سياسة النعامة تجاه أمهات القضايا الإيديولوجية و السياسية من وجهة النظر البروليتارية و ملؤوا الإطار المفرغ من الروح الثورية بأوهام ديمقراطية برجوازية محافظين على قشرة " الوطني الديمقراطي". إنّهم أشبه بالتجّار و رأس مالهم هو تاريخ " الخطّ" و كبعض التجّار أيضا يعرضون بضاعة على أنّها طازجة و نضرة إسمها " وطني ديمقراطي " للإغراء و لماّ نمعن النظر فيها من كلّ الجهات نجدها مغشوشة فاسدة .

أمّا اللينينية فمن سفينة نوح و سياسة النعامة براء. و منذ قرن وعقد تقريبا ، أعلن لينين فى " ما العمل؟ " :

1- **" ونحن نعلن : " قبل أن نتحد و لكيما نتحد ينبغى فى البدء أن نعين بيننا التخوم بحزم ووضوح ".**

2- **" ينبغى للمرء أن يكون قصير النظر حتى يعتبر الجدال بين الفرق و التحديد الدقيق للفروق الصغيرة أمرا فى غير أوانه أو لا لزوم له. فعلى توطد هذا "الفرق الصغير" أو ذاك قد يتوقف مستقبل الإشتراكية – الديمقراطية [لنقرأ الشيوعية] الروسية لسنوات طويلة ، طويلة جدا."**

وتتكرّر فى وثائق هذا الحزب الإصلاحي صفة الطليعي التى يحاولون إلصاقها به ما يملي علينا قول إنّ الحزب الموحّد بمكوّناته و خطّه الإيديولوجي و السياسي التحريفي المناهض للماركسية - اللينينة ، لا يسعه أن يكون حزبا طليعيا فالحزب الطليعي لينينيا هو الحزب الشيوعي و الحزب الموحّد ليس شيوعيّا و لا يمكن للأسباب المذكورة أعلاه أن يكون شيوعيّا. و " **لا يستطيع القيام بدور مناضل الطليعة إلاّ حزب يسترشد بنظرية الطليعة** "(لينين :" ما العمل؟ ") أي علم الثورة البروليتارية العالمية ، علم الشيوعية.

و بعد إماطة اللثام هذه عن جوانب من حقيقة هذا الحزب، نتوقّع أنّ بسمة القرّاء الفطنين الناعمة ستنقلب إلى قهقهة عاصفة عندما يستمعون إلى الحزب الموحّد يقول إنّه حزب ماركسي – لينيني و حزب طليعي .

4- النظرية الثورية أم الأفكار الرجعية و البرجوازية السائدة ؟

مرّ بنا طمس جماعة حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد لطبيعة الدولة الطبقية و لطبيعة الدكتاتورية و الديمقراطية و لطبيعة الحزب اللينيني ما يجعله فى آخر المطاف يطمس الوعي الطبقي السياسي لدي المناضلات و المناضلين و الجماهير الشعبية العريضة. أيمكن من وجهة النظر البروليتارية ، أن نقول عن المناضل الذى لا يدرك طبيعة الدولة والدكتاتورية و الديمقراطية والحزب اللينيني أنّه واع طبقيّا ؟ لا ، لا يمكن ذلك فالعامل - ليس البرجوازي الصغير - الذى يعى إضطهاده وإستغلاله و مصالحه الطبقية بشكل عام دون أن يعمل من أجل طبقته و يظلّ تحت مظلّة البرجوازية و دولتها ، لا يعدّ واعيا طبقيّا هو الآخر . و علاوة على هذا يشوّه الحزب الموحّد فهم ما حدث فى تونس فيروّج له ، على غير الصواب ، على أنّه ثورة ديمقراطية و الحال أنّه ليس كذلك و إنّما هو إنتفاضة شعبية على وجه الضبط و حسبنا هنا أن نذكّر بمفهوم الثورة و أنّه لا ينطبق على ما وقع فى القطر. و لنا عودة للمسألة لاحقا.

" فهل رأي هؤلاء السادة ثورة فى يوم ما ؟ إنّ الثورة هي دون شكّ سلطة ما بعدها سلطة ، الثورة هي عمل يفرض به قسم من السكّان إرادته على القسم الآخر بالبنادق ، بالحراب ، بالمدافع ، أي بوسائل لا يعلو سلطانها سلطان ."

(لينين :" الدولة و الثورة " ، الصفحة 66).

" ليست الثورة مأدبة و لا كتابة مقال و لا رسم صورة و لا تطريز ثوب ، فلا يمكن أن تكون بمثل تلك اللباقة و الوداعة و الرقة ، أو ذلك الهدوء و اللطف و الأدب و التسامح و ضبط النفس . إن الثورة إنتفاضة و عمل عنف تلجأ إليه إحدى الطبقات للإطاحة بطبقة أخرى . "

(ماو تسى تونغ : " تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى خونان " مارس – آذار 1927، المجلد الأول من مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " ، الصفحة 12-13 ، باللغة العربية).

و لا يستغربنّ أحد تجاهل الجماعة الخوض فى المسائل النظرية التى ذكرنا فى النقطة السابقة بل و حتى إستهتارهم بالنضال على الجبهة النظرية وإنكارهم له . إنّهم لم يطرحوا على بساط البحث على سبيل المثال ، الدفاع عن الشيوعية التى تتعرّض لهجوم سافر منذ عقود الآن كما لم يطرحوا على بساط البحث لماذا و كيف تمّت إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي وفى الصين... هذه الأمور ليست من شغلهم الشاغل و لماذا يتكبّدون عناء البحث فيها و مشروعهم فى نهاية

المطاف وعمليّا كإصلاحيين لا يتجاوز حدود العمل فى إطار دولة الإستعمار الجديد و تحسينها ومن ينكبّ على تلك المهمّة و يحاججهم و يبيّن بالملموس " تنازلهم" النظري و مساومتهم بالمبادئ وهي أمور حذّر منها ماركس ينعتونه بعبادة الكتب " المحنّطة " و بتحجّر الفكر.

و نضرب مثلا. صبت الصفحة الأخيرة من عدد جوان 2011 من " الوطني الديمقراطي " جام غضبها على المدافعين عن الماركسية و المستشهدين بأعمال الرموز التاريخية للشيوعية الثورية و المعبّرين عنها أفضل تعبير مطلقة نيران التشويه :" عادت إلى معجم اليسار بدائل " التكفير الأحمر" و تمت إعادة الحياة إلى أرثوذكسية يسراوية طفولية مقيتة ، فبداعي النقاء الثوري و التمسّك " بالسلف الثوري " عاد بعض من اليسار إلى " التحريفية و أعداء الشعب و الطبقة العاملة " و إنتصبت محاكم " الثورة و الكتب المحنّطة"..."

" و هكذا نرى أنّ العبارات الطنانة عن تحجّر الفكر، و ما إلى ذلك ، تخفى وراءها عدم الإهتمام بتطوير الفكر النظري و العجز عن تطويره ".(لينين :"ما العمل؟ ").

و الصراع على الجبهة النظرية غائب بارز فى وثائق المؤتمر التوحيدي فى حين أنّه قبل أكثر من قرن أعاد لينين للأذهان ما أفصح عنه إنجلز من تكامل الجبهات النضالية الثلاث النظرية و السياسية و الإقتصادية قائلا :

" ان انجلس لا يعترف بشكلين اثنين فى نضال الاشتراكية - الديمقراطية [الشيوعية] العظيم (سياسي و اقتصادي) ... بل يعترف بثلاثة أشكال واضعا فى مصاف الشكلين المذكورين النضال النظرى ." (لينين " ما العمل؟ ").

و غني عن البيان أن من أشهر جمل لينين المعروفة هي " لا حركة ثورية دون نظرية ثورية " التى لخّص فيها حقيقة ما فتأت الوقائع التاريخية تأكّد صحّتها ، و ما إنفكّ تاريخ الصراع الطبقي يؤكّد أنّ غياب النظرية الثورية يعنى عدم وجود حركة ثورية . قد توجد حركات إحتجاج و تمرّد لكنّها تظلّ عفوية و تظلّ البرجوازية قادرة على إستيعابها لأنّها لم تخرج عن نطاق إيديولوجية الطبقة أو الطبقات السائدة كما عبّر عن ذلك ماركس .

من الطبيعي أن تحتجّ الطبقات المضطهَدة و المشتغَلّة وأن تتمرّد و تنتفض على ما تعانيه بيد أنّه :
" يجب أن يكون هناك حزب ثوري ما دمنا نريد الثورة . و بدون حزب ثوري ، حزب مؤسس وفق النظرية الماركسية اللينينية الثورية و طبق الأسلوب الماركسي اللينيني الثوري، تستحيل قيادة الطبقة العاملة و الجماهير العريضة من الشعب و السير بها إلى الإنتصار على الإمبريالية و عملائها. "

(ماو تسى تونغ :" قوى العالم الثورية ، إتحدي و قاومي العدوان الإمبريالي" (نوفمبر ، تشرين الثاني – 1948) ، المؤلفات المختارة ، المجلّد الرابع.)

و هذا الحزب الثوري هو الذى سينقل الوعي الطبقي ، الوعي الشيوعي الثوري للبروليتاريا وكافة الطبقات المعنية بالثورة و من هناك ينتج شعبا ثوريّا يقوم بالثورة بقيادة هذا الحزب الشيوعي الطليعي . و هذه الحقيقة لا يستسيغها الحزب الموحّد الذى يسوّق لممارسة " ثورية " (هي فى الواقع إصلاحية) دون نظرية ثورية يعوّضها فى الواقع بأوهام ديمقراطية برجوازية . بمثالية ميتافيزيقية يسقط العلاقة الجدلية بين الممارسة الثورية و النظرية الثورية مثلما شرحها الرفيق ستالين فى " أسس اللينينية " :

" ان النظرية هي تجربة حركة العمال فى كل البلدان ، هي هذه التجربة مأخوذة بشكلها العام . و من الواضح أن النظرية تصبح دون غاية ، اذا لم تكن مرتبطة بالنشاط العملي الثوري ، كذلك تماما شأن النشاط العملي الذى يصبح أعمى اذا لم تنر النظرية الثورية طريقه . الا أن النظرية يمكن أن تصبح قوة عظيمة لحركة العمال اذا هي تكونت فى صلة لا تنفصم بالنشاط العملى الثورى ، فهي ، وهي وحدها ، تستطيع أن تعطي الحركة الثقة و قوة التوجه و إدراك الصلة الداخلية للحوادث الجارية ، وهي ، وهي وحدها ، تستطيع أن تساعد النشاط العملى على أن يفهم ليس فقط فى أي اتجاه و كيف تتحرك الطبقات فى اللحظة الحاضرة ، بل كذلك فى أي اتجاه و كيف ينبغى أن تتحرك فى المستقبل القريب. "

و كلّ تهاون فى الصراع النظري هو تهاون فى النضال الشامل للبروليتاريا و فتح للباب على مصراعيه لإستمرار هيمنة الأفكار الرجعية و البرجوازية السائدة و بالتالى عرقلة لبناء حركة ثورية حقّا فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية حيث كما قال لينين فى " ما العمل؟ " ، رئيسيا و مع مراعاة وجود إيديولوجيات أخرى :

" إمّا إيديولوجيا برجوازية و إمّا إيديولوجية إشتراكية " .

و نخلص إلى أنّ هذا الحزب الموحّد ، الحزب الماركسي المزيّف يجري بصورة ملحوظة تحوير التعاليم الثورية العظيمة تبعا لروح التفاهة و ضيق الأفق الإصلاحي الديمقراطي البرجوازي.

III- هل يطبّق حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد المادية الجدلية أم المثالية الميتافيزيقية ؟

متى كان يعتبر من ينكر الحقائق الملموسة مثل دكتاتورية البروليتاريا و الطبيعة الطبقية للدولة و للدكتاتورية و الديمقراطية ماديّا ؟ متى كان يُعتبر من ينكر جدلية التحطيم و البناء (تحطيم الدولة القديمة و تشييد الجديدة) و جدلية النظرية الثورية و الممارسة الثورية و جدلية الجزء و الكلّ (الأممية) جدليّا ؟ متى كان من يخلط بين المرحلة الإنتقالية و الهدف الأسمى الشيوعي ماديّا جدليّا ؟ و هلمجرّا .

نترك لكم الجواب و نمضى إلى النقاط الأربعة الأساسية التالية ، مأجلين التطرّق إلى جدلية الخاص و العام إلى حين معالجة نقطة " النظرية العامة للثورة و "الخصوصية " ضمن الفصل الرابع و غاضين النظر حاليّا عن كون المادية الجدلية لدي ماركس ليست هي ذاتها لدي لينين ثم لدي ماو تسى تونغ اللذان طوّراها فى أوجه عدّة ليس هذا مجال التمعّن فيها :

1- المادية الجدلية أم البراغماتية ؟

يترتّب على الذين يتبنّون اللينينة أن يكرّسوا مقولة لينين التالية :

" قبل أن نتحد و لكيما نتحد ينبغى فى البدء أن نعين بيننا التخوم بحزم و وضوح "

ذلك أنّها مادية جدلية بمعنى أنّها تحلّل الأشياء و الظواهر و السيرورات تحليلا ماديا جدليّا فتسعى جاهدة إلى البحث عن الحقيقة الملموسة ، حقيقة نقاط الإتفاق و نقاط الإختلاف لكن جماعة الحزب الموحّد بما هم معادون للينينية مثلما رأينا يتجاهلون هذا الواقع و يهرولون إلى إيهام الناس بوحدة يزعمون أنّها وحدة ثورية و ما هي كذلك بل هي وحدة إنتهازية براغماتية لا غير. غايتهم منها ليست بناء منظّمة حزبية على أساس مبادئ الشيوعية كهدف أسمى بوسائل و أساليب شيوعية و إنّما هي إيجاد قوّة إنتخابية فى أقرب وقت بغرض المشاركة فى لعبة إنتخابات ديمقراطية الإستعمار الجديد لمآرب شخصية وصولية للقيادات فى الأساس. و لنفس الغرض يقع التفكير فى وحدة أشمل مع حزب العمال التونسي الإصلاحي منذ ولادته ، وسيلتهم فى ذلك المتاجرة بتاريخ " الوطنيين الديمقراطيين ".

إنّ الحزب الموحّد شأنه شأن عديد الفرق " اليسارية " يكرّس النفعية / البراغماتية وهي فلسفة برجوازية تتنافي مع الشيوعية و من ميزاتها بإختصار البحث عن ما يوصل إلى الهدف فى أقصر وقت ممكن ، لا تهمّ الأساليب و النتائج المصاحبة عاجلا أم آجلا و لا أية مبادئ ؛ و عدم الإهتمام بالحقيقة لذا قد تعود النجاحات الظاهرية التى قد تحرزها بالوبال حيث لا تعتمد الواقع الموضوعي و التحليل الملموس للواقع الملموس و تفسير العالم من أجل تغييره ؛ و أولوية الأولويات لديها هي تحقيق الهدف الذاتي الفردي على غرار أنانية البرجوازي فى علاقة بالمجتمع .

و تجد هذه البراغماتية ترجمة لها مثلما رأينا وسنرى ، بشأن الحزب الذى ننقد ، فى " التكتيكات" الناجحة التى تبتلع الإستراتيجيا ، التكتيكات الديمقراطية البرجوزاية التى تلتهم المستقبل الشيوعي.

2- مزج الإثنين فى واحد أم إزدواج الواحد :

يقول لينين فى " فى مسألة الديالكتيك " : **إن إنقسام شيء واحد إلى شطرين و إدراك أجزائه المتناقضة هو جوهر الديالكتيك**" و يقول أيضا فى " ملخّص "علم المنطق" لهيغل" **:" يمكن تلخيص الديالكتيك و تعريفه بأنّه نظرية وحدة الضدّين ...**" (ذكره ماو تسيى تونغ ، صفحة 501 من المجلّد الأوّل من مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة ، باللغة العربية).

" تعتبر الفلسفة الماركسية أن قانون وحدة الأضداد هو القانون الأساسي للكون . وهو قانون مطلق الوجود سواء فى الطبيعة أو فى المجتمع البشري أو فى تفكير الإنسان . فبين الضدين فى تناقض ما توجد وحدة و صراع فى آن واحد، و هذا ما يبعث الحركة و التغير فى الأشياء . إنّ التناقضات موجودة فى كلّ شيء ، إلاّ أنّ طبيعتها تختلف بإختلاف طبيعة الأشياء . فالوحدة بين الضدين فى التناقض الكائن فى كلّ شيء محدّد هي ظاهرة مقيدة ، و مؤقتة ، و إنتقالية ، وهي لذلك نسبية ، أمّا الصراع بينهما فإنه يبقى مطلقا دون تقييد . "

(ماو تسى تونغ :" حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب" ؛27 فبراير – شباط – 1957)

و مفاد هذا أنّ إزدواج الواحد هو قانون التناقض/ وحدة الأضداد و تطبيقه فى التحليل الملموس للواقع الملموس يقتضى فى علاقة بالماركسية و التحريفية التمسّك بالماركسية و نبذ التحريفية فى معارك لا هوادة فيها حتى داخل الأحزاب الشيوعية الحقيقية التى تشهد صراع الخطين الذى يجب خوضه حفاظا على الطابع الثوري للحزب البروليتاري إذ فى حال إنتصار التحريفية (الخطّ التحريفي) يتبدّل لون الحزب فيتحوّل إلى حزب تحريفي أي برجوازي و يصبح إصلاحيّا . و هذا ما سجّله تاريخ الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي بمختلف الصراعات المبدئية التى شنّها لينين وستالين ضد التحريفية ، و تاريخ الحزب الشيوعي الصيني و صراعات الخطين العشر الشهيرة . فى تلك الصراعات بين الخطين لمّا إنتصر الخطّ الماركسي على الخطّ التحريفي ظلّ الحزب بروليتاريا و تقدّم فى إنجاز مهامه الثورية و لمّا إنهزمت الماركسية أمام التحريفية صار الحزب برجوازيا (بعد وفاة ستالين فى الإتحاد السوفياتي و بعد إنقلاب 1976 فى الصين). و هذه حقائق معلومة لدي من يملك أدنى إطلاع على تاريخ الحركة الشيوعية العالمية فى القرن العشرين.

و نعود إلى هذا الحزب الموحّد فنلفيه يوحّد تيارين تحريفيين أصلا ، فضلا عن أشخاص إنتهازيتهم رائحتها فاحت منذ سنوات إن لم يكن منذ عقود و يعتمدون فى خطابهم مفاهيما مزيجا من الماركسية و الديمقراطية البرجوازية. هذا الحزب الجديد عبارة عن لمّ شمل عدد من التحريفيين الذين لا زالوا يتظاهرون بتبنّى المقولات الوطنية الديمقراطية و لا يفرّقون بين الماركسية و التحريفية ، بين الرأسمالية و الإشتراكية ... وهو قد شرع بعد فى لوائحه فى إعداد الأرضية الفكرية للوحدة مع حزب العمّال التونسي الإصلاحي منذ تأسيسه ، وحدة لن تكون بالطبع ثورية بل إنتهازية براغماتية نفعية من أجل إنشاء قطب إنتخابي " يساري" قوي لا غير.

" التحريفية هي شكل من أشكال الإيديولوجية البرجوازية . إنّ المحرفين ينكرون الفرق بين الإشتراكية و الرأسمالية و الفرق بين دكتاتورية البروليتاريا و دكتاتورية البرجوازية . و الذى يدعون إليه ليس بالخطّ الإشتراكي فى الواقع بل هو الخطّ الرأسمالي ."

(ماو تسى تونغ ، مارس 1957)

القوّة على أساس المبادئ مرغوب فيها للتقدّم بالصراع الطبقي فى تحرير البروليتاريا و الإنسانية جمعاء أمّا القوّة على أساس تحريفي فلن تؤدي أبدا إلى تحرير لا البروليتاريا و لا الإنسانية جمعاء بل تأبّد الإستغلال و الإضطهاد . سفينة نوح لم تطبّق جدلية الصراع المبدئي للماركسية ضد التحريفية التى قال عنها لينين :

" لقد منيت اشتراكية ما قبل الماركسية بالهزيمة . وهي تواصل النضال ، لا فى ميدانها الخاص ، بل فى ميدان الماركسية العام ، بوصفها نزعة تحريفية...
- ان ما يجعل التحريفية أمرا محتما ، انما هي جذورها الطبقية فى المجتمع المعاصر . فإن النزعة التحريفية ظاهرة عالمية...
- ان نضال الماركسية الثورية الفكرى ضد النزعة التحريفية ، فى أواخر القرن التاسع عشر ، ليس سوى مقدمة للمعارك الثورية الكبيرة التى ستخوضها البروليتاريا السائرة الى الأمام ، نحو انتصار قضيتها التام..."

(لينين- الماركسية و النزعة التحريفية-)

لسان حال هذا الحزب الموحّد يصدح ، فى تناقض تام مع المادية الجدلية ، بعدم وجود التحريفية و ينفى تناقض ماركسية / تحريفية برمّته ، ما لديه هو لمّ شمل و سفينة نوح فبضاعتهم هي المثالية الميتافيزيقية بشكل بيّن : إنكار وجود كلّ ما يزعج من صراعات و حقائق و مفاهيم تعكس بعمق الحقائق الموضوعية.

3- تحليل مادي جدلي للواقع أم تحليل مثالي ميتافيزيقي ؟

" إنّ أسلوب التحليل هو الأسلوب الديالكتيكي . و نعنى بالتحليل تحليل التناقضات الكائنة فى الأشياء . و بدون معرفة تامة بالحياة و فهم حقيقي للتناقضات المراد بحثها ، يستحيل إجراء تحليل سديد ."

(ماو تسى تونغ :" خطاب فى المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية "؛ 12 مارس – آذار 1957).

و حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد لا يحفل بالتطوّر التاريخي لما سمّاه " الخطّ " كوحدة أضداد / تناقض و لا يعالج الصراعات التى شهدها و الخلافات التى طرأت و لا يقيمها بتاتا فى وثائق مؤتمره التوحيدي . بمثالية فجّة ينكر وجودها و لا يلمح إليها حتى فما بالك بتناولها بالبحث الجدّي العميق و الشامل لفرز الماركسية عن التحريفية . يرى مؤسّسوه الوحدة و لا يرون الصراع و الوحدة هي محطّ أنظارهم و أولوية الأولويّات ، الوحدة ثمّ الوحدة و بعد ذلك الوحدة ، فى ضرب للمادية الجدلية فى الصميم ، هذه المادية الجدلية التى تعتبر الوحدة نسبية و مؤقتة و عرضية بينما الصراع مطلق . و الوحدة الثورية لا تكون إلاّ نتيجة صراع مبدئي أمّا الوحدة الإنتهازية فمرفوضة شيوعيّا لأنّها فى آخر المطاف تنتهى إلى إنتصار التحريفية على الماركسية و تحويل الحزب البروليتاري إلى حزب برجوازي .

و نفس المثالية الميتافيزيقية تقود الجماعة أيضا فى تحليلهم للواقع العالمي ، للوضع العالمي فيغيب عن نظرهم إنقسام العالم إلى حفنة من البلدان الرأسمالية - الإمبريالية و غالبية من المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة على غرار ما حلّل لينين فى كتابه " الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية ". التحليل المادي الجدلي مطبّقا على الوضع العالمي يبرز

هذا الإنقسام و يبرز طبيعة العصر ، عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية بتيّاريها ، التى لا يتعرّض لها الحزب الجديد البتّة .

بصدد الإنقسام إيّاه ، سجّل لينين فى "الإمبريالية أعلي مراحل الرأسمالية " (دار التقدّم ، بالعربية ، صفحة 10) :

" آلت الرأسمالية إلى نظام عالمي لإضطهاد الأكثرية الكبرى من سكان الأرض إستعماريّا و خنقها ماليّا من قبل حفنة من البلدان " المتقدّمة"."

و نلفت الإنتباه مجدّدا إلى انّ أصحاب الحزب الموحّد يتحدّثون عن الطبقة العاملة فى القطر و لا يرونها جزءا لا يتجزّأ من الكلّ ، الطبقة العاملة العالمية ؛ و يهتمّون للتضامن بين الأحزاب عبر العالم و يهملون الصراعات الدائرة عالميّا بين الماركسية و التحريفية ؛ و يتحدّثون عن نضالات الطبقة العاملة فى البلدان الإمبريالية و لا يشيرون حتى إلى إنقسامها و تبرجز قسم هام منها - الأرستقراطية العمّالية التى تخدم مصالح الرأسمالية و تعرقل تقدّم العمل الثوري و تغدر به إنهم يقومون بعملية تغطية على حقيقة أشباههم فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية ، يقومون بعملية تغطية لخطر التحريفية القاتل و قوّتها ومنبع من منابعها.

" إنّ هذه الفئة من العمّال المتبرجزين أو " أريستقراطية العمال"، الذين هم برجوازيون صغار تماما بنمط حياتهم و مقاييس أجورهم و بكامل نظرتهم للعالم ، هي سند الأممية الثانية الرئيسي ، وفى أيامنا سند البرجوازية الإجتماعي (لا العسكري) الرئيسي . لأنّ هؤلاء عملاء حقيقيون للبرجوازية فى حركة العمّال ، متعهّدون عمال فى خدمة طبقة الرأسماليين ...، وسائط حقيقية لنقل الإصلاحية و الشوفينية . و أثناء الحرب الأهلية بين البروليتاريا و البرجوازية يقف هؤلاء حتما ، بعدد كبير ، على جانب البرجوازية ".

(لينين " الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية "، دار التقدّم موسكو ، الطبعة العربية ، الصفحة 14).

4- الحرّية : نشر الحقائق الموضوعية أم الأوهام الديمقراطية البرجوازية ؟

بلغة إنشائية فالتة من عقالها يجرى العبث البرجوازي بمفهوم الثقافة (عدد جوان 2011 ، من " الوطني الديمقراطي " ، مقال" مشروع الثقافة عند حركة الوطنيون الديمقراطيون ") لتصبح تماهي الثورة و يماهي الإبداع الثورة و تساوى عندهم الثقافة المقاومة فيخرجون الثقافة عن الواقع المادي للمجتمع الطبقي و لا يفضحون الثقافة الرجعية و إن كانت مبدعة فى جوانب منها – و الأمثلة كثيرة من الشعر إلى القصص إلى الأفلام السنمائية إلخ – و لا يدافعون عن الثقافة الوطنية و الثقافة الديمقراطية و الثقافة العلمية و الثقافة الإشتراكية . مع تنصّلهم من الماركسية و بالتالي من المادية الجدلية ، ماذا بقي لديهم بصدد الثقافة ؟ بقيت لديهم مثالية و ميتافيزيقا " الثقافة المبدعة " لا غير !

و يرفع الحزب الجديد (زغروطة !!! من وحي أغنية للشيخ إمام عيسى) شعار " حرية مساواة وحدة تقدّم " والكلمات المكوّنة لهذا الشعار الرباعي كلمات ما إنفكّت البرجوازية تستخدمها منذ قرون الآن معبّرة عن مضامين برجوازية و ليست بروليتارية فى شيء . الشعار الرباعي لهذا الحزب الذى يدعي الإستناد إلى الماركسية - اللينينية شعار برجوازي حامل و مروّج لأوهام

برجوازية لا أكثر و لا أقلّ . و غالبا ما يردّد مؤسّسوه كلمة الحرّية على نحو ليبرالي ممجوج حقّا.

" الحرية كلمة عظيمة ، و لكن تحت لواء حرية الصناعة شنّت أفظع حروب السلب و النهب ، و تحت لواء حرية العمل جرى نهب الشغيلة . " (لينين :" ما العمل ؟ " فصل " الجمود العقائدي و " حرّية الإنتقاد ") .

هذا ما قاله لينين عن الحريّة التى يتشدّق بها الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد و يلوكها على غرار البرجوازيين الليبراليين و التى إن أردنا تحديدها بدقّة متناهية مادية جدلية قلنا إنّ الحرّية وعي الضرورة و تغيير الواقع . فلا حريّة دون ضرورة و من منظور الماركسية ، لا تفسير للواقع دون تغييره لكن هيهات أن يدرك هؤلاء المثاليون الميتافيزيقيون العمق الفلسفي المادي الجدلي للفهم الماركسي الحقيقي و يطبقونه. هم بالعكس يدفنونه و يستبدلونه باللغو و الأوهام البرجوازية.

و فى إرتباط بمسألة الحرية كذلك مفيدة هي ملاحظة إنجلز الذى ذكّر بها لينين مؤكّدا أنّه :

" الآن فقط ، يمكننا أن نقدر كلّ صحة ملاحظات إنجلس عندما سخر دونما رحمة من سخافة الجمع بين كلمتي " الحرّية " و " الدولة " . فما بقيت الدولة ، لا وجود للحرية ، و عندما تحلّ الحرّية تنعدم الدولة ." (" الدولة و الثورة " ، الصفحة 101).

و من المفاهيم المتداولة جدّا فى أوساط حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد و وثائقه مفهوم المساواة و قد إستعمل جملة " الديمقراطية تعنى المساواة " بالمعنى الليبرالي و كأنّها تعكس حقيقة لا يرقى إليها الشكّ و فى الواقع هي ليست كذلك . و بهذا الخصوص بالضبط لاحظ لينين :

" لكن الديمقراطية لا تعنى غير المساواة الشكليّة . فما أن تحقّق مساواة جميع أعضاء المجتمع حيال تملك وسائل الإنتاج ، أي المساواة فى العمل ، المساواة فى الأجور ، حتى تطرح أمام البشرية لا مناص مسألة السير إلى أبعد من المساواة الشكلية إلى المساواة الفعلية ، إلى تحقيق قاعدة : " من كلّ حسب كفاءته و لكل حسب حاجاته ".(نفس المصدر السابق ، الصفحة 105)

منذ قرون الآن سوّق منظّرو البرجوازية " للحرّية " و" العدالة " و " المساواة " (و لنتذكّر شعارات الثورة البرجوازية الفرنسية " حرّية ، عدالة ، أخوّة ") على أنّها تمثّل قمّة ما يحقّقه نظامهم المثالي لل"عقد الإجتماعي " لمجتمع يقوم على سيادة العقل لا الأوهام (و من المصطلحات المستعملة فى الصفحة الأخيرة من عدد جوان 2011 من " الوطني الديمقراطي " مصطلح " العقد الجمهوري ") . و كان المتأثّرون بتلك الشعارات البرجوازية يعتقدون ، وقد إنتصرت الثورة البرجوازية ، **" الآن بزغت الشمس للمرّة الأولى وقامت سيادة العقل . فإنّ الأوهام ، و الجور ، و الإمتيازات ، و الإضطهاد ، كل ذلك يجب أن يخلّى المكان من الآن وصاعدا للحقيقة الخالدة ، و العدالة الخالدة ، و المساواة النابعة من الطبيعة نفسها ، و حقوق الإنسان الراسخة ."**

لكن الواقع سفّه تلك الأحلام و الأوهام :

" إلاّ أنّنا نعرف اليوم أنّ سيادة العقل هذه لم تكن سوى سيادة البرجوازية المصوّرة بصورة المثال الأعلى ، و أنّ العدالة الخالدة تجسّدت فى العدالة البرجوازية ، و أنّ المساواة تلخصت

فى المساواة المدنية أمام القانون و أنّ الملكية البرجوازية ... أعلنت أوّل حق من حقوق الإنسان . و أنّ دولة العقل - العقد الإجتماعي الذى وضعه روسو - قد رأت النور بشكل جمهورية ديمقراطية برجوازية ، و لم يكن بالإمكان أن يحدث ذلك على غير هذا الشكل فإنّ كبار مفكّري القرن الثامن عشر ، شأنهم شأن جميع أسلافهم ، لم يكن بوسعهم تخطّى الحدود التى فرضها عليهم عصرهم ." (إنجلز " الإشتراكية الطوباوية و الإشتراكية العلمية " ، مكتبة الإشتراكية العلمية ، دار التقدّم موسكو ، بالعربية ، الصفحة 39 - 40).

هذا ما جاء على لسان إنجلز سنة 1880 ، هذا ما أثبته الواقع بشأن تلك الشعارات حينها غير أنّ الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد بعد القرن و ثلث القرن ، فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية و ليس فى عصر الرأسمالية و الثورة البرجوازية الديمقراطية القديمة ، و بعد أن إفتضح حتى أمر " الديمقراطية " البرجوازية فى البلدان الإمبريالية ، يسعى لإحياء ما مات وشبع موتا من السخافات البرجوازية التى سفّهها الواقع أيّما تسفيه . طالين وجوههم بطلاء "ماركسي- لينيني" ينشر مؤسّسو هذا الحزب " التقدّمي" السموم الديمقراطية البرجوازية و يتقهقر إلى المثل العليا البرجوازية للقرن 18. فلا يسعنا إلاّ أن ننعت هؤلاء الذين إبتذلوا التعاليم الشيوعية الثورية بإجتثاث مضمونها و ثلم نصلها الثوري و تعويضها بالمثل العليا البرجوازية للقرن 18 بالنكوصيين الرجعيين .

VI- "الهوية الفكرية والطبقية لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد": حزب تحريفي برجوازي.

فى وثيقة " الهوية الفكرية و الطبقية لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد" ، يقدّم الحز ب الموحّد نفسه على أنّه يستند أساسا إلى الماركسية- اللينينية. و إلى كلّ ما مرّ بنا من دحض لهذه الدعاوي، نضيف الملاحظات التالية :

1- عن الماركسية- اللينينية :

و ننطلق بالتذكير بأنّ الحركة الماركسية - اللينينية العالمية نشأت نتيجة الصراع الذى قاده الحزب الشيوعي الصيني و على رأسه ماو تسى تونغ (و إلتحق به فى ما بعد حزب العمل الألباني) ضد ما صار معروفا بالتحريفية المعاصرة أي التحريفية السوفياتية و اليوغسلافية و الإيطالية و الفرنسية و الأمريكية إلخ . هذه الحركة العالمية إذن إفراز للجدال الكبير الذى بات مشهورا عند البعض على أنّه الجدال الكبير الصيني - السوفياتي و الذى شغل الناس و ملأ الدنيا لا سيما فى ستينات و سبعينات القرن العشرين . و كانت الحركة الماركسية - اللينينية الناشئة و المناهضة للتحريفية المعاصرة تخوض صراعات حيوية فى القارات كافة ما نجم عنه إنشقاقات فى الأحزاب الشيوعية القديمة و تشكّل أحزاب جديدة ماركسية - لينينية قطعت إلى هذا الحدّ او ذاك مع التحريفية . و ولد " اليسار الماركسي - اللينيني " التونسي (آفاق و العامل التونسي و الشعلة ثم المجموعات الوطنية الديمقراطية ذاتها) جراء هذا الصراع العالمي و بالطبع بالتفاعل مع الواقع المحلّي .

و من هنا يثور سؤال هل يعترف هذا الحزب الجديد بمنبعه هذا كحقيقة موضوعية لا جدال فيها ؟ لا ، هو بمثالية لا يذكرها بتاتا. هل هو إلى الآن يحارب التحريفية بشتى أقنعتها ؟ لا ، هو لا يأتي على ذكرها البتّة . هل يتبنّى الأطروحات الماركسية - اللينينية المناهضة للخروتشوفية و التيتوية و الطريق البرلماني و هلمجرّا ؟ لا ، هو من جهة ، يخرجها من دائرة نظر القراء و يتبنّى بشكل ملتوى عديد الأطروحات التحريفية ومنها الخروتشوفية (مثال التحوّل السلمي و الطريق البرلماني كما سنرى) بإعتبار أنّه حزب متكوّن أصلا من تحريفيين مناهضين فى الجوهر لما دافعت عنه الحركة الماركسية - اللينينية تاريخيّا و ما دافعت عنه مجموعات الوطنيين الديمقراطيين فى السبعينات. من تاريخ الحركة الماركسية - اللينينية و من تاريخ الوطنيين الديمقراطيين لم يبق لدي هؤلاء غير القشرة فالمضمون الثوري عوّضوه بالمضمون التحريفي الديمقراطي البرجوازي الذى ناضل ضدّه الماركسيون- اللينينيون تاريخيّا .

ثمّ لا نحتاج إلى باع كبير فى الماركسية حتى نعرف أنّه ثمّة ماركسية - لينينية و ثمّة ماركسية - لينينية ، و المقصود من ذلك أنّه ليس كلّ من يدعى أنّه ماركسي - لينيني هو كذلك فعلا قولا و عملا. فالحزب الحاكم فى كوريا الشمالية عدّ نفسه فى فترة من الفترات ماركسيا- لينينيا و ما هو بماركسي - لينيني و الحزب الحاكم فى كوبا كذلك. و الغيفاريون فى غالبيتهم يعدّون أنفسهم ماركسيّين – لينينيّين و ما هم بماركسيين – لينينين . و عديد الأحزاب التحريفية عبر العالم تعلن تبنّيها الماركسية - اللينينية و واقع الحال يثبت أنّها لا تحمل من الماركسية - اللينينية سوى القشرة أو نعتا تضعه بين قوسين فى إسمها. و حزب العمال التونسي هو الآخر يتشدّق بالماركسية - اللينينية وهي منه براء إلخ . و الأكيد مثلما يقول المثل ليس كلّ ما يلمع ذهبا .

فهل حدّد لنا هذا الحزب الموحّد ما يقصده بالماركسية - اللينينية فى عالم اليوم ؟ لا أبدا . هل له ذات فهم حزب العمّال التونسي للماركسية - اللينينية التى تكشفت أنّها خوجية أم لا ؟ لا إجابة . هل يتبنّى الماركسية - اللينينية مثلما دافع عنها الماويون و طوّروها إلى ماركسية - لينينية - ماوية ؟ بالطبع لا. ماركسية - لينينية هذا الحزب هلامية زئبقية لا تحديد لها و لا حدود ، شكل مائع بمضمون فضفاض أو دون مضمون . عندئذ هي ماركسية - لينينية تلبس قناعا فى كرنفال أو حفلة تنكّرية لتضليل المناضلات و المناضلين و الجماهير الشعبية . إنّه قناع لعبة مغالطة للإيحاء بالتمسّك بالمنشأ التاريخي مع أنّ مؤسسي الحزب الجديد قد تخلّوا و منذ زمن عن الروح الثورية للماركسية - اللينينية و عن أفكارها الأساسية إذ أنجزوا عملية تطهير تحريفية ل" الخط" من كلّ " شائبة " بالنسبة لهم ، أي من كلّ ما هو ثوري و خرجوا علينا بماركسية - لينينية مشوّهة غاية التشوّه لا هي ماركسية و لا هي لينينية مثلما لمسنا و سنلمس.

إنّ ماركسيتهم المزيفة و لينينيتهم المزيفة تتنكّر لجوهر الماركسية - اللينينية ، لأفكارها الجوهرية و أسسها و تنهل من روافد الفكر البرجوازي الإصلاحي حيث ورد على لسانهم فى وثيقة الهويّة أنّ هذا الحزب جاء:

" تتويجا نوعيا لما راكمه هذا الخطّ من فكر سياسي و مرجعية نظرية تجد أصولها فى الإشتراكية العلمية و عموم التراث الأممي الثوري أساسه الفكر الماركسي اللينيني و روافده الفكر التنويري الإصلاحي الإجتماعي للحركة الوطنية التونسية ... "

عوض الإعتماد على قمّة ما بلغه علم الثورة البروليتارية العالمية ، علم الشيوعية ، يلوى الجماعة عنقهم نحو الفكر البرجوازي . عوض معانقة علم الثورة البروليتارية العالمية الذى تطوّر إلى الماركسية - اللينينية - الماوية ، يعودون جميعا إلى ما قبل الماركسية و بتصفوية التحريفيين يلقون فى المجاري الموروث من تجارب البروليتاريا العالمية بجوانبها الصحيحة و الخاطئة و يحرّرون أنفسهم من أي إلتزام بأيّة خطّ و قراءة و نموذج حسب قولهم . و بالنسبة إلى كيف و متى و لماذا تمّ ذلك و بدقّة متناهية فمقال " حقيقة حزب العمل الوطني الديمقراطي " المنشور على الحوار المتمدّن من قبل محمّد علي الماوي قد يفى بالغرض فى ما يتصل بالتيار التوحيدي من ذلك الحزب و تبقى دراسة مسار تطوّر ما صار حركة الوطنيون الديمقراطيون ملحّة غير أنّ هذا يحتاج لجملة النصوص و الوثائق الصادرة عن هذه المجموعة ونحن نملك البعض منها فقط فى الوقت الراهن لذا ندعو من يملكها إلى نشرها خدمة للحقيقة التاريخية أو القيام بهذه الدراسة لأجل فهم دقيق و مفصّل لمحطّات التطوّر و المسار الذى أوصلها إلى أحضان الفكر البرجوازي و الديمقراطية البرجوازية .

مطبّقين عن قناعة المنهج الإنتقائي ، يذكرون الماركسية - اللينينية " الحاضنة التاريخية " و لكنهم لا يلتزمون بها بل يعتمدون فقط مقولات منها يحتاجونها لمغالطة القراء. حيال الماركسية - اللينينية يمارسون المنهج الإنتقائي ففى وثيقة من وثائق المؤتمر نعثر لهم على إستشهاد بلينين مفاده أن الإمبريالية تعنى الحرب غير أنّهم يلفظون لينين و اللينينية عندما يتعلّق الأمر بالتجارب الإشتراكية السابقة و بمسائل طبيعة الدولة و الدكتاتورية و الديمقراطية و هكذا.

هذه هي ماركسيتهم ، هذه هي لينينيتهم البرجوازية المقبولة لدى دولة الإستعمار الجديد التى يشاركون فى لعبتها الديمقراطية الإنتخابية.

" إن نظرية ماركس و إنجلز و لينين و ستالين هي نظرية صالحة للعالم أجمع ، فلا يجوز لنا أن نعتبر نظريتهم عقيدة جامدة بل علينا أن نعتبرها مرشدا للعمل . و لا يجوز لنا أن نكتفى

بمجرد تعلم بعض العبارات و الأقوال من كتب الماركسية اللينينية ، بل يجب أن ندرس الماركسية اللينينية بوصفها علم الثورة . كما أنه لا يجوز لنا أن نكتفي بمجرد فهم النتائج الخاصة بالقوانين العامة التى توصل إليها ماركس و إنجلز و لينين و ستالين من دراستهم لمختلف جوانب الحياة الواقعية و للتجارب الثورية ، بل يجب كذلك أن نتعلم منهم موقفهم الطبقي و طريقتهم فى النظر إلى القضايا و فى حلها . ..
و إن مهمتنا الأخرى هي دراسة تراثنا التاريخي و تلخيصه بصورة ناقدة بإستخدام الأسلوب الماركسي ."

(ماو تسي تونغ : " دور الحزب الشيوعي الصيني فى الحرب الوطنية "؛ أكتوبر 1938)

و على ضوء ما تقدّم بوسعنا أن نقول دون أن نخشى الزلل أنّ الحزب الموحّد يشوّه تشويها فظّا الماركسية بما يخدم الطبقات الرجعية السائدة المتحالفة مع الإمبريالية العالمية و يساعدها فى مواصلة إستغلالها و إضطهادها للطبقات الشعبية .

2- عن " الإشتراكية العلمية " :

لكي نتحاشى أن نكرّر ما كتبنا فى مناسبة آنفة ، هاكم ما ورد بهذا الصدد فى العدد 6 من نشرية " لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية ! " و قد نشرناه أيضا فى كتيّب " حزب من الأحزاب الماركسية المزيفة : الحزب الوطني الإشتراكي الثوري - الوطد" لأنّه يلتقى فى هذه النقطة (و غيرها لكن ليس هنا مجال تفصيل ذلك) مع الحزب الذى ننقد هنا :

" الشيوعية ، لا الإشتراكية العلمية :

وعادة ما تعرّف الجماعات - و نخصّص هنا الحديث أساسا عن" الوطنيين الديمقراطيين الماركسيين اللينينيين"، الوطد- التي تدعى الإنضواء تحت لواء الشيوعية نفسها- إيديولوجيا بأنّها تتبنّى الإشتراكية العلمية وهذا منها فى يوم الناس هذا خطأ نظري نشرحه فى الحال.

و مثلما سجّلنا بالعدد الأوّل من نشرية " لا حركة شيوعية دون ماوية " ، ضمن مقال " الديمقراطية البرجوازية القديمة ام الديمقراطية الجديدة الماوية " الإشتراكية إشتراكيات (و الشيوعية اليوم شيوعيات) :" و يكفى بهذا المضمار التذكير بعنوان كتاب إنجلز " الإشتراكية العلمية والإشتراكية الطوباوية " من ناحية أولى ؛ و فقرات ماركس و إنجلز فى البيان الشيوعي: " الإشتراكية الرجعية : أ- الإشتراكية الإقطاعية ب- الإشتراكية البرجوازية الصغيرة ج- الإشتراكية الألمانية والإشتراكية "الحقّة "، الإشتراكية المحافظة أوالبرجوازية ، من ناحية ثانية؛ و مقالات لينين عن الإشتراكية الديمقراطية و عن الإشتراكية الإمبريالية من ناحية ثالثة ؛ و كتابات الشيوعيين الماويين ، زمن ماو و بعده ، عن الإمبريالية الإشتراكية و عن مفهوم الإشتراكية دون صراع طبقي الخوجية و عن الإشتراكية (دكتاتورية البروليتاريا و نمط إنتاج) كمرحلة إنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية مديدة تعجّ بالصراعات الطبقية و تتضمنّ كلا من إمكانية التقدّم نحو المجتمع الشيوعي العالمي و إمكانية إعادة تركيز الرأسمالية ..."

قال إنجلز فى مستهلّ المقال الأوّل من كرّاسه المنشور سنة 1892 " الإشتراكية الطوباوية و الإشتراكية العلمية " :

" إنّ الإشتراكية العصرية ، من حيث مضمونها هي فى المقام الأوّل ، نتيجة لملاحظة التناقضات الطبقية السائدة فى المجتمع العصري بين المالكين و غير المالكين ، بين الرأسماليين و العمّال الأجراء ، من جهة ، و لملاحظة الفوضى السائدة فى الإنتاج من جهة أخرى . و لكن هذه الإشتراكية تبدو فى البدء ، من حيث شكلها النظري ، كأنّها مجرّد إستمرار ، أكثر تطوّرا و إنسجاما ، للمبادئ التي صاغها المنورون الفرنسيون الكبار فى القرن الثامن عشر"

و عند نهاية هذا المقال الأوّل ، خلص إنجلز إلى أنّ " و لهذا لم تعد تبدو الإشتراكية الآن إكتشافا حققه من قبيل الصدفة هذا العقل العبقري أو ذاك ، بل صارت تبدو نتيجة ضرورية للنضال بين الطبقتين الناشئتين تاريخيّا، البروليتاريا والبرجوازية.

و لم تبق مهمتها إبتداع نظام إجتماعي على أكثر ما يمكن من الكمال ، بل غدت دراسة التطوّر الإقتصادي التاريخي الذى أدّى بالضرورة إلى نشوء هاتين الطبقتين وإلى نشوء الصراع بينهما ، و إيجاد الوسائل فى الوضع الإقتصادي الناجم عن هذا التطوّر ، من أجل تسوية النزاع . و لكن الإشتراكية السابقة لم تكن متلائمة مع هذا الفهم المادي للتاريخ مثلما كان فهم الماديين الفرنسيين للطبيعة غير متلائم مع الديالكتيك و مع علم الطبيعة الحديث."(الطبعة العربية ، دار التقدّم موسكو ، ص 38و 65) .

إذن نشأت الإشتراكية العصرية مع المجتمع العصري نتيجة صراع الطبقتين الناشئتين البروليتاريا و البرجوازية و بدأت أقرب إلى أفكار فلاسفة الأنوار - القرن 18- " و إكتشافا من قبيل الصدفة هذا العقل العبقري أو ذاك" لتغدو إشتراكية علمية بما هي تعتمد دراسة التطوّر الإقتصادي التاريخي ، و الفهم المادي التاريخي لذلك صارت تسمّى إشتراكية علمية بعدما كانت طوباوية . و عليه الإشتراكية كوحدة أضداد ، تناقض إنقسمت (بمعنى "إزدواج الواحد" اللينيني و الماوي) إلى طوباوية و علمية كمظهري هذا التناقض . و تمكّنت الإشتراكية العلمية من إلحاق الهزيمة بالإشتراكية الطوباوية و سادت عالميّا إلاّ أنّ هذه الإشتراكية العلمية ستشهد هي ذاتها صراعات داخلية ستفرز عديد التيّارات أهمّها التيّار الماركسي الذى لن يفتأ يتطوّر هو ذاته و " ينقسم " (بمعنى إزدواج الواحد) فى مسيرة نموّه و حركة تطوّره إلى اليوم .

" حتى بين المذاهب المتعلّقة بنضال الطبقة العاملة و المنتشرة بخاصة فى صفوف البروليتاريا ، لم ترسّخ الماركسية مواقعها دفعة واحدة ...و حين حلّت الماركسية محلّ النظريات المعادية لها ، و المتجانسة بعض التجانس ، سعت الميول التي كانت تعبّرعنها هذه النظريات وراء سبل جديدة. فقد تغيّرت أشكال النضال و دوافعه ، و لكن النضال مستمرّ ... بنضال التيار المعادي للماركسية فى قلب الماركسية... لقد منيت إشتراكية ما قبل الماركسية بالهزيمة ، وهي تواصل النضال ، لا فى ميدانها الخاص ، بل فى ميدان الماركسية العام ، بوصفها نزعة تحريفية ."
(لينين : المختارات فى ثلاثة مجلدات ، المجلد الأوّل، الجزء الأوّل، ص 86-87 ضمن نص " الماركسية و النزعة التحريفية").

و" أدّى النضال ضد المحرّفين إلى نهوض مثمر فى تفكير الإشتراكية العالمية النظري بقدر ما أدّى جدال إنجلس مع دوهرينغ قبل عشرين سنة." (مصدر سابق ، ص 89) و يخلص لينين إلى أنّ " نضال الماركسية الثورية الفكري ضد النزعة التحريفية ، فى أواخر القرن التاسع عشر، ليس سوى مقدّمة للمعارك الثورية الكبيرة التي ستخوضها البروليتاريا السائرة إلى الأمام ، نحو إنتصار قضيّتها التام، رغم كلّ تردّد العناصر البرجوازية الصغيرة و تخاذلها."
(المصدر السابق ، ص 95).

و" التحريفية هي شكل من أشكال الإيديولوجية البرجوازية . إن المحرفين ينكرون الفرق بين الإشتراكية و الرأسمالية و الفرق بين دكتاتورية البروليتاريا و دكتاتورية البرجوازية . و الذى يدعون إليه ليس بالخط الإشتراكي فى الواقع بل هو الخط الرأسمالي "
(ماو تسي تونغ : خطاب فى المؤتمر الوطنى للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية ، مارس 1957)

و يبرز جليّا أن الإشتراكية التي إنكبّ إنجلز على الخوض فيها فى ذلك الكرّاس تحيل على الصراع الطبقي و المادية التاريخية و هذا لا يعدو أن يكون مكوّنا من مكوّنات الماركسية الثلاثة وهو ما أكّده لينين فى " مصادر الماركسية الثلاثة و أقسامها المكوّنة الثلاثة " حيث إعتبر مذهب ماركس " بوصفه التتمّة المباشرة الفورية لمذاهب أعظم ممثلى الفلسفة و الإقتصاد السياسي و الإشتراكية "(لاحظوا جيّدا أنّه لم يستعمل مصطلح " الإشتراكية العلمية " بل فقط "الإشتراكية " مثلما فعل فى كرّاس " كارل ماركس"). ف" مذهب ماركس "، الماركسية ، :" هو الوريث الشرعي لخير ما أبدعته الإنسانية فى القرن التاسع عشر: الفلسفة الألمانية ، و الإقتصاد السياسي الإجليزي ، و الإشتراكية الفرنسية . و إنّنا سنتناول مصادر الماركسية الثلاثة هذه ، التي هي فى الوقت نفسه أقسامها المكوّنة الثلاثة."(لينين ، المختارات فى ثلاثة مجلدات ، المجلد 1، الجزء 1، ص 79/78).

و من هنا لا يفعل من يريد أن يماثل بين الماركسية أو الشيوعية و " الإشتراكية العلمية " سوى العودة إلى ما قبل لينين و اللينينية و ليّ عنق الشيوعيين إلى الخلف ، نحو القرن 19. و هذا بوضوح إنحراف نظري و كذلك تنازل نظري - سياسي يهدونه على طبق لأعداء الشيوعية مقدّمين أنفسهم بتعلّة عدم تنفيرالجماهير ،على أنّ هدفهم الأسمى بالتالى هو الإشتراكية و ليس الشيوعية بطورها الأدنى الإشتراكية و طورها الأعلى الشيوعية ، وفق كتاب لينين " الدولة و الثورة " ، يتوصلون إليه عبر الصراع الطبقى الذى تعترف به و تقرّه حتى البرجوازية والذى لا يحدّد بحدّ ذاته من هو الماركسي.

فى رسالة وجهها ماركس إلى فيدميير ، بتاريخ 5 مارس /أذار 1852 ، أعرب عن أنّه :

" فيما يخصنى ليس لى لا فضل أكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع المعاصر و لا فضل إكتشاف صراعها . فقد سبقنى بوقت طويل مؤرخون برجوازيون بسطوا التطوّر التاريخي لصراع الطبقات هذا ، و إقتصاديون برجوازيون بسطوا تركيب الطبقات الإقتصادي .و ما أعطيته من جديد يتلخّص فى إقامة البرهان على ما يأتى :

1"- إن وجود الطبقات لا يقترن إلاّ بمراحل تاريخية معينة من تطوّر الإنتاج 2- إنّ النضال الطبقي يفضى بالضرورة إلى ديكتاتورية البروليتاريا ، 3- إنّ هذه الديكتاتورية نفسها ليست غير الإنتقال إلى القضاء على كلّ الطبقات و إلى المجتمع الخالى من الطبقات..."و معلّقا على ذلك ، كتب لينين: " ... الأمر الرئيسي فى تعاليم ماركس هو النضال الطبقي هذا ما يقال و ما يكتب بكثرة كثيرة. بيد أنّ هذا غير صحيح . و عن عدم الصحة هذا تنتج ، الواحد بعد الآخر ، التشويهات الإنتهازية للماركسية و ينتج تزويرها بحيث تصبح مقبولة للبرجوازية. ذلك لأنّ التعاليم بشأن النضال الطبقي لم توضع من قبل ماركس ، بل من قبل البرجوازية قبل ماركس ، وهي بوجه عام مقبولة للبرجوازية . و من لا يعترف بغير نضال الطبقات ليس بماركسي بعد ، و قد يظهر أنّه لم يخرج بعد عن نطاق التفكير البرجوازي و السياسة البرجوازية. إنّ حصر الماركسية فى التعاليم بشأن النضال الطبقي يعنى بتر الماركسية و تشويهها و قصرها على ما تقبله البرجوازية . ليس بماركسي غير الذى يعمّم إعترافه بالنضال الطبقي على الإعتراف

بديكتاتورية البروليتاريا . و هذا ما يميّز بصورة جوهرية الماركسي عن البرجوازي الصغير (وحتى الكبير) العادي ."(لينين ،" الدولة و الثورة " ص 35-36 ، الطبعة العربية ، دار التقدّم موسكو).

و نستشفّ ممّا تقدّم أنّ دعاة " الإشتراكية العلمية " بكلمات لينين يشوّهون الماركسية بإنتهازية و يزوّرونها و يبترونها لتصبح مقبولة للبرجوازية . و يتغافلون عن ما يميّز " بصورة جوهرية " الماركسي عن غيره . و لئن عرّف لينين حينها الماركسي بمن" يعمّم إعترافه بالنضال الطبقي على الإعتراف بديكتاتورية البروليتاري " فإنّ الشيوعيين الثوريين الماويين ، وبعد مراكمة تجارب إشتراكية بقيادة أحزاب شيوعية فى الإتحاد السوفياتي و الصين خاصة ، يضيفون أنّ الماركسي صار من يعترف بتواصل وجود الطبقات و التناقضات الطبقية و التناحرالطبقي فى ظلّ الإشتراكية و بضرورة مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا (نظرية مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا كما صاغها ماو و طبّقها فى خضمّ الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى.)

وننهى هذه النقطة بالتأكيد على أنّ إيديولوجيتنا هي الشيوعية و ليست الإشتراكية العلمية و الشيوعية ، قال ماوتسى تونغ فى " حول الديمقراطية الجديدة " (1940 ، م 2) " هي نظام كامل للإيديولوجيا البروليتاري وهي فى نفس الوقت نظام إجتماعي جديد . و هذا النظام الإيديولوجي و الإجتماعي يختلف عن أي نظام إيديولوجي و إجتماعي آخر ، وهو أكثر النظم كمالا و تقدّمية و ثورية و منطقية فى التاريخ الإنساني." "(إنتهى المقتطف)

3- عن " التداول السلمي على السلطة عبر الإنتخابات":

من أهمّ محاور الصراع الشهيرة بين الحركة الماركسية - اللينينية من جهة و التحريفية المعاصرة من جهة أخرى محور " التحوّل السلمي" ففى حين دافع التحريفيون السوفيات و الفرنسيون و الإيطاليون ...عن الخروتشوفية القائلة بضرورة التخلّي عن العنف الثوري و تبنّى طريق التحوّل السلمي إلى الإشتراكية و الطريق البرلماني (الإنتخابي) بتعلّة حلول ظروف جديدة تملى ذلك ، وقفت الحركة الماركسية - اللينينية و على رأسها الحزب الشيوعي الصيني ضد هذه الأطروحات التحريفية و طوّرت الأطروحات اللينينة بهذا المضمار فى عدّة مقالات لقيت رواجا عالميّا و غدت أعمدة فى صرح بناء الحركة الماركسية - اللينينية و منها :

- حول التجربة التاريخية لدكتاتورية الربوليتاريا (أفريل 1956)
- مرة أخرى حول التجربة التاريخية لدكتاتورية الربوليتاريا (ديسمبر 1957)
- عاشت اللينينية (أفريل 1960)
- لنتحد تحت راية لينين الثورية (أفريل 1960)
- الى الأمام على طريق لينين العظيم (أفريل 1960)
- الخلافات بين الرفيق تغلياتي و بيننا (ديسمبر1962)
- مرة أخرى حول الخلافات بين الرفيق تغلياتى و بيننا (1963)
- لنتحد على أساس تصريح موسكو و بيان موسكو(جانفى1963)
- أصل الخلافات و تطورها بين قيادة الحزب الش السوفياتي و بيننا (1963)
- حول مسألة ستالين(سبتمبر 1963)
- هل يوغسلافيا بلد اشتراكي ؟
- مدافعون عن الحكم الاستعمارى الجديد.
- خطان مختلفان حول مسألة الحرب و السلم (1963)

- سياستان للتعايش السلمى متعارضتان تماما (1963)
- إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية (1963)
- حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مع الهند ضد الصين (نوفمبر1963)
- من أين أتت الخلافات؟ رد على توريزو رفاق آخرين (فيفري 1963)
- سبع رسائل .
- قادة الاتحاد السوفياتي أكبرانشقاقيى عصرنا .
- الثورة البروليتارية وتحريفية خروتشوف .
- اللينينية و التحريفية المعاصرة (1963)
- مرآة التحريفيين (1963)
- شيوعية خروتشوف المزيفة و الدروس التاريخية التى تقدمها للعالم (جويلية 1964)
- لنناضل الى الآخر ضد تحريفية خروتشوف (جوان 1965)
- لنميط اللثام عن التحريفيين السوفيات بصدد ثقافة الشعب كله (أكتوبر 1967)
- التحريفيون السوفيات يطورون اقتصادا رأسماليا على طول الخط (أكتوبر 1967)
- السينما السوفياتية فى خدمة إعادة التركيز الشامل للرأسمالية (أكتوبر 1967)
- براهين دامغة عن اعادة تركيز الرأسمالية من طرف التحريفيين السوفيات فى المناطق الريفية (نوفمبر1967)
- دكتاتورية برجوازية يمارسها التحريفيون فى الاتحاد السوفياتي (نوفمبر 1967)
- التحريفيون السوفيات يحولون حزب لينين الى حزب تحريفي (نوفمبر 1967)
- النتائج الشهيرة لتطبيق طغمة التجريفيين السوفيات ل" سياسة اقتصادية جديدة "(نوفمبر 1967)

- الخط التحريفي فى التعليم فى الاتحاد السوفياتي (نوفمبر 1967)
- ماهي اذا "رفاهة الشعب كله " التى يفتخر بها التحريفيون السوفيات؟ (ديسمبر 1967)
- ليسقط القياصرة الجدد (1969)
- بتحركاتها العنيدة ضد الصين ، لا تفعل طغمة التحريفيين السوفيات سوى حفر قبرها (مارس 1969)
- لينينية أم امبريالية اشتراكية ؟ (أفريل 1970)
- الامبريالية الاشتراكية السوفياتية جزء من الامبريالية العالمية (ديسمبر 1975).

و كمثال نقتطف لكم فقرة تعطيكم فكرة عن المضمون الداحض للخروتشوفية من الوثيقة الأرضية التاريخية لإيجاد الحركة الماركسية - اللينينية ألا وهي " إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية " (1963) :

" و إنّ الخطّ العام هذا هو خطّ لشنّ النضالات الثورية بحزم من قبل شعوب مختلف البلدان و للسير بالثورة البروليتارية العالمية إلى النهاية ، وهو أيضا خطّ لمناهضة الإستعمار و صيانة السلم العالمي بأكثر صورة فعّالة. و إذا حدّد الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية من جانب واحد بأنّه هو " التعايش السلمي " و " المباراة السلمية " و " الإنتقال السلمي" فإنّ ذلك نقض للمبادئ الثورية ... و تخلّ عن المهمّة التاريخية للثورة البروليتارية العالمية ، و إنحراف عن التعاليم الثورية للماركسية اللينينية ."

فهل درست صفوف حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد هذه الوثائق الماركسية - اللينينية التاريخية ؟ لا نخال القيادات وفّرتها لهم ولا ذكرتها لهم مجرّد الذكر . هل تتبنّاها القيادات و القواعد بما هي " ماركسية - لينينية " ؟ بالطبع لا . و مردّ ذلك بسيط جدّا هو أنّها وثائق تذهب

ضد خطّهم الإيديولوجي و السياسي و تفضح تحريفيتهم هم الذين يرفعون راية " التحوّل السلمي" و " التدول السلمي على السلطة " و طريق البرلمانية الإنتخابي ويشوهون علاقة السياسة بالحرب كما يفصح عنها واقع المجتمعات الطبقية و كما لخّصها لينين و ماو تسى تونغ فى أعمالهما فى هذا المضمار إلخ و قد أفصحوا فى " اللائحة السياسية : طبيعة النظام السياسي " عن " رفض العنف و تجريمه فى العلاقات السياسية و المجتمعية " .

وفى غياهب النسيان يرمى هذا الحزب الموحّد تجارب البروليتاريا العالمية لأكثر من قرن ، هذه التجارب التى دلّلت تدليلا واضحا جليّا على أن فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة شكل النضال الثوري الأساسي لإنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة بقيادة البروليتاريا و كجزء من الثورة البروليتارية العالمية هو النضال المسلّح و أنّ حرب الشعب الطويلة الأمد هي الشكل الأساسي لتنظيم الجماهير . و النضال البروليتاري الشيوعي الثوري قبل إنطلاق حرب الشعب ينبغى أن يتجه نحو الإعداد للشروع فى هذه الحرب ،و عندما تنطلق هذه الحرب ، ينبغى أن يخدم النضال الشيوعي الثوري الحفاظ على هذه الحرب و تطويرها صوب الإنتصار و إرساء دولة الديمقراطية الجديدة ممهّدة الطريق للثورة الإشتراكية فالشيوعية .

و على النقيض من هؤلاء الماركسيين المزيفين ، كرّس الماركسيون - اللينينيون ، بعد إنقسام الحركة الماركسية - اللينينية إلى جناح دغمائي تحريفي خوجي و إلى جناح ماركسي - لينيني - ماوي و قبل ذلك فى بعض الحالات ، المبادئ الماركسية - اللينينية و مسترشدين بمقولة لينين **" إنّ الإستعاضة عن الدولة البرجوازية بدولة بروليتارية لا تمكن بدون ثورة عنيفة "** (" الدولة و الثورة " ، الصفحة 23) و نابذين الخروتشوفية و الطريق السلمي و البرلماني ، وواعين ما تتطلّبه الثورة الديمقراطية الجديدة فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة (و الثورة الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية – الإمبريالية) ، إنطلق العديد منهم فى حرب الشعب و ذلك على سبيل المثال فى الفليبين و الهند منذ أواخر الستينات و فى تركيا فى بداية السبعينات و لاحقا فى البيرو و النيبال . و لم تتوقّف حرب الشعب فى الفليبين و الهند و تركيا إلى اليوم وهي لا تتغافل عن الحقيقة التى لخّصها ماو تسى توغ فى جملته الشهيرة **" من فوهة البندقية تنبع السلطة السياسية "**.

فى الوقت الذى يسوّق فيه كلّ أرهاط التحريفيين للطريق السلمي مغالطين الجماهير الشعبية و مضلّلينها ، يكرّس الشيوعيون الماويون المقولات اللينينية و الماوية و أساس تعاليم ماركس و إنجلز و يربّون الجماهير بروح الثورة العنيفة مطبّقين عمليّا ما ورد فى " الدولة و الثورة " من :

" ضرورة تربية الجماهير بصورة دائمة بروح هذه النظرة و هذه النظرة بالذات للثورة العنيفة هي أساس تعاليم ماركس و إنجلس بأكملها. و خيانة تعاليمها من قبل التيارين الإشتراكي – الشوفيني و الكاوتسكي السائدين اليوم تتجلّى بوضوح خاص فى نسيان هؤلاء و أولئك لهذه الدعاية ، لهذا التحريض ."

(لينين –" الدولة و الثورة " ، الصفحة 23 من الطبعة العربية لدار التقدّم ، موسكو).

و هكذا بلا أدنى شكّ الحزب الموحّد خروتشوفي يتبنّى و يكرّس الخروتشوفية الداعية للتحوّل السلمي المنافي للماركسية - اللينينية التى تعلى راية حرب الشعب و العنف الثوري على خطى ماركس ولينين العظيمين .

4- عن النظرية العامة للثورة و" الخصوصية ":

من اللافت أنّ مؤسسي هذا الحزب يشدّدون على أنّ الثورة الوطنية الديمقراطية هي الإجابة الصحيحة على الواقع الخصوصي للقطر و بصفة غير مباشرة يريدوننا أن نفهم من ذلك أنّ هذا النوع من الثورات خاص بالواقع التونسي و طبيعة المجتمع فيه على وجه الحصر و أنّه إبداع لمؤسسي " الخطّ" فى التحديد. و هذا يجافى الحقيقة من عدّة نواحي.

من ناحية أولى الثورة الوطنية الديمقراطية أو الديمقراطية الجديدة مفهوم طرحه أوّل ما طرحه الحزب الشيوعي الصيني منذ مطلع الستينات أي قبل بعث الحلقات الوطنية الديمقراطية فى الجامعة التونسية بأكثر من عقد . و بالتالي كانت هذه الأطروحات التى تبنّتها " الشعلة " قبل تلك المجموعات بعدُ معروفة إلى حدّ ما فى أوساط اليسار التونسي المتأثّر بصراعات الحركة الماركسية - اللينينية العالمية . هذا تاريخ سجّله المؤرّخون النزهاء فى كتب متداولة فى السوق و المكتبات ولا ينكره إلاّ المثالي أو الناظر للواقع بعيون كاذب و مزوّر .

و ليست هذه المرّة الأولى التى نتصدّى فيها لدحض التلاعب بالتاريخ فقد سبق و أن أعدنا الأمور إلى نصابها فى جدال ضد " الوطد" و على وجه الضبط فى فقرة " يأكلون الغلّة و يسبّون الملّة " من نصّ " بعض النقد لنقاّد الماوية " نقرأها معا هنا :

" يشهد التاريخ بدلائل دامغة بأن ماو تسى تونغ إستعمل " شبه مستعمر شبه إقطاعي " بوجه خاص منذ ديسمبر 1939 فى كتابه الشهير و القيم للغاية " الثورة الصينية و الحزب الشيوعي الصيني " و مؤلفاته اللاحقة تزخر بهذا التحديد لطبيعة المجتمع الذى يستدعى نوعا جديدا من الثورات ، ثورة ديمقراطية جديدة / وطنية ديمقراطية قبل المرور إلى و تمهيدا لمرحلة الثورة الإشتراكية .

كما أن مؤلفات ماو ، حتى تلك التى تعود إلى أواسط العشرينات تقوم بتحليل "طبقات المجتمع الصيني " و طبيعة الثورة و أعدائها و حلفائها و التكتيك و الإستراتيجيا و مستقبل الثورة إلخ و ذلك إستجابة للواقع و متطلباته و تلبية لتوجيه لينيني . ففى تقرير فى المؤتمر الثاني لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق فى 22 نوفمبر 1919 ، ورد على لسان لينين :" أنتم تمثلون منظمات شيوعية و أحزابا شيوعية تنتسب لمختلف شعوب الشرق . و ينبغى لى أن أقل إنه إذا كان قد تيسر للبلاشفة الروس إحداث صدع فى الإمبريالية القديمة ، إذا كان قد تيسر لهم القيام بمهمة فى منتاهى العسر وإن تكن فى منتهى النبل هي مهمة إحداث طرق جديدة للثورة ، ففى إنتظاركم أنتم ممثلى جماهير الكادحين فى الشرق مهمة أعظم و أكثر جدة ...

و فى هذا الحقل تواجهكم مهمة لم تواجه الشيوعيين فى العالم كله من قبل : ينبغى لكم أن تسندوا فى الميدانين النظري و العملي إلى التعاليم الشيوعية العامة و أن تأخذوا بعين الإعتبار الظروف الخاصة غير الموجودة فى البلدان الأوروبية كي يصبح بإمكانكم تطبيق هذه التعاليم فى الميدانين النظري و العملي فى ظروف يؤلف فيها الفلاحون الجمهور الرئيسي و تطرح فيها مهمة النضال لا ضد رأس المال ، بل ضد بقايا القرون الوسطى . وهذه مهمة عسيرة ذات طابع خاص ، غير أنها مهمة تعطى أطيب الثمرات ، إذ تجذب إلى النضال تلك الجماهير التى لم يسبق لها أن إشتركت فى النضال ، و تتيح لكم من الجهة الأخرى الإرتباط أوثق إرتباط بالأممية الثالثة بفضل تنظيم الخلايا الشيوعية فى الشرق ...

هذه هي القضايا التى لا تجدون حلولا لها فى أي كتاب من كتب الشيوعية ، و لكنكم تجدون حلولها فى النضال العام الذى بدأته روسيا . لا بد لكم من وضع هذه القضية و من حلها بخبرتكم الخاصة ..."

و جاءت تجربة الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية الصينية بقيادة الشيوعيين و على رأسهم ماو تسي تونغ لتخط بدماء الشعب الثوري طرقا جديدة للثورة ثم جاءت تجربة بناء الإشتراكية فى الصين والثورة الثقافية البروليتارية الكبري طريقة و وسيلة لمواصلة الثورة فى ظل دكتاتورية البروليتاريا إلى جانب الصراع الكبير ضد التحريفية المعاصرة لتكون من أعظم مساهمات ماوتسى تونغ الخالدة التى ينكرها عليه" الجماعة " المثاليين الذين لا يعترفون بالوقائع الملموسة و يصرون على نشر سفاسف ضد الماوية من قبيل أن ماو لم "يساهم فى إثراء الحركة الشيوعية " (ص61 من "هل يمكن إعتبار ماوتسى تونغ ماركسيا- لينينيّا ؟ ").

إن طرح مسألة " مقولة شبه مستعمر شبه إقطاعي " على النحو الإنتهازي الذى طرح به "الجماعة " الذين تجمعوا أواخر الثمانينات المسألة بغرض التنكر للتاريخ الثوري للماوية و لإسهامات ماو الخالدة فى علم الثورة البروليتارية العالمية يتزل طبعا ضمن الهجوم المسعور على الماوية و هنا بالضبط ضمن سعيهم المحموم للتخلص من إرتباطهم بتاريخ الماوية و أطروحاتها منذ أواخر الستينات .

من الثابت فى تاريخ الماركسية فى القطر أن الحركة الماركسية - اللينينية فى تونس طورت أطروحات الثورة الوطنية الديمقراطية فى مواجهة الأطروحات التروتسكية المتنوعة و ذلك إستجابة لمتطلبات التشكيلة الإقتصادية الإجتماعية فى القطر و قوميا و فى علاقة بالصراع العالمي الضاري للماركسية- اللينتينية بقيادة ماوتسى تونغ و الحزب الشيوعي الصيني فى المعركة الكبرى ضد التحريفية المعاصرة .

و من المعلوم أن أطروحات الثورة الوطنية الديمقراطية إستمدت رئيسيا من التجربة الصينية و من الوثائق الماوية و بخاصة من "إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية " الذى يعد حجر الزاوية عالميا فى القطيعة الفكرية والسياسية و التنظيمية العلنية مع التحريفية المعاصرة إثر سنوات من الصراع المحتدم داخل الحركة الشيوعية العالمية .

و هذا الإقتراح هو البيان الذى على أساسه قامت الحركة الماركسية - اللينينية و تشكلت أحزاب خارج الأحزاب التحريفية أو بالإنشقاق عنها بعد أن بلغ الصراع و فضح الخط التحريفي مداه و لم يبق سوى المضي فى خطوة إعادة تشكيل الحركة الشيوعية العالمية التى نخرتها التحريفية ، إستنادا إلى الماركسية - اللبينينية التى إستمات فى الدفاع عنها و تطويرها الماويون الصينيون على وجه الخصوص .

وقطعا لدابر أي ظل للشك فى ما تقدم حول " يأكل من الغلة و يسب الملة "(علاوة على توفر إمكانية العودة إلى بعض المراجع المتداولة حتى فى المكتبات على غرار : من تاريخ اليسار التونسي/ عبد الجليل بوقرة ، سيرس للنشر و الحركة الشيوعية فى تونس 1920- 1985 لمحمد الكيلاني الخوجي حين كتب ذلك المؤلف ضمن هجوم مسعور على الماوية و المهاجم للينينية فى كتابات لاحقة. و حتى الوطنيون الديمقراطيون فى " فى الرد على مشروع مبادرة "حزب العمل الوطنى الديمقراطي " سجلوا بالصفحة 7 : " لقد تأسست النواة الأولى للخط و عبرت عن نفسها علنا فى 23 أفريل 1975 عبر بيان "البيان السياسي لحركة الطلبة الوطنيون الديمقراطيون بالجامعة التونسية " وهذا البروز و هذا التشكل فى إستقلال تنظيمي كلي على منظمة الشعلة . و

إن كان هنالك من تقارب فإنما مرده فى التقاطعات الفكرية و السياسية العامة التى كانت نتيجة لتأثر كلا الطرفين بأطروحات الثورة الصينية ".)

و نستسمحكم فى عرض مطول نسبيا لفقرات من واحدة من أهم وثائق الستينات التى إعتمدت و لا تزال تعتمد فى الصراع ضد التحريفية المعاصرة و التى تبين بجلاء أولا أن أطروحة الثورة الوطنية الديمقراطة أطروحة ماوية يعتاش منها الجماعة و فى ذات الوقت يكيلون لها أفضع الشتائم و ثانيا أن عديد التهم الموجهة لماو لا تعدو كونها كذبا رخيصا نقلا عن التحريفيين السوفيات والدغماتحريفية الخوجية . (ملاحظة : التسطير من وضعنا) .

إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية (رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ردا على رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المؤرخة فى يوم 30 مارس (آذار) عام 1963) / دار النشر باللغات الأجنبية ، بيكين 1963 .

ص14: إن مناطق آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية الواسعة هي المناطق التى تتجمع فيها مختلف أنواع التناقضات فى العالم المعاصر ، و الإستعمار أضعف ما يكون سيطرة فى هذه المناطق ، وهي مراكز عواصف الثورة العالمية التى تسدد الآن الضربات المباشرة إلى الإستعمار .
إن الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية فى هذه المناطق و حركة الثورة الإشتراكية العالمية هما التياران التاريخيان العظيمان فى عهدنا الحاضر .

إن الثورة الوطنية الديمقراطية فى هذه المناطق هي جزء هام من الثورة البروليتارية العالمية المعاصرة .

ص 17: تواجه الأمم و الشعوب المضطهَدة فى آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية المهمة الملحة مهمة محاربة الإستعمار و أتباعه .
إن التاريخ ألقى على عواتق الأحزاب البروليتارية فى هذه المناطق رسالة مجيدة هي أن ترفع عاليا راية معارضة الإستعمار و معارضة الحكم الإستعماري القديم و الجديد و تحقيق الإستقلال الوطنى و الديمقراطية الشعبية ، و أن تقف فى مقدمة الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية ، و أن تكافح من أجل مستقبل إشتراكي .

ص18 : و ينبغى للبروليتاريا و حزبها أن يوحدا على أساس التحالف بين العمال و الفلاحين جميع الفئات التى يمكن توحيدها و أن ينظما جبهة متحدة واسعة ضد الإستعمار و أتباعه . و من أجل تعزيز و توسيع هذه الجبهة المتحدة من الضروري أن يحتفظ الحزب البروليتاري بإستقلاله الإيديولوجي و السياسي و التنظيمي و أن يصر على قيادته الثورة .
على الحزب البروليتاري و جماهير الشعب الثورية أن تتعلم كيف تتقن النضال بجميع أشكاله بما فى ذلك النضال المسلح . عليها أن تهزم القوة المسلحة المعادية للثورة ،بالقوة المسلحة الثورية كلما لجأ الإستعمار و أتباعه إلى القمع المسلح .

ص19: و إن البرجوازية بصفة عامة فى هذه البلدان ذات طبيعة مزدوجة فعندما يجرى تشكيل الجبهة المتحدة مع البرجوازية ينبغى للحزب البروليتاري أن يتبع سياسة الإتحاد و النضال فى آن واحد . و ينبغى أن يتبع سياسة الإتحاد مع البرجوازية طالما كانت تميل نحو التقدمية و معادية للإستعمار و الإقطاع ، و لكن ينبغى أن ينتهج سياسة النضال ضد ميولها الرجعية ، ميول المصالحة و التواطء مع الإستعمار و القوى الإقطاعية .

و فيما يختص بالمسألة القومية فإن نظرة الحزب البروليتاري إلى العالم هي الأممية لا القومية . و فى النضال الثوري يؤيد الحزب البروليتاري القومية التقدمية و يعارض القومية الرجعية . و يجب عليه دائما أن يرسم خطا فاصلا واضحا بين نفسه و بين القومية البرجوازية و لا ينبغى له أبدا أن يقع أسيرا لها .

ص20: و إذا أصبحت البروليتاريا ذيلا للإقطاعيين و البرجوازيين فى الثورة ، فإنه لا يمكن أن يحقق نصر حقيقي كامل للثورة الوطنية الديمقراطية بل و حتى إذا تحقق نوع من النصر فإنه من غير الممكن أيضا أن يوطد ذلك النصر .

ص 63-64: إن التجربة البالغة الأهمية التى جنتها الحركة الشيوعية العالمية هي أن تطور الثورة و إنتصارها يرتكزان على وجود حزب بروليتاري ثوري .
لابد من وجود حزب ثوري .
لا بد من وجود حزب ثوري مبني على أساس النظرية الثورية و الأسلوب الثوري للماركسية اللينينية .
لا بد من وجود حزب ثوري يعرف كيف يمزج بين حقيقة الماركسية اللينينية العامة و بين الأعمال المحددة للثورة فى بلاده. لا بد من وجود حزب ثوري يعرف كيف يربط القيادة ربطا وثيقا بالجماهير الواسعة من الشعب .
لا بد من وجود حزب ثوري يثابر على الحقيقة و يصلح الأخطاء و يعرف كيف يباشر النقد و النقد الذاتي .
مثل هذا الحزب الثوري فقط بوسعه أن يقود البروليتاريا و الجماهير الواسعة من الشعب لهزيمة الإستعمار و عملائه و يكسب النصر التام فى الثورة الوطنية الديمقراطية و يكسب الثورة الإشتراكية ." (إنتهى المقتطف).

و من ناحة ثانية ، الثورة الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة ليست أقلّ من التيارّ الثاني للثورة البروليتارية العالمية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة . و تيّارها الآخر هو الثورات الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية . و بهذا المعنى هي ثورة تنبع من خصوصيات المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة فى العالم و تعالج تناقضين أساسيين (و من هنا الوطنية و الديمقراطية معا) وترمي إلى القضاء على الجبال الرواسى الثلاثة و هي الإقطاعية و الرأسمالية الكمبرادورية / البيروقراطية و الهيمنة الإمبريالية لتمهّد الطريق بقيادة البروليتاريا و عن طريق حرب الشعب و دولة الديمقراطية الجديدة للثورة الإشتراكية فالشيوعية. و عليه ليست إبداعا لمؤسسي " الخط " بقدر ما هي تطبيق عالمي للماركسية ـ اللينينية حينها على عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية و إنقسام العالم إلى حفنة من البلدان الرأسمالية الإمبريالية و غالبية من المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة .

ومن ناحية ثالثة ، بإسم الخصوصية و " بناء نظرية خصوصية تلائم التجربة التونسية و الشخصية الوطنية " (هكذا !) يتملّص الجماعة من أية مبادئ ماركسية و يضعونها على نفس مستوي التراث " العربي الإسلامي" بل يتملّصون من الماركسية عينها . ألم يرد فى الصفحة 9 من " الوطني الديمقراطي " جوان 2011 :

" و ما قلناه سابقا فى علاقة مشروعنا بالتراث العربي الإسلامي ، يصح عندنا أيضا على علاقتنا بالمرجعية الماركسية ، فلا يعنينا فيها إلاّ الأبعاد الثورية الإبداعية الخلاقة . و نحن مثلما نناضل معرفيّا و سياسيّا ضد السلفية الدينية ، فإنّنا نناضل معرفيّا و سياسيّا ضد السلفية الماركسية ." ؟

ما هي الأبعاد الإبداعية الخلاقة ؟ لا جواب . هل مبادئ الماركسية ذاتها سلفية ؟ هذا ما يوحي به كلامهم . فى الوقت الذى يغازلون فيه الحركات الدينية ، هاهم يتنصّلون من الماركسية بتعلّة السلفية ! يجعلون للدين " دورا ثوريّا " و يصيّرون الماركسية " سلفية "! عجيب أمر هؤلاء الذين يناضلون معرفيّا !

و من ناحية رابعة ، يتبجّح جماعة الحزب الموحّد و لا سيما منهم المنحدرين من حركة الوطنيون الديمقراطيون بأنّ الثورة الديمقراطية الإجتماعية خصوصية تونسية و الحال أنّ ما حدث فى تونس لا هو ثورة و لا هو ثورة ديمقراطية ولا هو ثورة ديمقراطية إجتماعية و إنّما هو إنتفاضة شعبية جرى الإلتفاف عليها . وفى هذا المضمار منذ أكثر من سنة الآن ، أطلقنا إنذار الخطر لعلّهم و غيرهم يسمعون فيعون فى العدد الأوّل من " لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية ! " مارس 2011، فى فقرة من نصّ " أنبذوا الأوهام البرجوازية الصغيرة حول الإنتفاضة الشعبية فى تونس" و فى مقال " تونس : أنبذوا الأوهام و إستعدّوا للنضال ! خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء!" الموثقين فى الفصل الرابع المعنون " مغالطات حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد فى قراءة الصراع الطبقي فى تونس".

و فضلا عن كون مصطلح ديمقراطية إجتماعية الهجين ماركسيّا ليس يغنى و لا يسمن من جوع فصفة الديمقراطية يجب أن تكون طبقية أي برجوازية أو بروليتارية أو شعبية بقيادة بروليتارية لتحالف طبقي فى عصرنا هذا مثلما شرح لينين فى ما مرّ بنا و " الإجتماعية " إن أراد الجماعة أن يقصدوا بها " الإشتراكية " كان عليهم إستعمال مفردة " الإشتراكية " لأنّ فى كلّ الأحوال الديمقراطية و الدكتاتورية البرجوازية و البروليتارية و الشعبية إجتماعية بطبيعتها و ليست خارجة عن المجتمع و أمّا إن قصدوا منها إلى العدالة ففى فهمهم هم بالذات (مثلا فى نشرية " الوطني الديمقراطي" عدد 1 و2) تشمل الديمقراطية العدالة فلا لزوم لهذه " الإجتماعية " .

و فوق ذلك ، إلصاق إجتماعية بالديمقراطية لن ينزع عنها كونها برجوازية أو بروليتارية أو شعبية بقيادة البروليتاريا و فى موضوع الحال بكلّ جلاء هي ديمقراطية برجوازية فى ظلّ دولة الإستعمار الجديد أي ديمقراطية الإستعمار الجديد. و هكذا يطرح الحزب الموحّد ديمقراطية برجوازية ، ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد ، وهو يتصوّر بإضافة " الإجتماعية " أنّها تستحيل إلى شيء آخر لا هو برجوازي و لا هو بروليتاري و لا هو شعبي . بمثالية لا يحسدون عليها و بإسم الخصوصية يحلقون فى سماء الأوهام و يسوّقون للديمقراطية القديمة التى لم تعد موضوعيّا و ماركسيّا - لينينيّا و ماركسيا - لينينيا - ماويّا تحديدا ممكنة التحقّق فى عصر الإمبريالية و الثوة الإشتراكية و على أرض الواقع يجدون أنفسهم و نجدهم يلهثون وراء ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد لا غير .

و ما جرى و يجرى عبر العالم لعقود الآن ، من آسيا إلى أمريكا اللاتينية مرورا بأفريقيا ينهض دليلا بالغا على ذلك . و لمزيد نقاش مسألة الديمقراطية القديمة و الديمقراطية الجديدة أثبتنا فى الملحق مقال فى الغرض .

إنّ هذا الحزب الجديد الذى يتشدّق بتبنّى المادية الجدلية لا يطبّقها فى تحاليله و أكثر من ذلك يشوّهها أيما تشويه . فبشأن العلاقة الجدلية بين العام و الخاص نرى هنا كيف أنّه ينفى العام و ينكره ، ينفى علم الثورة البروليتارية العالمية و ينكره ، ينفى أن البروليتاريا فى القطر جزء من البروليتاريا العالمية و ينكره ، ينفى أن نجاح التجارب الخاصة يحتاج إلى أن يشيّد الصرح

الثوري على التجارب العامة بإختصار إنّ هذا الحزب الذى يزعم أنّه ماركسي- لينيني مناهض للماركسية - اللينينية و يجحد العلاقة الجدلية بين الخاص و العام .

إنّه يضرب عرض الحائط بما أعرب عنه لينين و ستالين فلينين منذ 1915 أي قبل قرن قد صرّح فى " حول الديالكتيك " بأنّ " **ما هو خاص هو عام** " و فى " ما العمل ؟ " بأنّ :
" الحركة الإشتراكية - الديمقراطية [لنقرأ الشيوعية] هي حركة أممية فى جوهرها . و ذلك لا يعنى فقط أنّه يتعيّن علينا أن نناضل ضد الشوفينية القومية بل ذلك يعنى أيضا أن الحركة المبتدئة فى بلاد فتيّة لا يمكن أن تكون ناجحة إلاّ إذا طبقت تجربة البلدان الأخرى . "

و قد أعرب ستالين فى " أسس اللينينية " عن أنّ :" **النظرية هي تجربة حركة العمال فى كل البلدان ، هي هذه التجربة مأخوذة بشكلها العام .**".

حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحدّ لا يفقه شيئا من كنه نظرية المعرفة الماركسية ، لا يفقه أنّ
" هناك عمليتان فى المعرفة : إحداهما من الخاص إلى العام ، و الأخرى من العام إلى الخاص . و تتقدّم المعرفة البشرية على الدوام بإعادة هاتين العمليتين بشكل دائري ، و يمكنها مع كلّ دورة (إذا طبقت الطريقة العلمية بدقّة) ان ترتفع لدرجة أعلى و أن تتعمّق بإستمرار ".

(ماو تسى تونغ – " فى التناقض " ، مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة ، المجلّد الأوّل ، الصفحة 467 ، الطبعة العربية ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بيكين).

و من هنا نلمس أنّ " خصوصية " هذا الحزب الموحّد لا تعدو أن تكون تلاعبا بالماركسية - اللينينية و تشويها لها دونما خجل ل" يتحرّر" من أي مبادئ و ضوابط يحاسب على أساسها و يخلق ما يسمّى ب" طريق ثالث " لا هو برجوازي و لا هو بروليتاري يذكّرنا بنظرية " الطريق الثالث " التى لطالما روّج لها التحريفيون و روّجت لها البرجوازية الوطنية فى ستينات و سبعينات القرن العشرين . و يصبّ هذا النهج فى خانة مزيد إفراغ " الخط " من مضمونه الثوري و وضعه بمركب الديمقراطية البرجوازية وهو ما يتجسّد أيضا فى شعارات هذا الحزب البرجوازية بإمتياز والتى أنف تطرّقنا إليها و فضحها بإعتبارها أوهاما برجوازية شديدة الضرر.

V- الثورة الوطنية الديمقراطية و تكتيك حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد الذى يبتلع الإستراتيجيا .

==

بدلا من تعميق الأطروحات الوطنية الديمقراطية و تطبيق علم الثورة البروليتارية العالمية وتطويره ، أدار مؤسّسو حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد ظهرهم لمستلزمات النضال الثوري البروليتاري و مقتضياته وراحوا يتجنبون أمهات المسائل المطروحة للتقدّم بهذا العمل الثوري الإيديولوجية منها و السياسية و التنظيمية و يحصرون أنفسهم و أضرابهم و أتباعهم فى النشاط النقابي و الجمعيّاتي مكرّسين سياسات مطلبية إقتصادوية فى الأساس و مسطّحين وعي المناضلين و المناضلات و من ثمّة تمّ إفراغ الأطروحات الوطنية الديمقراطية الحقيقية من روحها الثورية و ملؤوا القشرة الباقية ، الطبل الخاوي ، بمضامين إنتهازية ديمقراطية برجوازية مثلما سنرى بعضها فى النقاط التالية :

1- طريق الثورة الوطنية الديمقراطية بين الماركسية و التحريفية :

كلّ من لم يفقد ذاكرته فقدانا تاما و من لا يسلك سياسة التناسي و التعامي ، يتذكّر أنّ التيارين المؤسسين الأساسيين للحزب الجديد كانا من رافعي شعار " حرب الشعب هي الحلّ ضد الرجعي و المحتلّ " و يعتبران أنّ طريق الثورة الوطنية الديمقراطية هو طريق حرب الشعب و إن كانا يختلفان نوعا ما فى فهم المقصود بحرب الشعب .

و عقب التخلّى عن " العنف الثوري" ضمن تصفية حزمة من المبادئ الشيوعية الحق ، ركن الجماعة إلى أساليب النضال القانونية السلمية لا غير ومثل جميع الإنتهازيين يعمدون إلى أساليب مغالطة وتضليل لن تنطلي على من يمعن النظر فيها و يتمعّنها مليّا .

ففى الوثيقة المنبثقة عن المؤتمر التوحيدي تحت عنوان " فى تحديد الهوية الفكرية و الطبقية لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد " ، و تحديدا فى نهاتها ، جرى تعويض " وهو ما يبلوره البرنامج السياسي بالكلمات التالية فى اللائحة الأصلية المقدّمة للنقاش : " و ذلك بإنتهاج كلّ أشكال النضال و التنظيم المتاحة و الضرورية ".

و تستهدف هذه الصيغة العامة الفضفاضة تأويل هذه الكلمات خاصة " الضرورية " المضافة ، فى الجدال مع أمثالنا ، على أنّها توحي باللجوء إلى العنف إن لزم الأمر وهو تلاعب بالقراء و المتسائلين يفضح الخطاب الحربائي لهؤلاء المضلّلين ذلك أنّهم بجلاء صرّحوا فى " اللائحة السياسية : طبيعة النظام السياسي " ككلّ المعادين للشيوعية الثورية و مشوهيها ب " رفض العنف و تجريمه فى العلاقات السياسية و المجتمعية " و كأنّ العنف ليس سياسة و كأنّ العنف خارج المجتمع و كأنّ قمع الجماهير و إضطهادها و سحقها و تجويعها و إستغلالها و قتل إبنائها و بناتها و إغتصابهنّ و إغتصابهم ليس عنفا إجتماعيّا . هذا من ناحية و من ناحية أخرى فضلا عن ما أعرب عنه ماركس و إنجلز بشأن دور العنف فى التاريخ كمولّد الثورات و دور العنف الجماهيري فى التقدّم بعجلة التاريخ ...، علّمنا لينين العظيم أنّ الحرب مواصلة للسياسية بأساليب أخرى وأضاف ماو تسى تونغ أنّها سياسة بالعنف ، سياسة دامية . كلّ هذه الحقائق لا تعني شيئا لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد ، ما يعنيه هو الإمتثال لقوانين دولة الإستعمار الجديد مهما كلّفه الأمر من تزوير للواقع و للحقائق الموضوعية و تنكّر لعلم الثورة البروليتارية العالمية .

هذا من جهة و من جهة ثانية ، يضع الجماعة فى وثائقهم و لا سيما فى "البرنامج السياسي العام" كافة أشكال النضال على قدر المساواة و على نفس المستوى والحال أنّها ليست كذلك لمن يتوخّى الدقة و ليس نهج إقتلاع مقولة من إطارها و متنها و بإنتقائية يستخدمها لغايات تحريفية . فالثورة الوطنية الديمقراطية حسب الأطروحات الوطنية الديمقراطية فى أواسط السبعينات و أواخرها و بدايات الثمانينات لا تنجز إلاّ عبر الكفاح المسلّح و حرب الشعب ؛ و النضال المسلّح فى الكثير من وثائق المجموعات الوطنية الديمقراطية تاريخيّا هو أرقى أشكال الصراع الطبقي . و موقف الماركسية ـ اللينينية لا غبار عليه بهذا المضمار وكان مرفوعا عاليا عالميّا فى مواجهة الطريق السلمي التحريفي المعاصر ، السوفياتي منه بالخصوص .

و من جهة ثالثة ، و نحن نطالع قراءة الحزب الموحّد لما حدث فى تونس ، إستوقفنا تعبير " حسم المعركة بالإضرابات " و هذا التعبير كما تعلمون ذو دلالة بالغة و جدّ معبّر إذ هو يحيلنا على طريق الثورة الذي يرتئيه الفوضويون السنديكاليون الذين يرون الثورة تنطلق من الإضرابات و تعتمد عليها و الإضراب العام قمّتها . و ليس هذا من اللينينية أصلا فلينين وحتى فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية ، طرح طريق الإنتفاضة المسلّحة التى يقودها الحزب الطليعي بعيدا عن الإقتصادوية و النقابوية ، المتبوعة بالحرب الأهلية لإنجاز الثورة الإشتراكية . أمّا الأممية الثالثة (إلى حدود) و ماو تسى تونغ فبوضوح قد دعيا إلى طريق حرب الشعب فى المستعمرات وأشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة . و كانت الثورة الصينية و تحقيقها الظفر سنة 1949 أفضل مثال عن تكريس هذا الطريق و صحّته .

إنّ هذا الحزب الموحّد لحزب يقطع مع الماركسية ـ اللينينية الحقيقية و مع جوهر الأطروحات الوطنية الديمقراطية الثورية .

الثورة الوطنية الديمقراطية لا يمكن أن تتحقّق عبر طريق البرلمانية و الطريق السلمي عامة ، إنّها تغيير جذري يمهّد للثورة الإشتراكية بفضل قيادة البروليتاريا من خلال حزبها الشيوعي الثوري الطليعي للدولة . ليست قضية بسيطة فى حياة الشعب بل قضية كبرى و " **القضايا الكبرى فى حياة الشعوب لا تحلّها إلاّ القوة** " مثلما قال لينين فى " خطّتا الإشتراكية الديمقراطية فى الثورة الديمقراطية " وهي مقولة لطالما ضمّنتها المجموعات الوطنية الديمقراطية فى نصوصها .

و فى السياق نفسه ، يكثر جماعة هذا الحزب الموحّد من الكلام عن السياسة (فى الواقع السياسة الديمقراطية البرجوازية) و يتهرّبون كلّيا من الطرح الصحيح لعلاقة السياسة بالحرب ، السياسة بالعنف الرجعي و العنف الثوري رافعين مثلهم مثل معظم التحريفيين فى القطر شعار " لا للعنف السياسي " !!! إنّهم يغالطون أنفسهم و الجماهير ببثّ الأوهام البرجوازية حول هذا الموضوع و لا يعدّون أنفسهم و الجماهير لمواجهة العنف الرجعي بينما يعتبرون عنف الجماهير الثوري حتى فى أدنى أشكاله – رمي الحجارة – " غير معقول " وفق تصريح خلال برنامج تلفزي لزعيم هذا الحزب بعد أحداث سيدي بوزيد فى 14 ديسمبر 2012 و طرد الجماهير رئيس الدولة التونسية المرزوقي و رئيس المجلس التأسيسي برجمهم بالحجارة فيدينون عنف الجماهير ، العنف الثوري و يطعنون علم الثورة البروليتارية العالمية أيما طعنة . لقد أعلن لينين فى مقالة " برنامج الثورة البروليتارية الكبرى " (الصفحة 87 من "الحروب العادلة و الحروب غير العادلة " ، الطبعة العربية لدار التقدّم موسكو) : " **إنّنا لنرتكب خطأ فادحا من الناحية النظرية إذا نسينا أن كلّ حرب ليست سوى إمتداد للسياسة بوسائل أخرى** ". و يعلّمنا لينين العظيم أنّ " **طبقة مضطهَدة مظلومة لا تسعى إلى تعلّم إستعمال السلاح ، إلى الحصول على السلاح ، إنّ هذه الطبقة**

المضطهَدة لا تستحقّ أن تعامل إلاّ معاملة العبيد " (" برنامج الثورة البروليتارية العسكري "، الصفحة 443 من الجزء 1 من المجلّد 2 من " المختارات فى ثلاثة مجلّدات " ، الطبعة العربية لدار التقدّم ، موسكو).

و على خطى التحريفيين عبر العالم ، يغفل حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد التحريض و الدعاية صلب الجماهير لنظرة الثورة العنيفة وهو بذلك يعارض اللينينية فلينين مثلما مرّ بنا نبّه بصريح العبارة فى " الدولة و الثورة " إلى :

" ضرورة تربية الجماهير بصورة دائمة بروح هذه النظرة و هذه النظرة بالذات للثورة العنيفة هي أساس تعاليم ماركس و إنجلس بأكملها . و خيانة تعاليمها من قبل التيارين الإشتراكي - الشوفيني و الكاوتسكي السائدين اليوم تتجلّى بوضوح خاص فى نسيان هؤلاء و أولئك لهذه الدعاية ، لهذا التحريض ."

و فى سنة 1938، فى أتون الحرب التى عاشها لسنوات طوال جدّا ، لخَص ماو تسى تونغ تلك الحقيقة على طريقته الخاصة قائلا :

" إنّ الإستيلاء على السلطة بواسطة القوة المسلّحة ، و حسم الأمر عن طريق الحرب ، هو المهمّة المركزية للثورة و شكلها الأسمى. و هذا المبدأ الماركسي-اللينيني المتعلّق بالثورة صالح بصورة مطلقة ، للصين و لغيرها من الأقطار على حدّ السواء ".

(ماو تسى تونغ " قضايا الحرب و الإستراتيجية " نوفمبر- تشرين الثاني 1938؛ المؤلفات المختارة ، المجلّد الثاني)

2- المسألة الديمقراطية غائبة والجبهة الوطنية مائعة :

أطلق الماركسيون - اللينينيون الصينيون و على رأسهم ماو تسى تونغ فى وثيقة " إقتراح حول الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية " نعت الوطنية الديمقراطية على هذه الثورة لأنّها تعالج تناقضين أساسيين إثنين هما التناقض بين الإمبريالية و عملائها من ناحية و الشعب من الناحية الثانية (المسألة الوطنية) و التناقض بين جماهير الفلاحين من ناحية و شبه الإقطاعية من ناحية ثانية (المسألة الديمقراطية).

و بارز هو غياب أي طرح للجماعة للمسألة الديمقراطية . مثلهم مثل حزب " الوطد" ، الحزب الوطني الإشتراكي الثوري - الوطد ، يركّزون التركيز كلّه على المسألة الوطنية و يتناسون المسألة الديمقراطية و يتجاهلون التداخل و العلاقة الجدلية بين المسألتين بما يسمح لنا بإستنتاج أنّهما يعتبران بشكل أو آخر أنّ ما حصل فى تونس قد حلّ المسألة الديمقراطية إن لم يكن كلّيا فعلى الأقلّ فى الأساس. و الواقع يفنّد ذلك. و فضلا عن ذلك يعكس هذا تعبيرا من تعبيرات الإنحراف القومجي فى صفوف الوطنيين الديمقراطيين عموما و هو موضوع لن ندخل فى تفاصيله هنا.

دون الإستهانة بالتغيّرات فى الوضع العالمي و الإختلافات بين صين 1939 و القطر حاليّا فى جوانب معينة و تطويرات الماويين لأوجه من الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية ، رأينا من المعبّر للغاية العودة إلى 1939 و إلقاء نظرة على كيف كان ماو تسى تونغ يطرح

المسألتين الوطنية و الديمقراطية بمستوى لم يرتق إليه اليوم مؤسّسو الحزب الموحّد الذين يلصقون بأنفسهم إلصاقا نعت " الوطنيين الديمقراطيين " :

" مما لا يتطرق إليه الشك أن المهمة الرئيسية هي ضرب هذين العدوين أي القيام بثورة وطنية من أجل وضع حد للإضطهاد الإمبريالي الأجنبي ، و بثورة ديمقراطية من أجل وضع حد لإضطهاد ملاك الأراضي الإقطاعيين فى الداخل ، و المهمة الأولية هي القيام بالثورة الوطنية من أجل الإطاحة بالإمبريالية .

إن هاتين المهمتين الكبيرتين للثورة الصينية مرتبطتان ببعضهما البعض . فإذا لم يوضع حد للسيطرة الإمبريالية ، يستحيل إنهاء حكم طبقة ملاك الأراضي الإقطاعيين ، ذلك لأن الإمبريالية هي السند الرئيسي لهذه الطبقة . و العكس بالعكس ، فإذا لم نساعد الفلاحين على الإطاحة بطبقة ملاك الأراضي الإقطاعيين ، فلن يكون فى إمكاننا بناء جيش قوي للثورة الصينية من أجل وضع حد للسيطرة الإمبريالية ، إذ أن طبقة ملاك الأرضي الإقطاعيين هي حجر الزاوية الإجتماعي الرئيسي للسيطرة الإمبريالية فى الصين بينما الفلاحون هم القوة الرئيسية فى الثورة الصينية . و لذا ، فإن هاتين المهمتين الأساسيتين ، الثورة الوطنية و الثورة الديمقراطية ،هما مختلفتان و متحدتان فى آن واحد .

و لما كانت المهمة الرئيسية الحالية للثورة الوطنية فى الصين هي مقاومة الإمبريالية اليابانية التى غزت أرض بلادنا ، و كانت الثورة الديمقراطية مهمة يجب علينا إنجازها فى سبيل كسب الحرب ، فقد إرتبطت هاتان المهمتان الثوريتان ببعضهما فعلا . إن وجهة النظر التى تعتبر الثورة الوطنية و الثورة الديمقراطية كمرحلتين من الثورة منفصلتين تماما هي وجهة نظر غير صحيحة ." (ماو تسي تونغ : " الثورة الصينية و الحزب الشيوعي الصيني" ، 1939 ؛ المجلّد الثاني ،الصفحة 438-439)

و من لائحة إلى أخرى و من وثيقة إلى أخرى تسود لخبطة فكرية تبعث على القرف بصدد فهم الجبهة الوطنية الديمقراطية اللازمة لإنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية . ففى " فى تحديد الهوية الفكرية و الطبقية لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد " لكم " بناء جبهة وطنية ديمقراطية أداة معبّرة عن وحدة طبقات الشعب الوطنية المستغلّة و المضطهَدة تعمل على إستكمال مهام المسار الثوري نحو تحقيق الجمهورية الديمقراطية الإجتماعية " (و لاحظوا ليس لإنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية بل لإستكمال مهام المسار الثوري !!!). وفى " النظام الداخلي لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد " ، الباب الخامس على وجه التحديد ، تصبح " الجبهة الوطنية التقدّمية لإقامة الجمهورية الديمقراطية الإجتماعية " التى تستحيل فى" مشروع برنامج المهام المباشرة " إلى " بناء جبهة ديمقراطية تقدّمية " " تعمل على إستكمال المسار الثوري [هذه المرّة ليس مهام المسار الثوري] و تحقيق أهدافه" . وفى " لائحة السياسة العربية و الدولية " نقرأ " بناء جبهة وطنية ديمقراطية و قطب تقدّمي ..." و من مكان إلى مكان تتبدّل الجبهة كالحرباء زيادة و نقصانا إلخ.

و اللافت أنّه و لا مرّة واحدة جرى الحديث عن قيادة هذه الجبهة و ما يعنيه ذلك و ما يتطلبه و المعارك المتوقّعة من أجل ذلك و كيفية خوضها إلخ. فى قضية الجبهة الوطنية الديمقراطية كما فى غيرها من قضايا الصراع الطبقي قد يبلغ الصراع حدّ القتال المسلّح من أجل القيادة ناهيك عن المعارك الإيديولوجية و السياسية المحتدمة إلخ. يبدو أنّ جماعة هذا الحزب يتصوّرون جبهتهم هذه جبهة توافقية يسودها الوفاق الطبقي و السلم الإجتماعي ، جبهة تقف مكوّناتها

مصطفّة الواحدة إلى جانب الأخرى دون صراع ولا قيادة . مرّة أخرى ، يغيّب الجماعة المادية الجدلية فيرون الوحدة المؤقتة و النسبية و لا يرون الصراع المطلق .

حقّا إنهم لمثاليون ميتافيزيقيون حيث لا يحلّلون الواقع طبقيّا و جدليّا و حيث تعاميهم عن تاريخ من الأكيد أنّهم درسوه ، تاريخ مثل هذه الجبهات فى عديد البلدان عبر العالم و حسبنا هنا أن نحيلهم على تاريخ الجزائر التى صورت منه قصّة الطاهر وطّار " اللاز" جوانبا تهمّنا هنا ليدركوا كيف تعاملت جبهة التحرير الوطني الجزائرية مع الماركسيين بقطع الرؤوس!!!

و تفيد تعاليم علم الثورة البروليتارية بشأن الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية أنّ أسلحتها الرئيسية الثلاثة هي :

" حزب قوي النظام مسلّح بالنظرية الماركسية ـ اللينينية ، يستخدم أسلوب النقد الذاتي و يرتبط بجماهير الشعب ، و جيش يقوده مثل هذا الحزب ، وجبهة متحدة تضمّ مختلف الطبقات الثورية و الجماعات الثورية و يقودها مثل هذا الحزب ـ هذه هي الأسلحة الرئيسية الثلاثة التى ننتصر بها على العدوّ".

(ماو تسى تونغ " الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية " 30 يونيو – حزيران 1949؛ المؤلفات المختارة ، المجلّد الرابع.)

كما تفيد بأنّ قيادة البروليتاريا للجبهة شرط نجاحها :

" إن الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية تتطلب قيادة الطبقة العاملة ، لأنها هي الطبقة الوحيدة النافذة البصيرة و أكثر الطبقات إنكارا للذات ، كما أنها أكثر الطبقات حزما فى الثورة . و يبرهن تاريخ الثورات بأكمله على أن الثورة تفشل إذا كانت بدون قيادة الطبقة العاملة و أنها تنتصر إذا قادتها هذه الطبقة."

(ماو تسى تونغ " الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية "، 30 يونيو – حزيران 1939 ، المجلّد الرابع ، الصفحة 41).

3- <u>التكتيك الذى يبتلع الإستراتيجيا :</u>

" إنّ هذا النسيان للإعتبارات الكبرى ، الجذرية حرصا على مصالح اليوم العرضية ، و هذا الركض وراء النجاحات العرضية ، و هذا النضال من أجلها دونما حساب للعواقب ، و هذه التضحية بمستقبل الحركة فى سبيل الحاضر ، إنّ كلّ ذلك قد تكون له دوافع " نزيهة" أيضا . و لكن هذا هو الإنتهازية ، وهو يبقي الإنتهازية ، و لعلّ الإنتهازية " النزيهة " هي أخطر الإنتهازيات ..."

(لينين :" الدولة و الثورة " ، الصفحة 74).

يتوقّع المرء من حزب يدعى الإستناد إلى " الماركسية ـ اللينينية " و " الإشتراكية العلمية " أن يصوغ فى مؤتمره برنامجه البعيد المدى و برنامجه القصير المدى و تكتيكاته أي إذا إعتبرنا الشيوعية (و الأمر ليس كذلك بالنسبة لهم كما حلّلنا) هي الهدف الأسمى و الإشتراكية كمرحلة

إنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية هي (الشيوعية و ليس الإشتراكية) الهدف الإستراتيجي لحزب شيوعي حقّا ، فإنّه سيصوغ لها برنامجها و يعرض رؤيته لها و رؤيته لكيفية الإنتقال إليها وفى البلد المستعمر و شبه المستعمر و المستعمرة الجديدة يضيف برنامجا أدنى هو برنامج الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية الممهّدة للثورة الإشتراكية ويشرح كيفية المرور من دولة الديمقراطية الجديدة إلى الثورة الإشتراكية إلخ. و إنطلاقا من قراءة ميزان القوى الطبقي و الواقع الموضوعي و الذاتي و حركة الصراع الطبقي فى الفترة الراهنة ، يرسم تكتيكا واضح المعالم أهدافا و أساليب تطبيق و تنظيما . بيد أنّ قراءة لوائح مؤتمر الحزب الموحّد تجعلك لا تفرّق بين هذه المستويات التى علاوة على أنّها غير واضحة المعالم متداخلة أحيانا تدمج بين برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية و البرنامج التكتيكي فى أحيان كثيرة فى لخبطة لا يحسدون عليها و تؤدّي بهم إلى أوهام نتعرّض لها بشيء من التفصيل فى لاحق فقراتنا. و لكن الآن و هنا يهمّنا أن نأكّد بما لا يدع مجالا للشكّ أنّ الجماعة خلقوا مرحلة جديدة سابقة لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية يسمّونها مرحلة تكتيكية غير أنّه تكتيك إنتهازي يبتلع الإستراتيجيا.

فى جوان 2011 ، فى العدد الأوّل من " الوطني الديمقراطي " جاء : " نشاهد اليوم الثورة الوطنية الديمقراطية تتحقّق "(الصفحة 3) و بعد سنة تستحيل هذه "الثورة الوطنية الديمقراطية" التى كانوا يشاهدونها تتحقّق إلى " مسار ثوري " لا غير ، فى خطوة إلى الوراء للإلتفاف على الحقيقة التى بانت فاقعة بانّ ما حدث ليس بثورة . الجماعة لا يفقهون الفرق بين الثورة و الإنتفاضة و لمواصلة مغالطة المناضلين و المناضلات و تضليلهم يقع إبداع " المسار الثوري" وبعد تحقّق الثورة يراد الآن " إستكمال مهامها ". هذا مجرّد تلاعب مثالي بالواقع الموضوعي ، مجرّد مراوغات تحريفية !

وهدف ما يعتبرونه " مسارا ثوريّا " فى " البرنامج السياسي العام " هو " بناء الجمهورية الديمقراطية الإجتماعية " و ليس الديمقراطية الشعبية أو الديمقراطية الجديدة أو الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية ، ماويّا. و لبلوغ جمهورية حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد هذه تزخر لوائح المؤتمر بنقاط برنامجية تكاد تكون غالبيتها نقاط برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية غير أنّ ما يسترعي الإنتباه هو أنّهم يتوقّعون إنجازها فى إطار دولة الإستعمار الجديد و ليس على أنقاضها. ما يحدّدونه هدفا للإطاحة به ليس دولة الإستعمار الجديد و جيشها بل هدفهم هو تفكيك " الدكتاتورية ".

ديمقراطيتهم اللاطبقية ظاهريّا و البرجوازية جوهرا علّقنا عليها فى الفقرات السابقة لذلك لن نثقل على القرّاء بالتكرار و لكن يحضرنا بصدد الدولة البرجوازية ما قاله لينين وهو لعمرى مفيد و جدير بالذكر :

" ففى الدولة البرجوازية الأوفى ديمقراطية ، تصطدم الجماهير المظلومة على الدوام بالتناقض الصارخ بين المساواة الشكلية التى تعلنها " ديمقراطية " الرأسماليين ، و آلاف القيود و الأحابيل الفعلية التى تجعل من البروليتاريين عبيدا مأجورين. "

(" الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي " ، دار التقدّم ، موسكو ، بالعربية ، الصفحة 19).

وقبل الإجابة عن سؤال من الأكيد أنّه عالق بذهن القراء : كيف يبتلع هذا التكتيك الإستراتيجيا ؟ ، نجيب عن سؤال آخر هو هل يمكن أن تختلف مثل هذه الجمهورية التى يرنو إليها الحزب الموحّد عن جمهورية دولة الإستعمار الجديد ؟ بما أنّها ترسي فى ظلّ دولة الإستعمار الجديد فإنّها لن تكون سوى شكلا من أشكالها أو بالأحرى عنوانا من عناوينها طالما لم يقع تحطيم الدولة القديمة، دولة الإستعمار الجديد بجيشها و شرطتها و دواوينيتها و لم تشيّد على أنقاضها دولة جديدة

تقودها البروليتاريا متحالفة مع طبقات الشعب و فئاته الأخرى ؛ لن يكون أي شكل للسلطة ، إن لم يقع تحطيم الدولة القديمة ، إلاّ شكلا لا غير لسلطة دولة الإستعمار الجديد ، أكانت السلطة تسمّى جمهورية ديمقراطية أم جمهورية شعبية أم جمهورية ديمقراطية أو حتى جمهورية ديمقراطية إشتراكية ... فهي تظلّ فى جوهرها المحدّد لطبيعتها سلطة دولة الإستعمار الجديد.

و زيادة على ذلك ، لو نظرنا للقضية من زاوية أخرى ، من زاوية الطبقات الحاكمة ، فماذا نكتشف ؟ يتجلّى أمامنا أن تكتيك حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد و غيره من القوى " اليسارية " الإصلاحية ، تكتيك مواتي جدّا يخدم إستراتيجيا الكمبرادور و الإقطاع المتحالفين مع الإمبريالية العالمية . فالتكتيك الإصلاحي " اليساري" يصبّ فى مجرى إستراتيجيا دولة الإستعمار الجديد التى تسعى إلى إعادة هيكلة نفسها لتتخلّص من ما بلي من مظاهرها و تصبح أكثر فعالية و جدوى بالنسبة للطبقات الرجعية و الإمبريالية العالمية. تسعى هذه الدولة التى تعرّضت لهزّة و لم تسقط إلى ترميم ما تصدّع من هياكلها متخلّية عن بن علي و الطرابلسية و مدمجة قوى أخرى كانت معارضة ضمن هياكلها ضاخة دما جديدا فى عروقها وهي عملية لم تقع فى القطر فقط بل وقعت و تقع عبر العالم و ما جدّ فى المغرب و الجزائر و مصر و فلسطين و جنوب أفريقيا إلخ إلاّ بعض الأدلّة على إعادة الهيكلة هذه . و فى هذه الحال ، تظلّ دولة الإستعمار الجديد قائمة الذات بل تسترجع أنفاسها و تعزّز من سطوتها فتأخّر الثورة الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة لعقود عديدة. و تظلّ هذه الجمهورية مهما أضيف إليها النعوت البرّاقة و الرنّانة واقعيّا جمهورية الكمبرادور و الإقطاع المتحالفين مع الإمبريالية العالمية.

و حتى لو بلغ السلطة عبر الإنتخابات من يدعون أنهم ماركسيون فلن يمارسوا غير سلطة دولة الإستعمار الجديد و لن يقدروا على الخروج على حدودها و سيجدون أنفسهم إن سعوا لتجاوز الخطوط الحمراء التى ترسم لهم أمام خيارين إمّا الرضوخ للدولة و خياراتها و خدمة مصالح الطبقات الحاكمة المتحالفة مع الإمبريالية و إمّا إسقاطهم من السلطة بالمؤامرات أو بالعنف إن لزم الأمر . و هنا بالغ الدلالة هو مثال الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي) الذى يحكم فى ولايات من الهند خدمة لدولة الرجعية و الإمبريالية وهو ينظّم المجازر و حملات القمع و النهب و السلب و الحرق ضد الجماهير الشعبية المناضلة هناك وضد الشيوعيين الماويين الذين يقودون حرب الشعب.

لمّا ينشط الحزب الموحّد فى إطار دولة الإستعمار الجديد و يلتزم بشرعيتها الإنتخابية و يتخلّى عن الجوهر الثوري للشيوعية و يروّج للتحريفية التى هي فكر برجوازي ، ماركسية مزيفة ، أيبقى بمقدوره قيادة ثورة وطنية ديمقراطية حقيقية وفق حتى الأطروحات الوطنية الديمقراطية العامة لأواسط السبعينات إلى بداية الثمانينات حتى لا نقول وفق الماركسية - اللينينية - الماوية ؟ طبعا لا و ألف لا.

و لمّا يخلق حزب ما مرحلة وهمية قبل الثورة الوطنية الديمقراطية و لو بإسم التكتيك الفعّال ، أيخطو خطوات نحو الإنجاز الفعلي لهذه الثورة أم يأجّلها إلى مستقبل غير معلوم عوض الشروع فى الإعداد لها بإيجاد الأسلحة السحرية الثلاثة التى تكلّم عنها ماو أعلاه ؟ هو بالطبع يأجّلها إلى يوم يبعثون!

و بذلك يبتلع هذا التكتيك الوهمي الذى لا يخدم الإستراتيجيا بل يقف حجر عثرة فى طريقها ، يبتلع الإستراتيجيا ذاتها . المرحلة التكتيكية الوهمية : الجمهورية الديمقراطية الإجتماعية تبقى النضال فى إطار دولة الإستعمار الجديد و تبتلع الثورة الوطنية الديمقراطية المأجّلة إلى مستقبل غير معلوم ومن هنا تبتلع أيضا الثورة الإشتراكية و المشروع الشيوعي ككلّ.

و مثل هذا التكتيك الإنتهازي الذى يدخل فى إطار لعبة دولة الإستعمار الجديد ليس بجديد على " اليسار" التونسي فقد سبقهم إليه حزب العمّال التونسي حين إخترع تكتيكا وهميّا آخر إبتلع هو الآخر الإستراتيجيا فبإسم الإعداد للثورة " الديمقراطية الوطنية " و رفع وعي الجماهير تمسّك لأكثر من ثلاثين سنة بتكتيك (تصوّروا تكتيكا دام أكثر من ثلاثين سنة ! تكتيك تحوّل إلى إستراتيجيا !) الحرّيات السياسية مؤجّلا التحضير اللازم شيوعيّا للثورة المرجوّة. و لذلك لثلاثين سنة إبتلع هذا التكتيك الإستراتيجيا . و لمّا تحقّق لجماعة حزب العمال نوعا من الحريات السياسية بفضل إنتفاضة لم يكن مركز إهتمامها و لا شعارها المحوري الحريات السياسية ، هل راحوا يعدّون العدّة للثورة " الديمقراطية الوطنية " ؟ لا أبدا . بالعكس ، تخلّوا عن نعت " الشيوعي" لحزبهم و طفقوا ينشرون وهما تكتيكيّا جديدا سمّوه إستكمال مهام الثورة و خوض المعارك الإنتخابية و الطريق البرلماني و التداول السلمي للسلطة فى ظلّ ديمقراطية لا يصنفونها طبقيّا هم الآخرون وهي طبعا ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد. و هكذا دواليك من تكتيك ديمقراطي برجوازي وهمي إلى آخر.

و حزب العمل الوطني الديمقراطي بدوره قد لجأ إلى نفس السياسة التحريفية ، سياسة خلق وهم مرحلة حريات ديمقراطية تعبّد الطريق للثورة الوطنية الديمقراطية . و الشيء نفسه ينسحب على مجموعات أخرى . و جميعها تلتقى فى مستنقع الديمقراطية القديمة ، الديمقراطية البرجوازية و أوهامها.

4- إلى أين تفضى الأوهام الديمقراطية البرجوازية ؟ : دروس من التجارب العالمية :

عن تجربتي كوبا و فنيزويلا سنبدى بعض الملاحظات لاحقا ، لكن دعونا الآن ننظر فى مسألة إلى أين تفضى الأوهام البرجوازية ؟ لقد سبق لدولة الإستعمار الجديد فى تونس أن وظّفت الأوهام الديمقراطية البرجوازية فى فترة مزالي و فى السنوات الأولى من حكم بن علي وهي اليوم وعلى نطاق أوسع توظّف ذات الأوهام الديمقراطية البرجوازية لتضليل الشعب و مغالطته. فى الماضي ، لم تحرّر هذه الأوهام الشعب و لن تحرّره لا حاضرا و لا مستقبلا بل بالعكس ساهمت فى تأبيد الدولة الراعية لهذه الأوهام . و الشيء نفسه حصل و يحصل فى أكثر من بلد عربي ، مغربا و مشرقا.

و نظرا لكوننا شيوعيين ماويين نسلّط شيئا من الضوء بداية على تجربة ماوية حديثة جدّا إغتالتها أوهام الديمقراطية البرجوازية و نقصد التجربة النيبالية. فقد قاد الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية و حرب الشعب هناك وفق المبادئ الماوية و حقّق إنتصارات عظيمة بالغا بعد سنوات عشر (1996-2005) من التضحيات الجسام و المعارك الشرسة على جميع الأصعدة تحرير ما يناهز الثمانين بالمائة من البلاد و بناء سلطة جديدة و جيش شعبي قويّ و تحطيم جزء هام من الدولة القديمة ، دولة الإقطاع و الكمبرادور المتحالفين مع الإمبريالية. غير أنّه لصعوبة الواقع الموضوعي و تعقّده و لقصور فى الرؤية المادية الجدلية و لقراءة خاطئة للتجارب الإشتراكية السابقة و الدروس التى ينبغى إستخلاصها منها ، طفقت قيادة الحزب تنزلق فى الإنحرافات الخطيرة و تبتعد عن المنهج القويم و السليم للثورة و سقطت فى 2006 فى مستنقع الديمقراطية البرجوازية فتحالفت مع أحزاب برجوازية صغيرة و أخرى برجوازية كمبرادورية لتشارك فى النهاية فى لعبة الإنتخابات و إيقاف حرب الشعب و التعهّد بحلّ جيش التحرير الشعبي و أجهزة السلطة و الدولة الجديدة . و توصّل الحزب النيبالي إلى الفوز فى الإنتخابات و تشكيل حكومة مع حلفاء لكن فى نفس الوقت جرى تفكيك السلطة الجديدة ، الدولة الجديدة و وقعت خيانة الثورة. و النتيجة اليوم بعد عدّة سنوات ، تحوّل

هذا الحزب الذى بات تحريفيّا برجوازيّا منذ ندوته المنعرج سنة 2005 إلى أداة فى خدمة دولة الإستعمار الجديد التى لم يحطّمها فحطّمته و جعلته يعمل على إصلاحها و ترميمها تحسينها لا غير.

و أدّت الأوهام البرجوازية و التحريفية فى بلد آخر ، أندونيسيا فى أواخر ستينات القرن العشرين إلى سلوك الحزب الشيوعي هناك طريق البرلمانية بدعوى تدعيم الشقّ الوطني فى السلطة و إنتهت العملية بمأساة و يالها من مأساة : إغتيال و قتل عشرات الآلاف من الشيوعيين و الشيوعيات و غيرهم على أيدى جيش دولة الإستعمار الجديد.

و إلى الشيلي زمن آلاندي أين إتبع الماركسيون المزيفون الطريق السلمي لتداول السلطة و توصّل التحالف بين هؤلاء و الإشتراكيين إلى الإنتصار فى الإنتخابات و حاول الرئيس المنتخب الجديد الإقدام على إصلاحات ، و نعيدها إصلاحات ، مثل تأميم مؤسسات مسّت إلى درجة معيّنة المصالح الجوهرية لدولة الإستعمار الجديد و الطبقات الواقفة وراءها فأسرعت الرجعية و الإمبريالية إلى إستخدام أهمّ جهاز من أجهزة الدولة و عمادها الجيش لتنظّم إنقلابا قاده بينوشي وتسبّب فى سفك دم الآلاف و تشريد مئات الآلاف و إغراق البلاد فى جوّ من الإرهاب الفاشستي دام عقودا . و لمّا شاخ بينوشي و إهترأت سلطته عالجت الرجعية و الإمبريالية الأمر بمرحلة إنتقال ديمقراطي برجوازي لم يغيّر من جوهر النظام الإقتصادي - الإجتماعي شيئا و ظلّ الإضطهاد و الإستغلال الخبز اليومي للبروليتاريا و الكادحين فى الشيلي.

بهذا القدر من الأمثلة نكتفى لنستنتج أنّ فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة ، لا تجارب " الإنفتاح" و لا " الإنفتاح الديمقراطي" و لا تجارب " الإنتخابات الحرّة و النزيهة " أنجبت "ديمقراطية " أو " ثورة ديمقراطية " أو " ثورة ديمقراطية إجتماعية " بمعنى الديمقراطية البرجوازية من النمط المشاهد فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية ، كلّ ما فعلته هو مغالطة البروليتاريا و الجماهير الكادحة و تأبيد إضطهادها و إستغلالها ، علما و أنّ الديمقراطية البرجوازية القديمة عُدّت منذ عقود غير ممكنة التحقيق فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية مثلما بيّن ذلك ماو و شرحنا فى مقالنا " الديمقراطية القديمة و الديمقراطية الجديدة " المثبت كملحق لهذا العمل.

و حقّا لا مناص من إعلاء حقيقة لخّصها ماو تسى تونغ فى جملة :

" بدون جيش شعبي ، لن يكون هناك شيئ للشعب. "

(" مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ" ، الصفحة 105)

IV- مغالطات حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد فى قراءة الصراع الطبقي فى تونس :

==

متسلّحة بالذخية التحريفية التى كشفنا ، تنهال وثائق المؤتمر التوحيدي على الوضع فى القطر مفكّكة أوصاله تفكيكا مثاليّا ، ناشرة الأوهام البرجوازية و كأنّها تتكلّم عن بلد لا نعرفه و واقع نحن عنه غرباء و بمنهج لا نفقه منه شيئا.

1- تداخل مفزع فى المفاهيم :

إنّ المفاهيم التى تستعمل تترجم المنهج المعتمد و مفاهيم الحزب الموحّد مفاهم لا تنمّ عن وحدة فكرية للمؤتمرين فكلّ يغنّى على ليلاه وهذا منعكس بوضوح ما بعده وضوح فى اللوائح . فحسب هذه اللوائح ، ماحدث فى تونس إنتفاضة ، لا بل إنتفاضتان ، لا بل ثورة ، لا بل مسار ثوري إلخ. ففى " لائحة التنمية الجهوية " نجد " ثورة 14 جانفي " كما نجد " إنتفاضات الحوض المنجمي 2008 ، بنقردان (صيف2010) و سيدى بوزيد و القصرين (ديسمبر 2010) التى دشّنت المسار الثوري بالقطر". و فى " لائحة الجباية " و " لائحة المرأة " يتمّ الحديث عن " ثورة الحرّية و الكرامة " . وأمّا فى " البرنامج السياسي العام " فالخليط مفجع بين " المسار الإنتفاضي" و " مسار الإنتفاضة " و " المسار الثوري" و الإنتفاضة الجديدة المضافة إضافة كريمة جدّا هي " إنتفاضة 25 فيفري 2011"!!! وفى " اللائحة السياسية : طبيعة النظام السياسي" يركّز الكلام على " المسار الثوري من أجل بناء الجمهورية الديمقراطية الإجتماعية " و هكذا دواليك.

و الحال أنّ ما جدّ فى القطر لا يعدو كونه إنتفاضة شعبية و قد تطرّقنا إلى الموضوع فى مناسبتين سابقتين و هاكم ما كتبنا :

<u>أ- فى مقال " أنبذوا الأوهام البرجوازية الصغيرة حول الإنتفاضة الشعبية فى تونس " :</u>

" **<u>إنتفاضة أم ثورة :</u>**

بداية وجبت ملاحظة أنّ التمرّد إنطلق فى مطالبه إجتماعيا عفويّا ليتحوّل شيئا فشيئا و يوما فيوما إلى رفع واعي مصمّم و منظّم بأشكال مختلفة و متفاوتة القوّة لمطالب سياسية لم تعد منحصرة فى جهة أو جهتين و إنّما عمّت البلاد كافة تقريبا. و رغم الطابع العفوي الطاغي فى البدء خاصة فإن قوى سياسية مختلفة فى النقابات و فى منظّمات شتى و فى الجهات المتنوّعة (أفرادا و جماعات) نظّمت إلى حدود النضالات و نسقها التصاعديّ و الصمود و الهجوم و إن لم يهيمن حزب معيّن على التحرّكات فإنّ عديد المجموعات سجّلت حضورا ملحوظا منذ البداية أو إلتحقت بالحركة الإحتجاجية بجدّ بعد تردّد أو تلكؤ و وقوف موقف المتفرّج لأيام أو لأسابيع.

ثمّ إنّ تمرّد الشعب حين توسّع صار إنتفاضة جماهيرية طالت و تعمّقت فحقّقت هدفا كان بعيد المنال بالنسبة للكثيرين حتى من الأحزاب و المجموعات السياسية ألا وهو الإطاحة برأس النظام الرئيس الجنرال و قد يحقّق تواصل التمرّد إسقاط حكومة الغنوشي فى الأيام القادمة. و مع ذلك ليس بإمكاننا علميا و من منظور البروليتاريا و منهجها المادي الجدلي أن ننعت ما حصل بالثورة إذ هو لا يتعدّى كونه إنتفاضة و ذلك لأنّه اطاح برئيس الدولة و لم يطح بالدولة ، دولة الإستعمار الجديد ، دولة الإقطاع و الكمبرادور المتحالفة مع الإمبريالية و خادمتها .

ماركسيا، الدولة جهاز قمع طبقة لطبقة / الطبقات أخرى متكوّن أساسا من الجيش كعمود فقري و آلة بيروقراطية لإدارة دواليب الدولة و مؤسساتها . و تطبيقا على تونس و إن تعرّض الجهاز البيرروقراطي للدولة إلى بعض الضربات فى جهات معينة و مؤسسات معينة و إلى حدود معينة فهو لا يزال قائما و قادرا على إعادة إنتاج هيمنة دولة الإستعمار الجديد. هذا من جهة و من جهة ثانية ، الجيش لم يطله أي ضرر بل بالعكس صار الشعب يعتبره حليفا له يحبّه و يقدّره فى حين أنّه ليس البتّة بالجيش الشعبي و إنّما هو جيش الدولة القائمة و عمودها الفقري و قياداته عملت لدى الجنرال المخلوع و تحت إمرته و فى إتفاق معه لسنوات طوال وهي تأتمر بأوامر الإمبريالية العالمية و تخدم مصالح التحالف الطبقي الرجعي الحاكم و إن إختلفت فى لحظة ما فى التكتيك الذى يجب توخّيه تحت ضغط الشارع.

و لئن قدّمت الطبقات المهيمنة بعض التنازلات السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية فإنّها لم تسلّم الدولة جهازا و مؤسسات للشعب الذى عليه ليس تحسين هذا الجهاز و هذه المؤسسات بل تحطيمهما و تعويضهما بدولة جديدة مثلما شرح ذلك ماركس و لينين (" الدولة و الثورة " ، لينين). و فى إرتباط بالجيش ، من الأكيد أن نذكّر أن ما يسمىّ بأجهزة الأمن – شرطة وحرس و ما شابه و منها " أمن الدولة "- قائمة الذات و بأمر من مسؤوليها قد تغرق البلاد فى أية لحظة فى القمع أو فى حمّام دم من جديد. و حينها لن تستطيع جماهير الشعب العزلاء التي لا تملك جيشا شعبيا صدّ الرصاص و الدبابات و الطائرات و التغلّب عليها و تحطيم كافة أجهزة دولة الإستعمار الجديد دون جيش شعبي و عبر حرب شعبية طويلة الأمد.

و إضافة إلى الإعلام بالتلفزة و الراديو و الصحف و غيرها الذى لا زالت بأيدى دولة الإستعمار الجديد كما لاحظ ذلك حتى أبسط المواطنين و إن سمح بمساحات محدودة للرأي المعارض قد تتتقلّص لاحقا تدريجيا مع خفوت نبرة الإنتفاضة ، فإنّ- إقتصاديا- نمط / أسلوب الإنتاج لم يتغيّر و طبيعة المجتمع كذلك لم تتغيّر. و هذا أمر مركزي بالنسبة للماديين الماركسيين الذين يعتبرون أنّ السياسة تعبير مركّز عن الإقتصاد و الذين يدعون للثورة الوطنية الديمقراطية أو الديمقراطية الوطنية أو الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة أو الإشتراكية. فإن كان تمرّد الشعب التونسي ثورة فهل هي من الأنواع المذكورة أعلاه؟ لا طبعا فعن أيّة ثورة يتحدّثون إذا ؟ إنهم يسبحون فى بحر الخيالات البرجوازية الصغيرة.

إنّ رموز بعض التيارات أو الأحزاب اليسارية الذين طلعوا علينا فى التلفزة يوم 22 جانفي منطلقين فى حديثهم من إعتبار ما حصل إنتفاضة ليختموه بأنّها ثورة – حمّه الهمّامي الناطق بإسم حزب العمّال الشيوعي التونسي- أو الذين يصيحون بأنّها ثورة و يا لها من ثورة متميّزة – شكرى بلعيد الناطق بإسم حركة الوطنيين الديمقراطيين- أو الوطنيين الديمقراطيين- الوطد الذين كتبوا فى بيان يوم 14 أنّها إنتفاضة شعبية ليتحدّثوا فى نداء يوم 16 عن ثورة عارمة و مضمون وطني و شعبي و ديمقراطي و أهداف داعية للحرية و العدالة الإجتماعية من وجهة نظر العمال و الكادحين ، إنّ هؤلاء جميعا من جهة ينشرون الأوهام حول الإنتفاضة و دولة الإستعمار الجديد عوض نشر الحقيقية التي هي وحدها الثورية كما قال لينين و من جهة ثانية يقدّمون خدمة من حيث يعلمون أو لا يعلمون لأعداء الشعب حيث هؤلاء الأخيرين نفسهم يستعملون كلمة الثورة لمغالطة الجماهير و دعوتها بعد القيام بها إلى الركون و السكون و الكفّ عن خوض النضالات و توسيعها و عدم المسّ من مختلف أجهزة بيروقراطية الدولة و الجيش و العودة إلى الحياة العادية مكتفين بما حصل من تغيير على أنّه ثورة ناجزة.

و فضلا عن هذا الخلط النظري و الضرر السياسي و العملي الذى يلحقه بالصراع الطبقي

إستعمال مفاهيم مضلّلة ، ثمّة خطر إعتبار الثورة تمّت و إيهام الجماهير بأنّه لا رجعة عن المكاسب المحقّقة فى حين أنّ واحد من أهمّ دروس الصراع الطبقي فى العالم التي إستخلصتها البروليتاريا العالمية هي أنّ مثل هذه المكاسب أو الإصلاحات قابلة للذوبان و التآكل و الإلتفاف عليها لاحقا حتى و إن سجّلت فى الدستور و فى قوانين و عليه لا بدّ من إبقاء الجماهير متيقّضة و رفع وعيها لتحافظ عليها و توظّفها لمزيد رفع الوعي و التقدّم بالنضال نحو الثورة الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة بقيادة البروليتاريا و حزبها الماركسي- اللينيني- الماوي و الكفيلة بحلّ التناقضات الأساسية الوطنية و الديمقراطية و تمهيد الطريق للثورة الإشتراكية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية." (إنتهى المقتطف).

ب- فى مقال " تونس " أنبذوا الأوهام و إستعدّوا للنضال ! خطوة إلى الأمام خطوتان إلى الوراء!" :

" **عودة إلى مسألة ثورة أم إنتفاضة :**

" إنّ الثورة إنتفاضة و عمل عنف تلجأ إليه إحدى الطبقات للإطاحة بطبقة أخرى"

(ماو تسي تونغ)

كجزء من مخطّط الإلتفاف على الإنتفاضة الشعبية ، أخذت وسائل إعلام دولة الإستعمار الجديد تبثّ وهم الثورة ناعتة ما حدث بداية بثورة الياسمين ثمّ بثورة الكرامة و سرعان ما رأينا الأوهام تنتشر إنتشار النار فى الهشيم و تغزو غالبية القوى " اليسارية " ، ناهيك عن القومية و غيرها . فطلع علينا ، على سبيل المثال الناطق الرسمي بإسم حركة الوطنيين الديمقراطيين فى وسائل الإعلام ، مؤكّدا أن طبيعة "الثورة " التى حصلت " ثورة ديمقراطية إجتماعية " . و من جانبه سرعان ما تحوّل حزب العمّال من الحديث عن إنتفاضة إلى الحديث عن " ثورة " ديمقراطية و ظلّ " الوطد " لأشهر ينعت الحدث بالثورة ثم أخذ بعضهم يستعمل مصطلح الإنتفاضة و بقي آخرون يستعملون ثورة أو إنتفاضة دون تفرقة أو معا فى ذات الخطاب إلى هذه الأيّام الأخيرة.

و كان المستفيد الأكبر من هذا التضليل و بثّ الأوهام البرجوازية الصغيرة من قبل جبهة 14 جانفي و آخرين هو القوى الرجعية ذلك أنّه ساعدها على توجيه الرأي العام ضد بن علي و عائلته و إنقاذ النظام ككلّ حكومة و مؤسسات و شرطة و جيش إلخ و إعداد العدّة على جناح السرعة للإلتفاف على الإنتفاضة الشعبية بشتى السبل و منها بالأساس توجيه النقد لشخص معيّن لا لنظام كامل إجتماعي - إقتصادي ، و بالتالى جعل بن علي كبش فداء و إنقاذ دولة الإستعمار الجديد و إعادة هيكلها و إخراجها فى ثوب جديد و بوجوه جديدة.

و عمّا تمخّضت " الثورة " المزعومة ؟

لقد تمخّضت " ثورة " حزب العمّال و حركة الوطنيين الديمقراطيين و غيرهما عن مثلا :

1- حكومات ثلاثة جميعها دستورية تجمعية عمل رؤساؤها مع الجنرال زين العابدين بن علي.

2- توطيد الجيش بالدعاية له على أنّه عامل إستقرار و مساند للشعب و تعزيز صفوفه بإرجاع حتى المطرودين منه مهما كانت الأسباب و تبييض وجهه و كأنّه محايد هو الذى كان يأتمر بأوامر بن علي و يخدمه و قبله بأوامر بوقيبة و شاركهما الحكم و قمع الشعب.

3- تعزيز جهاز الشرطة بإرجاع الآلاف المطرودين و إنتداب آلاف أخرى و رفع أجور الأعوان على نحو لم يجنيه أي قطاع آخر.

4- بقاء جهاز القضاء ، رغم كافة الجهود النضالية المبذولة لتغييره بين أيدى القضاة الفاسدين و من ثمة بين أيدى ذات جهاز الدولة الذى لم يحطّم .

5- إستمرار جهاز الإعلام رئيسيا بيد الحكومات الدستورية التجمعية المتتالية و المحافظة على ذات توجه الدولة منذ بورقيبة إلى بن علي فى خدمة الطبقات الحاكمة و الإمبريالية العالمية ضد مصالح الشعب.
إلخ إلخ...

كلّ هذا ،عدا النتائج الأخيرة لإنتخابات المجلس التأسيسي ، و يدّعى ناشرو الأوهام البرجوازية الصغيرة أنّ ما حدث " ثورة " ديمقراطية أو ديمقراطية إجتماعية و ما إلى ذلك و أنّه ينبغى " إكمال مهام الثورة " و غيرها من الترهات لا لشيئ إلاّ لأنّ النظام أقدم على بعض التنازلات الطفيفة و منها شيئ من الحرّيات الإعلامية و الإعتراف بأحزاب.

لقد لخّصنا فى السابق أنّه لم تتمّ أية ثورة إلاّ فى خيال هؤلاء مدّعي تبنّى الشيوعية لأمرين إثنين متعلقين بالبنية التحتية و البنية الفوقية أي أنّه لا تغيّر نوعي / كيفي فى نمط/ أسلوب الإنتاج و لا تغيّر كذلك فى جهاز الدولة و الطبقات الماسكة به خدمة لمصالحها الآنية و البعيدة المدى و حدّدنا أنّ ما أنجزه الشعب لا يعدو أن يكون إنتفاضة و يبدو أنّ هناك تيّار الان صار يتشكّل و يقترب أكثر فأكثر من تبنّى هذه الحقيقة : إنتفاضة و ليست ثورة. لكن هناك أيضا خطر تكرار ذات الأوهام حتى فى صفوف الفئات الأكثر نضالية و فهما للمهزلة الإنتخابية بفعل رفع شعار " الشعب يريد الثورة من جديد " الذى يُقحم فيه مجدّدا مصطلح الثورة و يقرّ ضمنيّا و صراحة أن ما حصل سابقا " ثورة ". و هذا من أفدح الأخطاء و تبعاته وخيمة للغاية و مخيبة الآمال و محبطة حيث عاجلا أم آجلا سيكون من عوامل عرقلة التعبئة الجماهيرية لأنّ غالبية الجماهير تعتقد فى فكرة خاطئة شائعة هي أنّ الثورة أنجزت و إنتهى الأمر و الآن حان وقت المضي نحو الإستقرار و البناء و جني ثمارها ، و لأنّ وجوها و أحزابا جديدة إعتلت سدّة الحكم و لها قاعدة إجتماعية عريضة و لم يقع بعدُ فضحها شعبيّا كبديل إمبريالي و فضح برامجها و القوى التى تمثّلها طبقيّا.

" إنّ الإستيلاء على السلطة بواسطة القوة المسلّحة ، و حسم الأمر عن طريق الحرب ، هو المهمّة المركزية للثورة و شكلها الأسمى . و هذا المبدأ الماركسي - اللينيني المتعلق بالثورة صالح بصورة مطلقة ، للصين و لغيرها من الأقطار على حدّ السواء "

("مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ " ص 65)." (إنتهى المقتطف).

<u>2- لأغراض إصلاحية يتمّ تشويه الفهم اللينيني للوعي و العفوية :</u>

ورد بالصفحة 12 من " البرنامج السياسي العام" ضمن " المسار الثوري و الإنطلاقة " هجوم على نعت الإنتفاضة بالعفوية و إيحاء بأنّها إنتفاضة واعية :

" خلافا لما زعمه البعض فى محاولة لتزييف الوعي و تبخيس المسار الثوري بالزعم أنّه عفوي و من فعل العاطلين و المهمّشين دون غيرهم فإنّ حقيقة المسار فى كونه تعبير تاريخي عن زخم نضالي شعبي جماهيري واسع ...".

نوضح أنّنا غير معنيين ب" من أنّه من فعل العاطلين و المهمّشين دون غيرهم " لأنّنا شرحنا فى أكثر من مناسبة و منذ البداية القوى ، طبقات وفئات المشاركة فى الإنتفاضة ولكن الإقرار بالحقيقة ، حقيقة أنّها إنتفاضة عفوية فى مظهرها الرئيسي الذى يحدّد طبيعتها هو إعتراف بحقيقة موضوعية و الحقيقة لا تزيّف الوعي و لا تبخس نضالات شعبنا بل هي وحدها الثورية كما قال لينين.

و لمّا لم نعثر فى وثائق المؤتمر على تفاصيل تتعمّق فى المسألة و توفيها حقّها إذ هي مسألة فى غاية الأهمّية ، إضطررنا للبحث فى عددي " الوطني الديمقراطي" 1و2 اللذان أصدرتهما حركة الوطنيون الديمقراطيون و إكتشفنا أنّ المنطق ذاته فى العددين إياهما هو الذى قاد ما ورد فى " البرنامج السياسي العام ".

فى عدد جوان 2011 ، فى مقال " من قوى الثورة ، الشباب و المرأة " ، حاجج الكاتب " إنّ القول بكون ثورة الكرامة هي عفوية و بلا قيادة ، يمنح الجميع بما فى ذلك أعداء الثورة أهلية الإستفادة من ثمارها ". فيغدو قول الحقيقة التى هي وحدها الثورية يخدم أعداء الثورة ! ما هذه اللخبطة ؟

وفى العدد الثاني ، سبتمبر 2011 ، حاجج صاحب مقال " أفكار أولية لما يحدث فى تونس " محاججة غريبة منطقا و ماركسيّا هي الأخرى :" كثيرا ما يقع الإستنقاص من هذه الثورة بأنّها كانت عفوية و غير منظّمة... من يقول إنّها عفوية يجهل التراكم التاريخي للحدث الثوري فلتونس تاريخ من الحيف..." . إنّها ليست عفوية لأنّ لتونس تاريخ من الحيف ! هذا أشبه بمن يتكلّم لكي لا يقول شيئا ! ها له من عمق منقطع النظير فى التفكير و التعليل .هؤلاء "الوطنيون الديمقراطيون " لا يفقهون شيئا من الفهم اللينيني لمسألة الوعي و العفوية .

و الحصيلة هي أنّه طبقا لمنطق أصحاب هذا الحزب الموحّد ما جدّ فى تونس ليس رئيسيّا عفويّا بل بالعكس واعي تمام الوعي و من يقف وراء نعت ما حدث بالعفوية يقف فى خدمة أعداء الثورة و دليل جماعة أخرى منهم على الطابع الرئيسي الواعي للإنتفاضة التى حوّلها بعضهم إلى ثورة و آخرون إلى مسار ثوري أنّ شعار " أرض حرية كرامة وطنية " كان حاضرا فى عدد من المسيرات.

لحظة من فضلكم ؛ متى كان وجود شعار ما عام مثل " أرض حرية كرامة وطنية " يصبغ إنتفاضة بصبغة الوعي الطبقي السياسي و لينينيّا الشيوعي ؟ أوّلا ، لم يكن ذلك عاما و ثانيا لم يكن شعارا مركزيّا للتحركات الشعبية و ثالثا إن أمكن لنا عقد مقارنة بإنتفاضة 1984 لقلنا إنّ الشعار إيّاه ، فى العاصمة على الأقلّ ، على حدّ علمنا ، لم يكن حاضرا فقط بل طغى فى عدّة ردهات من التحرّكات الشعبية فى الشوارع يوم 3 جانفي و مع ذلك ما من وطني ديمقراطي حقيقي خرج علينا بأنّ ذلك صيّر إنتفاضة جانفي 1984 إنتفاضة واعية بل ظلّت عفوية بالمفهوم اللينيني.

لنسأل من يغالط المناضلات والمناضلين و الجماهير الشعبية العريضة الذى يصدح بالحقيقة أم الذى يشيع الأوهام ؟ الذى يرى الإنتفاضة إنتفاضة أم الذى يحوّل الإنتفاضة إلى ثورة لم تحصل فى الواقع الملموس ثمّ عندما تتكشّف الحقيقة فاقعة يصيّرها مسارا ثوريّا لمواصلة التضليل؟

الشيوعي المادي الجدلي يتمسّك بالمادية الجدلية و الحقيقة الموضوعية لتكون قراءته للواقع صحيحة ما يخوّل له من ثمّة تغيير هذا الواقع تغييرا ثوريا أمّا الإصلاحي البرجوازي المثالي الميتافيزيقي فيرمي بالواقع جانبا و يعمد إلى القراءة الذاتية و النفعية / البراغماتية للواقع لغايات برجوازية فى نفس يعقوب .

ولإدراك الضرر الذى يلحقه نشر وهم الثورة لقضية الشعب ، بإمكانكم مراجعة ما وثقنا فى نقطة " تداخل مفزع فى المفاهيم".

إنّ أنصار جعل ما حدث فى تونس واعيا و ليس عفويّا رئيسيّا يقفون عمليّا فى أثر القوى الرجعية المستفيدة من هذه التخريجة كما شرحنا فى النقطة المشار إليها قبلا و يعزّزون نفوذ الإيديولوجيا الرجعية على الجماهير و يطمسون الدور الطليعي المنوط بعهدة الشيوعيين و الشيوعيات و الحزب الشيوعي الطليعي وهو دور لا يسجد للعفوية و لا يقدّسها و لا يتذيّل للجماهير فحسب بل كذلك لا يدرك كنه العلاقة بين العفوية و الوعي أو مثلما ورد فى " ما العمل ؟ " :

" إنّ الغلطة الأساسية التى يقترفها " الإتجاه الجديد" فى الإشتراكية – الديمقراطية الروسية [لنقرأ : النزعة التحريفية الديمقراطية البرجوازية صلب الحركة الشيوعية] هي تقديس العفوية، هي عدم فهمه أنّ عفوية الجماهير تتطلّب منّا نحن الإشتراكيين – الديمقراطيين [الشيوعيين] قدرا كبيرا من الوعي . و كلّما إرتفع نهوض الجماهير العفوي وإتسعت الحركة ، كلّما إزدادت بأسرع بما لا يقاس الحاجة إلى قدر كبير من الوعي فى عمل الإشتراكية – الديمقراطية [الشيوعي] النظري و السياسي و التنظيمي ."

(لينين " ما العمل ؟ "، نهاية باب " عفوية الجماهير و وعي الإشتراكية - الديمقراطية ").

و قد إنصب إهتمام لينين على مسألة الوعي و العفوية منذ أكثر من قرن و بإقتدار عالجها معالجة علمية أثرت علم الثورة البروليتارية العالمية و يأتي الحزب الموحّد بعد أكثر من مائة عام ليستعيض عن الأفكار اللينينية بالأفكار البرجوازية و عن القراءة العلمية و المبدئية بقراءة مثالية نفعية و يرجم معارضي أفكاره بتهمة خدمة أعداء الثورة و الحال أنّه هو فاعل ذلك . إنّه يقلب الحقيقة رأسا على عقب.

وإذا كان الشعار الذى لم يسد فى الإنتفاضة و الذى يبرّر بهم أصحاب هذا الحزب الجديد " خضوعهم الذليل أمام العفوية و تقديسهم لها " ، شعار " أرض ، حرّية ، كرامة وطنية " شعارا مرحليا برجوازيا لم يرتق لأن يكون بروليتاريّا و قد عوّض البعض أثناء التحرّكات الشعبية كلمته الأولى بالخبز و غالبا بالشغل ، فأين الوعي الشيوعي فى الإنتفاضة ؟ أين وعي العمّال الشيوعي ؟ أين وعيهم الطبقي ليس بذاتهم فقط بل أين عملهم لذاتهم ؟ أين هي الأفكار و البرامج البروليتارية ؟ أين البديل الشيوعي القائد للحركة الشعبية لتحطيم الدولة القديمة و بناء دولة جديدة بقيادة البروليتاريا و حزبها الطليعي ؟ أين الطليعة الثورية البروليتارية ؟ أين الحزب الثوري الذى بدونه لن توجد ثورة ؟ هل بوسع الجماهير أن تكتسب لوحدها الوعي الطبقي الشيوعي ؟ هل يملك العمّال فى تونس وعيا طبقيّا سياسيّا و يعملون من أجل المشروع المجتمعي الشيوعي فى إرتباط بالثورة البروليتارية العالمية ؟ وهكذا . بالإجابة على مثل هذه الأسئلة

تدركون غياب الوعي و حضور العفوية فى الإنتفاضة الشعبية فى تونس و تدركون مدى تهافت الحزب الموحّد.

و دون الدخول فى تحاليل مفصّلة قد تستغرق عديد الصفحات ، نعرض هنا جملة من أهمّ الأفكار اللينينية بهذا المضمار نقتبسها لكم من " ما العمل ؟ " و تحديدا من " عفوية الجماهير ووعي الإشتراكية - الديمقراطية [الشيوعية] :

1- " " العنصر العفوي" ليس فى الجوهر غير الشكل الجنيني للوعي ".

2- " قلنا إنّ الوعي الإشتراكي - الديمقراطي لم يكن أن يوجد آنئذ لدى العمّال ، إذ أنّه لا يمكن للعمّال أن يحصلوا على هذا الوعي إلاّ من خارجهم . و لنا فى تاريخ جميع البلدان شاهد على أن الطبقة العاملة لا تستطيع أن تكتسب بقواها الخاصة غير الوعي التريديونيوني، أي الإقتناع بضرورة الإنتظام فى نقابات و النضال ضد أصحاب الأعمال ومطالبة الحكومة بإصدار هذا أو تلك من القوانين الضرورية للعمّال إلخ " أمّا التعاليم الإشتراكية فقد إنبثقت عن النظريّات الفلسفية والتاريخية و الإقتصادية التى وضعها المتعلّمون من ممثلي الطبقات المالكة ، وضعها المثقّفون ."

3-" إنّ كلّ تقديس لعفوية حركة العمّال **[وفى حالنا حركة الجماهير الشعبية] ، كلّ إنتقاص من دور " عنصر الوعي" ، أي دور الإشتراكية - الديمقراطية [الشيوعية] ، يعنى - سواء أراد المنتقص أم لم يرد ، فليس ذلك أقلّ أهمّية - تقوية نفوذ الإيديولوجية البرجوازية على العمّال ".**

4- ويستشهد لينين بكلمات كاوتسكي العميقة فى صدقها و المكتوبة سنة 1901-1902 (قبل ردّة كاوتسي طبعا) **: " إنّ الإشتراكية و النضال الطبقي ينبثقان أحدهما إلى جانب الآخر ، لا أحدهما من الآخر . إنّهما ينبثقان من مقدّمات مختلفة . فالوعي الإشتراكي الراهن لا يمكنه أن ينبثق إلاّ على أساس معارف علمية عميقة ... إنّ مهمّة الإشتراكية - الديمقراطية هي أن تحمل إلى البروليتاريا (حرفيّا : تملأ البروليتاريا) وعي حالتها و وعي رسالتها ."**

5- " إمّا إيديولوجيا برجوازية و إمّا إيديولوجيا إشتراكية [شيوعية] ".

6- " و قد يتساءل القارئ لماذا إذن كانت الحركة العفوية ، حركة الإتجاه نحو أهون السبل ، تؤدّي على وجه الدقّة إلى سيطرة الإيديولوجية البرجوازية ؟ ذلك لمجرّد كون الإيديولوجية البرجوازية ، من حيث منشؤها ، أقدم من الإيديولوجية الإشتراكية بكثير، و لأنّها مبحوثة بصورة أكمل من جميع الوجوه ، و لأنّها تتصرّف لوسائل للنشر أكثر بما لا يقاس ."

هذه المقولات اللينينية التى رأت النور منذ أكثر من القرن تساعدنا اليوم على إدراك أنّ ما تمّ فى القطر لا يعدو أن يكون حركة عفوية فى الأساس و يزيد تأكيد أنّ المدافعين عن أوهام " الثورة " و " الوعي" يعادون اللينينية المعادة كلّها و بتخلّيهم عن مهمّة الشيوعيين و الشيوعيات فى توعية البروليتاريا خاصة و الجماهير عامة وعيا طبقيّا و شيوعيّا و بتقديسهم للعفوية للشكل الجنيني للوعي عوض تطويره من خلال نشر علم الثورة البروليتارية ، يفتحون الأبواب واسعة أمام هيمنة الأفكار الرجعية و بالتالي يخدمون أعداء البروليتاريا و الجماهير الشعبية.

حقّا لا غرابة أن تكون قراءة حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد مغتربة عن الواقع فهي تعتمد منهجا ليس غريبا عن الماركسية ـ اللينينية وحسب بل مناهضا لها .

3- أوهام حول طبيعة الدولة و الجيش :

و يتمادي الحزب الجديد فى نسج الأوهام و إلى وهم الثورة ينضاف وهم أنّ الدولة فوق الجميع و فى خدمة الجميع و ليست أداة و جهازا طبقيّا تستخدمه الطبقات الحاكمة ضد الطبقات المحكومة و دولة الإستعمار الجديد تتماهي و الدولة الإشتراكية بل يصبح بإمكانها أن تحقّق مطالبا لا تقدر الدولة الإشتراكية كدولة طبقية هي الأخرى تمارس الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية القديمة منها و الجديدة و الديمقراطية فى صفوف الشعب و تسعى إلى تجاوز الديمقراطية و إضمحلال الدولة ذاتها بحلول الشيوعية و على سبيل المثال ، يدعو " مشروع برنامج المهام المباشرة " إلى " إلتزام الدولة بحماية المبدعين من **كلّ** أشكال التسلّط " وهو أمر غير ممكن فى مجتمع طبقي و إلى " تحميل الدولة مسؤوليتها فى حماية المواطنين " وهو غير ممكن لأنّ الدولة جهاز قمع طبقي توظّفه طبقة أو طبقات ضد طبقة أو طبقات أخرى و ليس جهازا محايدا و" توفير السكن الإجتماعي اللائق **لكلّ** المواطنين" ... وهو ما لم يحصل لكلّ المواطنين (نشدّد على"كل ") فى تاريخ التجارب الإشتراكية ذاتها فما بالك بتاريخ دول الإستعمار الجديد ؛ كما يدعو هذا الحزب إلى أوهام " العدالة " الجبائية و العدالة فى الخدمات الصحّية . و كلّ هذا يتصوّر أنّه بالإمكان أن تلتزم به دولة الإستعمار الجديد التى لم يقع تحطيمها فهل هذا إلاّ أضغاث أحلام ؟ أليس من الوهم قول إنه يمكن لدولة الإستعمار الجديد أن تكفل فعليّا " مصاريف العلاج للطبقات المعدمة و الكادحة " (لائحة الصحّة) ؟ دولة الإقطاع و الكمبرادور و الإمبريالية لها سياسات تدافع عنها و مصالح طبقية تحميها و إن تنازلت أحيانا و فى ظروف معيّنة تحت ضغوطات معينة و قامت بإدخال إصلاح من الإصلاحات أو أمضت على إتفاقية من الإتفاقيات أو قانون من القوانين فخدمة للمصالح العليا لمن يقف وراء هذه الدولة و إن ما تقدّمه من تنازلات للشعب باليد اليمنى تسعى لإستعادته باليد اليسرى و هي بالذات قائمة و تعمل على تأبيد إضطهاد و إستغلال الطبقات الشعبية.

هل رأينا لأكثر من نصف قرن من عمر دولة الإستعمار الجديد تكريس سياسات تحقّق للطبقات الشعبية " العدالة " ؟ و هل رأينا هذه الدولة ملتزمة و تتحمّل مسؤولياتها فى خدمة الشعب ؟ لا أبدا، بالعكس هي أداة بيد الطبقات الحاكمة المتحالفة مع الإمبريالية العالمية تمارس دكتاتوريتها ضد الجماهير الشعبية . ألم نشاهد كيف أنّ التنازل الإقتصادي (الترفيع فى الأجور) تلي بترفيع فى الأسعار جعل المقدرة الشرائية لجماهيرنا تتراجع ؟ ألم نشاهد بأمّ أعيننا كيف أنّ حرّية التظاهر التى فرضت لوقت معيّن يتمّ الهجوم السافر عليها بإستمرار وفى كافة الجهات ؟ ألم نشاهد " إحترام الدولة للمواطن " كيف تجسّد فى القمع و الإغتصاب و الإعتداء على الحرمات و المنازل و من فيها شيبا وشبابا و أطفالا ؟ أليس هذا هو الواقع الذى يسفّه الأوهام البرجوازية ؟

و هل لمجرّد تنازل قد يحصل و قد لا يحصل كتابيّا بالإلتزام بشيء ما يعنى أنّ طبيعة الدولة و لبّها الطبقي قد تغيّر و أنّها ستكرّس ما إلتزمت به؟ هذا وهم برجوازي و ليس فهما ماديّا تاريخيّا لطبيعة الدولة يحيلنا على الوهم الذى نشره حزب العمّال " الشيوعي " التونسى (الذى صار منذ أشهر حزب العمال التونسي) حول طبيعة حزب النهضة حيث جعل منه حزبا ديمقراطيّا لمجرّد أنّه أمضى معه على بعض البيانات و أتى الواقع بتساقطاته الثقيلة لينزل على رأس قادة حزب العمّال و مناضليه و مناضلاته و على رؤوس غيرهم من المناضلات و المناضلين و الجماهير العريضة هراوات ديمقراطية النهضة صديقة حزب العمّال الذى بإنتهازية و براغماتية فجّة أسقط من حسابه جوهر النهضة و طبيعتها الطبقية . و يخرج علينا بين الفينة و الفينة زعيم حزب

العمّال ليذرف دموع التماسيح على عدم إلتزام النهضة بالديمقراطية و البيانات التى أمضتها !!! و الشيء نفسه نراه و سنراه لدي الحزب الموحّد بخصوص إلتزام الدولة و إحترامها لهذا الأمر أو ذاك !

إلى هذه المضحكات المبكيات تفضى التحريفية و أوهام الديمقراطية البرجوازية .

و لا تقف أوهام الحزب الموحّد المتعلّقة بالدولة عند هذا الحدّ ، بل تتعدّى ذلك لتزرع الوهم تلو الوهم بصدد الجيش عماد دولة الإستعمار الجديد. ففضلا عن الثناء و المديح اللذين كالهما له زعيم الحزب الموحّد فى مناسبات سابقة يقفز الحزب الجديد قفزة بهلوانية أخرى ليرفع يافطة " تعزيز دور المؤسسة العسكرية " من جهة و " تجريم النشاط السياسي و الحزبي صلبها ". جيش الدولة التونسية حاليا ، جيش دولة الإستعمار الجديد هو الجيش الذى قدّم آيات الطاعة لبورقيبة و بن علي و عليه عوّلا فى تنفيذ مخطّطاتهما و كانا كلاهما ، كل واحد عند رئاسته الدول، القائد العام لأركان الجيش كلّه بفروعه كلّها و قد إستعملاه لقمع الشعب فى العديد من المناسبات منها 1978 و 1984 و غيرها . و المؤسسة العسكرية التى لم تطلها تغيرات تذكر هي التى سمحت بقتل متظاهرين فى العاصمة فى جانفي 2011 و سمحت و ساعدت فى قمع معتصمي القصبة مشهرة السلاح فى وجه من قاوموا الشرطة و فى التخريب فى القصرين إلخ و لا يستبعد أن يكون القنّاصة المجرمين أو صنفا منهم من الجيش . وهذه المؤسسة العسكرية لا تزال تتحكّم من وراء الستار غالبا و بسفور أحيانا فى لعبة الديمقراطية البرجوازية و تنسّق مع الإمبريالية و القوى الرجعية المحلّية و من الأدلّة الشهيرة على ذلك حادثة تحذير الجيش لوزير الداخلية ب " إطلاق صافرة نهاية اللعب " كما راجت إعلاميّا و فى الأوساط الشعبية.

و يتخيّل الحزب الموحّد بأنّه عندما يرفع مطلب " تجريم النشاط السياسي و الحزبي صلب المؤسسة العسكرية " يجعل من الجيش جهازا محايدا فى الصراع السياسي أي فى الصراع الطبقي! مرّة أخرى يحلّ هذا الحزب الوهم محلّ الواقع المادي و الفهم الماركسي الصحيح للدولة كجهاز قمع طبقي و الجيش كعامود فقري لها. ماضيا و حاضرا ومستقبلا كلّ جيش يكرس سياسة طبقة أو طبقات ما و ليس أبدا محايدا طبقيّا و جيش دولة الإستعمار الجديد ليس بوسعه إلاّ أن يكون جيش هذه الدولة و الطبقات الحاكمة المتحالفة مع الإمبريالية العالمية . و الجيش الذى يجرّم النشاط السياسي و الحزبي الذى ترغب الطبقات الحاكمة فى تجريمه هو الذى يقوم على و يكرّس عمليّا نشاطا سياسيّا و حزبيّا معلنا أو غير معلن فى خدمة دولة الإستعمار الجديد الذى هو عمادها . ألم يرى الحزب الموحّد فى القطر كيف أنّ الجيش يقوم بدور سياسي محدّد أحيانا و كيف عيّن عناصرا منه فى مراكز مفصلية من إدارة الدولة أم أنّ قيادات الحزب الموحّد أضحت عمياء عن هذه الوقائع و عن أنّ الجيش هو ذاته قد يستلم السلطة السياسية و يمارسها مباشرة بشكل أو آخر بقناع مدني أو دونه كما وقع فى عدّة بلدان و الجارة الجزائر مثال قريب منّا عن ذلك.

و الآن لنعقد مقارنة بسيطة بين هذا المطلب الديمقراطي البرجوازي الباث للأوهام وما نظّر له و طبّقه لينين و البلاشفة إنطلاقا من التحليل الملموس للواقع الملموس ، لإنجاز ثورة أكتوبر الإشتراكية (مع وعينا التام بالتمييز بين الثورة فى البلدان الإرأسمالية الإمبريالية و الثورة فى أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة) . تصوّروا لو أنّ لينين مارس عمليّا الطبخة التى يقترحها الحزب الموحّد و رفع شعار تجريم العمل السياسي فى الجيش ، هل كانت ستنتجز ثورة أكتوبر؟ لا أبدا لأنّ البلاشفة نشطوا فى صفوف الجيش و جلبوا إليهم فيالقا إلتحقت بالجيش الأحمر الذى شكّلوه فى أتون الثورة و حيدوا فيالقا أخرى . و تصوّروا لو أنّ البلاشفة لم يحطّموا جيش الدولة القيصرية ، هل كانت ستنجز ثورة أكتوبر؟ لا قطعا فالحرب الأهلية تمّت ضد هذا

الجيش الرجعي و جيوش دول أخرى إمبريالية عديدة مدّت له يد العون . و تصوّروا لو أنّ البلاشفة لم ينشئوا الجيش الأحمر ، هل كانت الثورة ستحقّق الظفر؟ بالتأكيد لا . دون الجيش الأحمر كان الثوريون و كانت الجماهير الثائرة ستسحق سقحا و ما كان التاريخ ليعرف اية دولة إشتراكية بقيادة لينين و ستالين .

و إن قالوا لنا تلك ثورة إشتراكية فى محاولة لبثّ البلبلة و تشويه المقارنة الجلية ، نحيلهم على الصين و ثورتها الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية التى ما كانت لتنتصر لولا جيش التحرير الشعبي الذى حطّم جيوش اليابان و الجيش الرجعي لتشان كاي تشاك عميل الإمبريالية الأمريكية التى دعّمته بكلّ ما فى وسعها.

و هكذا تلمسون لمس اليد مدى ضرر الأوهام البرجوازية التى تقف حجر عثرة أمام إيجاد حزب ثوري و حركة ثورية شعبية تقودها نظرية ثورية بمستطاعهم فى ظروف ذاتية و موضوعية مواتية و من خلال حرب الشعب الطويلة الأمد إنجاز ثورة ديمقراطية جديدة / وطنية ديمقراطية حقيقية لا وهمية بقيادة الطبقة العاملة و كجزء من الثورة البروليتارية العالمية.

4- أوهام حول الدين و الأصولية الدينية :

و بالمناسبة ، نودّ أن نلفت النظر إلى انّ لدي مؤسّسي الحزب الموحّد نزعات تشبه كثيرا نزعات حزب العمّال فى التعامل مع النهضة فهم يروّجون فى لوائحهم ل " فصل الدين عن السياسة " فقط عوض " فصل الدين عن الدولة " ككلّ و البون شاسع : يستهدفون إخراج الدين من حلبة المعارك السياسية و هذا مطلب ديمقراطي برجوازي جزئي قد يلقى مساندة و لكن ماذا عن الدين فى الحقل الثقافي ؟ ماذا عن الدين فى الحقل الإجتماعي ؟ ماذا عن الدين فى علاقة بالحريات العامة و الفردية ؟ و ماذا عن علاقة الدين بالدولة ؟ وماذا عن رجال الدين و علاقتهم بنواحي كثيرة من حياة الشعب ؟ إلخ يبدو أنّ جماعة هذا الحزب يقبلون ب"الثقافة الإسلامية " و ب " العادات و التقاليد الإسلامية " و ما تفرزه و تولّده من علاقات إجتماعية و إهانة و إستغلال و إضطهاد للمرأة فى المجتمع و بتدخّل الدين فى الحريات العامة و الفردية كما يقبلون بأن تتبنّى الدولة دينا و أن تموّل الدولة النشاطات الدينية و أماكن العبادة إلخ و بهذا يقلّص هذا الحزب الجديد فى المطالب الديمقراطية فى هذا الباب و يقدّم تنازلات أخرى للأصولية الدينية !

و الأنكي انّ المنحدرين من حركة الوطنيون الديمقراطيون " كتبوا فى الصفحة 9 من " الوطني الديمقراطي " جوان 2011 :" نحن نعتقد أنّ الإسلام وتراثه غنيان جدّا و لهما دور ثوري "!!! لم يكن لهما ، بل لهما الآن و هنا ، فى هذا العصر بالذات!!! مرحى ، مرحى : دور ثوري فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية ؟!

وفى عددي " الوطني الديمقراطي" الصادرين عن حركة الوطنيون الديمقراطيون ، نلاحظ مغازلة الأصوليين و بثّ وهم تحوّلهم إلى قوى ديمقراطية . و دليلنا على ما نذهب إليه هو الجمل التالية :

1- " جوهر ما ورد فى مقال الشيخ راشد الغنّوشي هو الإصرار على عدم التعارض بين الشوري كقيمة مثل قيمة التكافل مثلا ، و بين الديمقراطية كنظام سياسي ، و إنحياز الرجل للديمقراطية واضح و بيّن ..." (الصفحة 7 من عدد جوان 2011 من " الوطني الديمقراطي").

2- و يعتبر صاحب مقال" حول الديمقراطية و الشورى ، فى الردّ على الشيخ راشد الغنّوشي" أنّ هذا الأخير " يتبنّى الممارسة الديمقراطية فى كلّ أسسها..." (نفس المصدر السابق) .

عن أي إنحياز للديمقراطية يتكلّم و الرجل فى واقع الحال يخطّط و يمارس و يتآمر من أجل " الخلافة " و القضاء على العلمانية ؟

لا يفضح أصحاب " الوطني الديمقراطي " إزدواجية خطاب الغنّوشي و التناقض بين المقول والممارس و يحكمون على قادة النهضة " على أساس البزّة البراقة التى يخلعونها على أنفسهم بأنفسهم ، على أساس اللقب الطنّان الذى ينتحلونه لأنفسهم" عوض الحكم عليهم إنطلاقا من طبيعتهم الطبقية الحقيقية ، " على أساس سلوكهم و على أساس ما يدعون إليه فى الواقع " (و الكلام بين المعقّفين للينين) .

و تعزي هذه الأغلاط إلى أنّ كاتب ذلك المقال و أضرابه يؤمنون عميق الإيمان بوهم أنّ " لا شيء يمنع تحوّل الحركات الإسلامية نحو الديمقراطية حتى لو تحقّق ذلك بعد مخاض عسير". (آخر جملة من جمل المقال إيّاه). و الواقع أنّ طبيعة العصر ، عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية و طبيعة الدين (و الإسلام دين من الأديان و ليس إستثناءا) كإيديولوجيا و أداة بأيدى الطبقات المستغِلّة لن يخوّلا لوهم ذلك التحوّل أن يصبح حقيقة. منذ زمن كفّ الدين عن أن يكون قوة تدفع حركة التاريخ إلى الأمام ، منذ زمن ، صار معرقلا لتطوّر التاريخ و قد فشلت القوى التى عملت على أن تنجز تغييرا ثوريّا إنطلاقا من الدين لأنّه بطبيعته إيديولوجيا و أداة بأيدى الطبقات المستغِلّة وهي تستخدمه فى القارات الخمس لأغراض رجعية . مفتاح التقدّم بالتاريخ و الثورة فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية ليس سوى علم الثورة البروليتارية العالمية ، علم الشيوعية.

و بلا خجل يعتبر مؤسّسو الحزب الموحّد أنّ الإسلام كدين قادر على النهوض بدور تقدّمي فى التاريخ حاليّا و حتى له " دور ثوري ". و هذا يجانب الحقيقة . بالفعل قام الإسلام فى بدايته بدور تقدّمي فى التاريخ و لكن فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية لم يعد لأي دين دور تقدّمي . قد توجد عناصر و أفراد أو مجموعات من الإسلاميين تقبل بمساندة النضال الثوري و قد تلتحق به لكن تلك التى تتحرّك من منطلق برنامج ديني و بغاية تركيز نظام تيوقراطي ليست سوى قوى رجعية. و الدين بمعتقداته المثالية و تطبيقاته الإجتماعية يظلّ أفيونا للشعوب و الإسلام مثلما كتبت رفيقة ماوية إيرانية " الجزائري" فى"الإسلام إيديولوجيا و أداة بأيدى الطبقات المستغلّة"، مجلّة " عالم نربحه" (على الحوار المتمدّن ترجمة شادي الشماوي) كالأديان الأخرى سلاح بيد الطبقات المستغِلّة تذل به و تقهر الطبقات المستغَلّة . و الأحزاب ذات الخلفية المسيحية أو اليهودية فى الغرب لا تخدم التقدّم و لا الثورة البروليتارية بل هي تخدم البرجوازية الإمبريالية و تنشر السياسات الفاشية حسب مصلحة الطبقة الحاكمة و ما يجرى فى الولايات المتحدة يؤكّد ذلك.

و بلا خجل أيضا يصدح من كتبوا مقالات فى عددي " الوطني الديمقراطي " أنّ هناك فرق جوهري بين مختلف الفرق الأصولية الإسلامية و بإمكانية تحوّل بعضها إلى قوى ديمقراطية. و هذا غالط على طول الخطّ .و يبدو فى هذا المضمار أنّ نصر حامد أبو زيد ، الليبرالي التقدّمي المصري الدارس للأصولية الإسلامية ، أشدّ راديكالية و مسكا بجمر الحقيقة من هؤلاء المتقنّعين بقناع الماركسية إذ هو بفضل تحليله الملموس لخطابهم لا يرى فرقا لديهم فى الغايات و يأكّد تكاملهم و تقاسمهم الأدوار بينهم و يؤكّد رجعية مشروعهم . و تتالت الأحداث فى تونس لتبرز

مدى سلفية قيادات النهضة و لا أدلّ على ذلك من تصريحات الوزير الأوّل عن الخلافة و تصريحات راشد الغنّوشي فى جلسته الشهيرة مع السلفيين.

5- أوهام حول المجلس التأسيسي :

لنمرّ الآن ، دون مزيد الخوض فى إصلاحية الطريق البرلماني و تحريفية " التداول السلمي على السلطة " و الوفاق الطبقي ، إلى النظر فى مدي بؤس أطروحات هذا الحزب الموحّد بصدد المجلس التأسيسي . و إليكم جملتان معبّرتان الأولى من " اللائحة السياسية : طبيعة النظام السياسي " و الثانية من " لائحة الشباب ":

1- " يشكّل إنتخاب المجلس الوطني التأسيسي محطّة مفصلية فى ذلك المسار [المسار الثوري التراكمي الذى يفترض به أن يتواصل] فمن خلاله تتمّ صياغة دستور جديد و بلورة مشروع المجتمع و نمط الحكم الذى يريده الشعب تكريسا للسيادة الشعبية المعبر الحقيقي عن السيادة الوطنية " .
2- " معركة المجلس التأسيسي مهمّة مركزية لإستكمال مهام الثورة و بناء الجمهورية الديمقراطية الإجتماعية ".

بات انتخاب المجلس التأسيسي " أمّ المعارك " ، المهمّة المركزية و المحطّة المفصلية دونهما لا تستكمل الثورة - الوهم - مهامها و لا تبنى الجمهورية الديمقراطية الإجتماعية - الوهم الآخر. و ماذا أفرزت نتائج إنتخابات المجلس التأسيسي؟ تكسّر الوهم على صخرة الواقع العنيد و بمنطق هذا الحزب الموحّد لم تنجز المهّمة المركزية و لم نبلغ المحطّة المفصلية و بالتالى لن تتحقّق جمهوريته بإنعدام شروطها تلك!

لقد أعدّت دولة الإستعمار الجديد بجيشها و طبقاتها الحاكمة فى تحالف مع الإمبريالية العالمية طبخة تسليم السلطة إلى النهضة و المؤتمر من أجل الجمهورية و التكتّل : الترويكا و وظّفت جميع أسلحتها لأجل تحقيق ذلك من تمويل و حملات دعاية مباشرة و غير مباشرة و شراء ذمم و تزوير إلخ و ذلك لإعتبارها أنّ هذا الخيار أفضل بكثير راهنا من خيار حمّام دم أكبر مئات القتلى قد يعقّد الوضع أكثر و يفاقم من حدّة التناقضات الطبقية و يوفّر أرضية لإستشراء الخطاب الثوري حقّا. و كان لها ما أرادت و الإمبريالية العالمية صفّقت و تصفّق لنجاح المخطّط الرجعي فى قطرنا و فى مصر و غيرها من البلدان .

و منيت أحزاب " اليسار" بهزيمة فاقت التصوّرات إذ نفخ حزب العمال و حركة الوطنيون الديمقراطيون صدورهما و تبجّحا بشعبية وهمية و بنزاهة إنتخابات لا أساس لها على أرض الواقع فإستفاقا مذعورين من حلمهما و قد منّيا النفس بإغتنام الفرصة و تقاسم الغنيمة ، فهرولا دون نقد لسياساتهما و ممارساتهما إلى صيحة لمّ الشمل كيفما كان إعدادا للإنتخابات التالية و دائما متوهّمين و موهمين غيرهم بالإنتصار الذى لن ينالاه إلاّ إذا إحتاجت دولة الإستعمار الجديد إلى خدماتهما. و إعتبارا للمعطيات الحالية للصراع الطبقي لم يحن وقتهما بعدُ فاليمين لم يخسر قاعدته الإنتخابية و الشعب لا يزال عفويّا بالمعنى اللينيني أي فى النهاية واقعا تحت سيطرة الإيديولوجيا البرجوازية و الدينية و خاضعا لها . كلّ ما قد تناله " الجبهة الشعبية " برمّتها هو بضعة كراسي لإصباغ الشرعية و " التعددية " على نتائج الإنتخابات و مزيد ربط القوى " اليسارية " باللعبة الإنتخابية و مزيد تغذية الأوهام البرجوازية . لن يضرّ ذلك الديكور مصلحة دولة الإستعمار الجديد ، بالعكس ما تجنيه منه من فوائد لا حصر لها.

المجلس التأسيسي شعار و شكل تنظيمي تصوّر و يتصوّر الحزب الموحّد أنّه شيء ثوري بحدّ ذاته وهو ليس كذلك و تصوّر و يتصوّر أنّه أداة تحقيق أهداف ما اسماه ثورة و ما أسماه جمهورية ديمقراطية إجتماعية و سفّه الواقع أوهامه . فالرجعية و الإمبريالية و هما تمسكان بدقّة سلطة دولة الإستعمار الجديد ، لهما من القدرة ما يخوّل لهما التلاعب بمضمونه و واقع ما بعد 23 أكتوبر 2011 أحسن دليل على ما نقول إذ أسفرت إنتخابات أكتوبر 2011 عن مجلس تأسيسي رجعي عميل للإمبريالية يسعى قدر طاقته لتعبيد الطريق للخلافة الإسلامية ؛ إنه مجلس تأسيسي بأيدي الطبقات الحاكمة و الإمبريالية يعمل على إرساء تدريجي لأركان دولة دينية قروسطية إن وجد يديه طليقتين . هذا طابعه الرئيسي و ما يصبو إليه لكن هذا لا يعنى عدم وجود معارضة له خاصة فى الشوارع.

البرجوازية حوّلت السوفياتات التى أنشأتها ثورة أكتوبر إلى جهاز تتحكّم فيه التحريفية أي البرجوازية الجديدة التى أعادت تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي فما بالك بمجلس تأسيسي كمطلب جاء نتيجة إنتفاضة عفوية . الأشكال مهمّة لكن المضامين الطبقية اهمّ و الأشكال قابلة للإستيعاب برجوازيا و رجعيّا.

و من التاريخ عبرة ، و من كتابات قادة البروليتاريا العظام نستمدّ مثالا يبرز مدى تهافت شعار المجلس التأسيسي على أنه طريق المدعاة " ثورة " فلينين فى فصل " المفهوم البرجوازي المبتذل عن الديكتاتورية و مفهوم ماركس عنها " فى كتاب " خطّتا الإشتراكية - الديمقراطية فى الثورة الديمقراطية " وهو يحلّل ما صاغه ماركس فى " الجريدة الرينانية الجديدة " بصدد أحداث 1848 بألمانيا ، إستنتج ما يلى ذكره :

" و هكذا يتبيّن أن ليس " القرار بتنظيم الجمعية التأسيسية " و حسب ، بل حتى عقد هذه الجمعية فعلا ما يزال غير كاف لإنتصار الثورة الحاسم ! و حتى بعد إنتصار جزئي فى النضال المسلّح (إنتصار العمال البرلينيين على الجيش فى 18 آذار - مارس- 1848) ، يبقى بالإمكان أن تحدث ثورة " غير منتهية " ، ثورة " لم تحقّق إلى نهايتها ". فعلام يتوقّف إذن إتمام الثورة ؟ إنّه يتوقف على ما يلى : إلى أية أيد تنتقل السيادة الفعلية ...ففى الحال الأولى ، تتسلّم البرجوازية مقاليد الحكم ...أمّا فى الحالة الثانية ، فإنّ الديكتاتورية الديمقراطية الثورية إي إنتصار الثورة التام ، يصبح أمرا ممكنا ."

(لينين " ماركس – إنجلس – الماركسية " ، دار التقدّم ، موسكو ، الطبعة العربية ، الصفحات 206 و 207).

و آذخين بعين النظر بالطبع إختلاف العصر، عصر صعود البرجوازية و الثورات الديمقراطية القديمة أنذاك عن عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية الآن و إختلاف طبيعة المجتمع الألماني عن طبيعة مجتمعنا ، يمكن أن نأكّد على حقيقة سجّلها لينين بشأن أنّ الثورة هي تحطيم عنيف للدولة القديمة و بناء دولة جديدة و إنتقال السلطة من أيدى طبقة أو طبقات إلى طبقة أو طبقات أخرى كشرط أساسي و جوهري يتوقّف عليه إتمام الثورة فى حين أنّ الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد يستبعد الأمرين أي يتنكّر لإفتكاك السلطة بالعنف المسلّح و ضرورة تحطيم الدولة القديمة و عامودها الفقري الجيش و تشييد دولة جديدة بجيش شعبي جديد كما يتنكّر لإنتقال السلطة إلى أيدى الشعب. حتى فى غياب الشرطين المعنيين يحدّث عن الثورة و ينشر الأوهام بصدد المجلس التأسيسي الذى يجعل منه أداة إتمام " الثورة " الوهمية .وهكذا يتشبّث بالأوهام و بشكل يريده أن يحجب المضمون و بشجرة يريدها أن تحجب الغابة. صناعة الأوهام ثم نشرها و

مواصلة نشرها حتى و إن كذّبها الواقع الموضوعي مرارا و تكرارا ، على هذا يتأسّس عمل حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد.

و المقرف حقّا أنّه رغم تداعي الشرعية الإنتخابية للمجلس المهزلة الذى أفرزته إنتخابات 23 أكتوبر 2011 المهزلة أيضا ، ما إنفكّ حزب العمّال و كذلك الحزب الموحّد يعترفان بهذه الشرعية التى جوّعت الناس و أذاقتهم مرارة العطش و القمع و التعدّى على الحرّيات الفردية و الجماعية . يتحدّثون عن تواصل " الدكتاتورية " و عودتها و يلعقون الشرعية الإنتخابية صباحا مساء. و فى المدّة الأخيرة ، وقد أسقطت التحرّكات الشعبية ورقة توت الشرعية الإنتخابية و مرّغت وجهها فى التراب ، يعملون على إنقاذها بموجب العمل القانوني و مقتضياته و خدمة لدولة الإستعمار الجديد ، مقترحين إضافة شرعية أخرى تنقذ البلاد، يقولون على غرار ما يقول إتحاد الشغل ، هي الشرعية التوافقية و يتبرّؤون من شعار " إسقاط النظام" و بدلا عنه يشدّدون على " إسقاط الحكومة "!

إلى هذه المهازل التاريخية يوصل التنكّر للمبادئ الماركسية - اللينينية - الماوية و روح الشيوعية الثورية و الغرق إلى العنق فى أوهام الديمقراطية البرجوازية و الإلتزام بقوانين دولة الإستعمار الجديد.

IIV - جملة من أخطاء حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد فى قراءة الصراع الطبقي عربيّا و عالميّا .

==

تتخلّل لوائح ووثائق المؤتمر التوحيدي عدّة أخطاء يترتّب علينا تنبيه القراء إليها وهي تتصل ب:

1- طبيعة الأنظمة فى الأقطار العربية :

يروّج حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد أنّه ثمّة " تحالف رجعي حاكم فى أغلب الأقطار " العربية. و هذا خاطئ فالتحالف الرجعي يحكم كلّ الأقطار بلا إستثناء . مع تعمّد إستخدام كلمة " أغلب " يتعمّدون عدم ذكر الأقطار التى يعتبرونها غير واقعة تحت مثل ذلك التحالف الرجعي فيكون بذلك توصيفهم هلاميّا ما يخوّل لهم القفز هنا و هناك و الإرتماء فى أحضان سياسة هذه الدولة العربية أو تلك بدعوى أنّها وطنية و تقدّمية. و هذا الإنحراف القومجي شائع فى صفوف إنتهازيي " اليسار" فى القطر و منذ عقود الآن . المثالية و البراغماتية هما اللذان يقودان قراءتهم هذه.

و لتأكيد رأيهم ذاك يوردون الجملة التالية فى معرض حديثهم عن المسألة الوطنية فى " البرنامج السياسي العام : "...وهو ما جعل المسألة الوطنية فى مجمل أقطار الوطن العربي وعلى مستواها القومي العام مطروحة بحدّة و إلحاحيّة على مرّ التاريخ الحديث ". لا ! غير صحيح !

كافة الأقطار العربية دون إستثناء يحكمها تحالف طبقي رجعي كمبرادوري إقطاعي عميل للإمبريالية العالمية . هذا ما ينطق به الواقع و " أغلب " و " مجمل" تستهدف فى الوقت الحالي بالنسبة للمؤتمر التوحيدي تحاشي الدخول فى نقاشات بصدد وطنية هذا النظام أو ذاك ما يعكس جانبا من جوانب الوحدّة الهشّة الإنتهازية و غير المبدئية لهذا الحزب الذى يدعو إلى " إستكمال التحرّر الوطني" فى الأقطار العربية و كانّ هذا التحرّر الوطني شقّ بعد طريقه و قطع خطوات إلى الأمام تتطلّب " إستكمالا ".

نفس الأوهام المتصلة بالإنتفاضة الشعبية فى تونس يسحبونها آليّا و ميكانيكيّا على الأقطار العربية فينفخون فى الخيالات و الشجرة لتخفى غابة ، شجرة بعض الإنتفاضات التى جرى الإلتفاف عليها تخفى غابة تواصل مسك التحالف الطبقي الرجعي الإمبريالي بزمام السلطة و دول الإستعمار الجديد التى لم تعرف تغييرا جوهريّا بل عرفت تغييرا شكليّا و إعادة هيكلة بعضها لا أكثر و لا أقلّ.

2- الكفاح المسلّح :

إنّ جماعة الحزب الموحّد التى تزعم تبنّى التحليل الطبقي (وهو كما رأينا لم يكتشفه ماركس و لا يعدّ من يتبنّاه ماركسيّا) تذكر " الكفاح المسلّح فى العراق و فلسطين و النيبال " دون أي شرح للقوى التى تقف وراءه و أهدافها و المشاريع المجتمعية التى ترغب فى تركيزها .

فى فلسطين ، لا وجود لقوّة بروليتارية ثورية حقّا ؛ كلّ ما هناك قوى " يسارية " ضعيفة تحريفية تستعمل السلاح لتحقيق إصلاحات (التحريفية المسلّحة) و قوى يمينية شديدة البأس فى

الأساس أصولية أو برجوازية كمبرادورية تعمل وفق ما يقبل به النظام الإمبريالي العالمي . و عليه لا وجود هناك لحركة تحرّر حقيقية ، ثورية و الحديث عن وجودها وهم من الأوهام البرجوازية.

و يلمح الحزب الموحّد إلى الكفاح المسلّح فى العراق إلاّ أنّه لا يحلّل القوى التى تخوضه و هيهات أن يذكر المقاومة التى ينظّمها الماويون فى العراق منذ سنوات الآن.

و عندما تغامر لائحة من اللوائح و تلحق النيبال بالعراق و فلسطين ترتكب خطأ فادحا يكشف جهلا مستشريا بالحركة الشيوعية العالمية وصراعاتها إذ أنّ حرب الشعب فى النيبال متباينة مع الكفاح المسلّح فى فلسطين و فى العراق ،هي حرب شعب ماوية و هذا أمر يمحونه بجرّة قلم . و إلى ذلك حرب الشعب فى النيبال توقّفت منذ أكثر من ستّ سنوات بفعل إرتداد و خيانة قيادات سقطت فى أحابيل الديمقراطية البرجوازية و إعادة هيكلة دولة الإستعمار الجديد فحلّت هياكل السلطة الشعبية الجديدة التى نشأت فى المناطق المحرّرة و تراجعت عن الإصلاح الزراعي ... منذ سنوات إنتهي الكفاح المسلّح الثوري فى النيبال و ناب عنه " الوفاق الطبقي" نتيجة تحوّل الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) هناك إلى حزب تحريفي برجوازي ، و يبدو أنّ جماعة الحزب الموحّد كانوا و لا زالوا يغطّون فى نوم عميق.

و لا تفوتنا الإشارة إلى توخّى حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد سياسة حقيقة هنا ضلال هناك. فمن إلماحهم للكفاح المسلّح فى بلدان معيّنة ، قد يخال من لا يعرف جيّدا خطّهم الإيديولوجي و السياسي أنّهم ثوريون و يرفعون راية الكفاح المسلّح حتى فى القطر لأجل الإطاحة بدولة الإستعمار الجديد إلاّ أنهم يعلنون فى" اللائحة السياسية : طبيعة النظام السياسي" : " رفض العنف و تجريمه فى العلاقات السياسية و المجتمعية " (و كأنّ ما يجرى فى العراق و فلسطين و غيرها من البلدان ليس سياسيّا و ليس مجتمعيّا ؟!) و للتمويه و المراوغة يضعون كافة أشكال النضال على نفس المستوي و بالتالي ينكرون حقيقة رئيسية الكفاح المسلّح بما هو أرقى أشكال النضال و الصراع الطبقي كطريق طويل الأمد – طريق حرب الشعب - لبلوغ السلطة فى المستعمرات و أشباه و المستعمرات و المستعمرات الجديدة و يسوّقون " للتداول السلمي للسلطة " و لأطروحات كريم مروّة الخروتشوفية التى تقف ضد " العنف الثوري" تحديدا و بالمطلق و التى سناقش لاحقا.

<u>3- القوى التى تعزّز موقع حركات التحرّر :</u>

طبقا لما ورد فى وثائق هذا الحزب الموحّد كوبا و فنيزويلا من القوى التى " تعزّز موقع حركات التحرّر" . و لأنّ المجال لا يسمح بالخوض مطوّلا و بالتفصيل فى طبيعة الأنظمة الحاكمة فى كوبا و فنيزويلا و مدى قطعها مع الإمبريالية على كافة الأصعدة ، نقتصر على التذكير بأنّ كوبا ليست بلدا إشتراكيا و أنّها لعقود كانت عميلة للإمبريالية الإشتراكية السوفياتية و أنّها ناهضت فى فترات حركات مسلّحة فى أمريكا الجنوبية. و بصدد فزنيويلا ندعو من يتطلّع إلى إكتشاف الحقيقة أن يدرس عن كثب معطيات ما حصل (و ما لم يحصل) من تغييرات فى الوضع الطبقي فى هذا البلد و درجة إرتباطه بالنظام الإمبريالي العالمي وليس بالولايات المتحدة الأمريكية فقط ، بعيدا عن الدعاية المضلّلة للقوى البرجوازية و الخطاب الشعبوي .

و فى الوقت الذى تصبح فيه كوبا و فينيزولا اللتان لا علاقة لهما بالماركسية - اللينينية منارات لدى الحزب الموحّد إليها يولى وجهه ، يدير ظهره للمنارات الحقيقية فى الهند و الفليبين و أماكن أخرى . فى الهند ، " أكبر ديمقراطية فى العالم " ، يقود الماويون (الحزب الشيوعي الهندي

(الماوي)) حرب الشعب المتعمّقة و المتسعة بإستمرار شعبيّا رغم الحملات الإجرامية الفاشستية حقّا لهذه " الديمقراطية " و السلب و النهب و الإغتصاب الجماعي و حرق الحقول و المنازل وتشريد الآلاف المألّفة من القرويين و رغم الإغتيالات المتتالية للقادة الماويين بمساعدة الموساد و السى آي آي .

و حرب الشعب فى الفليبين بقيادة الحزب الشيوعي الفليبيني المتبنّي للماركسية- اللينينية - الماوية التى إنطلقت منذ أواخر ستينات القرن العشرين دخلت عقدها السادس و بالرغم من العثرات التى عرفتها يتصلّب عودها فى السنوات الأخيرة...

هذه و غيرها من الحروب الشعبية الأقلّ وقعا راهنا و التى يقودها ماويون عبر العالم ، بمثالية و حتى بصبيانية يمحوها هذا الحزب الموحّد من واقع الصراع الطبقي على كوكب الأرض (أنظروا " لائحة السياسة العربية و الدولية ") لا لشيء إلاّ لأنّها ستكشف تحريفيته ففى الهند و نعيدها " أكبر ديمقراطية فى العالم " يقولون ، أين يسوّق شتى أصناف التحريفيين للديمقراطية البرجوازية مثلما يسوّق الحزب الموحّد ، تمارس أفظع أشكال الفاشستية على جماهير الشعب. هذه هي حقيقة الديمقراطية البرجوازية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة عارية ، دون مساحيق تحريفية . و زيادة على ذلك ، فى الهند أيضا تشارك أحزاب " ماركسية " فى السلطة وهي تكرّس ذات ديمقراطية / دكتاتورية دولة الإستعمار الجديد .

و فى الفليبين ، إفتضح تماما مشروع الديمقراطية البرجوازية مع أكينو و خلفها و تبيّن أنّه ليس غير قناع يخفى الدكتاتورية الفاشستية . مثالان يؤكّدان أنّه مرّة أخرى ، فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية ، فى المستعمرات و أشبه المستعمرات و المستعمرات الجديدة ، لا مكان للديمقراطية القديمة ، الديمقراطية البرجوازية من النمط القديم لأنّه إقتصاديا لا إمكانية لتطوّر رأسمالي مستقل فى هذا العصر و الإمكانيتان الواردتان إمّا رأسمالية كمبرادورية فى ظلّ الإمبريالية العالمية و من ثمة ديمقراطية الإستعمار الجديد كما فى الهند و الفليبين و بقيّة المستعمرات و المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات أو الديمقراطية الجديدة كتيأّر من تيأّري الثورة البروليتارية العالمية بقيادة البروليتاريا .

لا غرو أنّ التحريفيين عادة ما يسلكون بمثالية فجّة سياسة تجاهل النضالات الثورية التى تعرّى بالملموس تحريفيتهم و تزييفهم للماركسية و حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد مثله مثل تقريبا جميع التحريفيين يتجاهلون عن عمد حرب الشعب التى يقودها الماويون فى أكثر من بلد و بذلك يكرّسون قناعتهم فى مناهضة الحروب الثورية و يدعون اللماركسية- اللينينية و الحال أنّ لينين منذ ما يناهز القرن ،أي فى سبتمبر 1916 فى مقالة " برنامج الثورة البروليتارية العسكري" صرّح بأنّ" **الإشتراكيين [الشيوعيين] لم يكونوا قط و لا يستطيعون أن يكونوا أخصام الحروب الثورية** " و بأنّ " **من يقرّ بالنضال الطبقي ، لا يستطيع ألاّ يقرّ بالحروب الأهلية التى هي ، ففى كلّ مجتمع طبقي ، الإمتداد الطبيعي ، التطوّر الطبيعي ، التفاقم الطبيعي للنضال الطبقي** ." (لينين " الحروب العادلة والحروب غير العادلة " ،الطبعة العربية دار التقدّم موسكو ،ص85 و86).

مجمل القول ، هذا الحزب لفقدانه للمبادئ و التحليل الملموس للواقع الملموس و لبراغماتيته و إنتقائيته يقترف أخطاء بالجملة و لا يميّز بين البلدان الإمبريالية و أشباه المستعمرات كما لا يميّز بين الإنتفاضة و الثورة و هكذا دواليك !!!

VIII- ماضي حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد و حاضره و مستقبله :

==

1 - ماضي هذا الحزب :

تجدر الملاحظة أنّ هذا الحزب و من خلال وثائق مؤتمره التوحيدي أنكر علاقة نشأة " الخط" بتأثير صراعات الحركة الشيوعية العالمية على " اليسار" فى تونس و لم يتعرّض لتاريخه إلاّ لماما أي لم يقدّم أصلا قراءة فى تاريخ ما سمّاه ب" الخط" و سيرورة تطوّره بإنقساماته و أسبابها و الإختلافات التاريخية و لم يقيّم نشاطه لعقود مبرزا نقاط قوّة و نقاط ضعف هذه المجموعة أو تلك و تحولاتها النوعية و ما إلى ذلك. و يعزى هذا طبعا إلى كون هذا التاريخ محلّ إختلاف و التطرّق إليه سيؤدّى على الأرجح إلى تباينات عمل المؤتمر على طمسها ليوحّد الجميع وحدة إنتهازية لا مبدئية حول تكتيك مرحلي إنتخابي لا غير.

إنّه بذلك ينظّرو يمارس نقيض النظرة اللينينية لوحدة الحزب الثوري كما مرّ بنا إذ صدح لينين ب:" **ونحن نعلن : " قبل أن نتحد و لكيما نتحد ينبغى فى البدء أن نعين بيننا التخوم بحزم ووضوح ".**

تنحدر الغالبية الغالبة لمؤسّسي هذا الحزب من تيارين عرفا بالولاء للبيروقراطية النقابية خادمة النظام فى الإتحاد العام التونسي للشغل و عرفا بالإنتهازية و الإصلاحية و التقلّب فى المواقف و التملّص من مبادئ الشيوعية الثورية . و من يتوق للتعرّف على تاريخ المنحدرين من حزب العمل الوطني الديمقراطي ، ننصحه بدراسة ما نشره محمّد علي الماوي على موقع الحوار المتمدّن لا سيما " حقيقة حزب العمل الوطني الديمقراطي " الجزء الأوّل و الجزء الثاني .و من يتوق للإلمام بتاريخ المنحدرين من حركة الوطنيون الديمقراطيون فنعتذر له لعدم إمتلاكنا دراسة كافية شافية بهذا الصدد أو عدم معرفتنا بوجودها منشورة فى موقع ما ؛ و ما ننصح به حاليّا كمدخل هو الرسالة التى أثبتناها كملحق لهذا المقال و التى وجّهناها إلى أنصار حركة الوطنيون الديمقراطيون و لا يسعنا إلاّ أن ندعو مجدّدا من يملك أهمّ وثائق من شكّلوا الحركة أن ينجز بحثا فى مسارهم التاريخي و تحولاته النوعية مجيبا على أسئلة متى و كيف و لماذا إعتمادا على المنهج المادي الجدلي و من منظور بروليتاري ثوري لكشف الحقائق التاريخية التى يريدون طمرها و لنفهم حق الفهم ما الذى أدّى إلى النهل من نبع مهدي عامل المنتمي للحزب الشيوعي اللبناني الذى إلتصق بالإمبريالية الإشتراكية السوفياتية وصولا إلى الترويج لكريم مروّة و ردّته عن الماركسية بل و طعنه لها فى الصميم مثلما ورد فى العدد 2 من " الوطني الديمقراطي".

كريم مروّة الذى طالما نشط فى خدمة الإمبريالية الإشتراكية السوفياتية و لعقود و الذى يقول عن نفسه إنّه " تحرّر من بقايا إرتباطي العضوي بالماركسية كفكر " (مثله مثل المنحدرين من حركة الوطنيون الديمقراطيون الذى صرّحوا بجلاء " غسلنا ذاكرتنا من كلّ الأوصياء" (الصفحة 9 من عدد جوان 2011 من " الوطني الديمقراطي ") فصار مثل مؤسسي الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد " أكثر حرّية فى رؤية الأشياء و الأمور " و إنّه لا يعتبر أنّ " الماركسية وحدها تشكّل مرجعيتي الفكرية ، رغم أنّها الأساس" (كلام سيصوغ محتواه ذاته الحزب الموحّد بشكل آخر فى وثيقة " فى تحديد الهوية... ") ؛ أجاب على سؤال متعلّق بموقفه من " العنف الثوري و الكفاح المسلّح و دكتاتورية البروليتاريا ..." قائلا :
" أوّلا أنا ضد العنف بالمطلق ، و ضد العنف الثوري تحديدا ، لأنّ النتائج التى ترتبت على هذا العنف بالذات ، الهادف إلى تحقيق التقدّم ، قد أدّت إلى تدمير هذا التقدّم . أنا أيضا ضد الكفاح

المسلّح ، لكن ليس بالمطلق. ضدّه كشعار للتغيير ، كوسيلة للتغيير . فالتغيير إنّما يتمّ بشكل تدريجي، لأنّ التسريع فى التغيير يؤدّى إلى نتيجة عكسية . أمّا دكتاتورية البروليتاريا فهذه مقولة ماركسية وقفنا فى أواسط الستينات ضدّها بالمطلق . علما و أنّ ماركس كان يرى فى دكتاتورية البروليتاريا ديمقراطية الأكثرية ضد دكتاتورية الأقلية . وفى رأيى فقد كانت هذه خطيئة ، إذ ترتّبت عليها جرائم فكرية و سياسية فيما بعد ..." .

و إن إختلف الحزب الموحّد مع كريم مروّة بصدد المركزية الديمقراطية التى لا زالت حاضرة فى وثائقه ، فإنه كما رأينا يشاطره الرأي بشأن العنف الثوري ودكتاتورية البروليتاريا و التجارب الإشتراكية السابقة . كريم مروّة منذ أواسط الستينات لم يعد ماركسيّا بالتحديد اللينيني لتنكّره لدكتاتورية البروليتاريا ؛ وهو " ضد العنف الثوري تحديدا " و لا يؤمن إلاّ بالتغيّر التدريجي ، لا الثورة و الطفرات بالمعنى المادي الجدلي .إذن يدافع هذا المثالي الميتافيزيقي عن مقولات الخطّ التحريفي السوفياتي الذى واجهته الحركة الماركسية - اللينينية و جماعة الحزب الموحّد يروّجون له و بالتالي يروّجون لهذه المقولات التحريفية و يدّعون الماركسية - اللينينية فيالهم من تحريفين مخادعين!!!

و قد سبق للحركة الماركسية - اللينينية و على رأسها الحزب الشيوعي الصيني أن دحضت تلك المقولات التحريفية ونحن قد قمنا باللازم لتفنيدها فى عملنا هذا ، لكن يحضرنا هنا موقفان للينين فى صراعه المبدئي الشيوعي ضد التحريفية و أعداء الماركسية الحقّ ينطبقان على أصحاب الحزب الموحّد و هما :

1- **"...تعاليم ماركس و إنجلس بصدد حتمية الثورة العنيفة تتعلّق بالدولة البرجوازية . فهذه <u>لا يمكن</u> الإستعاضة عنها بدولة بروليتارية (ديكتاتورية البروليتاريا) عن طريق" الإضمحلال"، لا يمكن ، كقاعدة عامة ، إلاّ بالثورة العنيفة ... إن ضرورة تربية الجماهير بصورة دائمة بروح هذه النظرة و هذه النظرة بالذات للثورة العنيفة هي أساس تعاليم ماركس و إنجلس <u>بأكملها</u> و خيانة تعاليمهما من قبل التيارين الإشتراكي - الشوفيني و الكاوتسكي السائدين اليوم تتجلى بوضوح خاص فى نسيان هؤلاء وأولئك لهذه الدعاية ، لهذا التحريض."**

(لينين " الدولة و الثورة " ، الصفحة 23).

2- " إنّ لكلمة برنشتاين المجنّحة :" الهدف النهائي ليس بشيء ، الحركة هي كلّ شيء " ، تعبّر عن طبيعة النزعة التحريفية خيرًا من عدد كبير من الشروحات المستفيضة . أن يحدّد المرء سلوكه تبعًا لأحداث الساعة ، لتغيرات الأمور السياسية الطفيفة ، أن ينسى مصالح البروليتاريا الجذرية و الميزات الجوهرية لمجمل النظام الرأسمالي و لكلّ التطوّر الرأسمالي ، أن يضحّي بهذه المصالح من أجل منافع وقتية ، فعلية أو مفترضة : تلك هي خطوط السياسة التحريفية ."

(لينين " الماركسية و النزعة التحريفية ")

<u>2- حاضر هذا الحزب :</u>

عند تأسيس حزب العمل الوطني الديمقراطي ، صاغت مجموعة ما صار لاحقا حركة الوطنيون الديمقراطيون نصّا نقديّا جيّدا عامة ، و إن تضمّن أخطاء جدّية ، لوثائق و موقف مؤسّسي ذاك الحزب و لم يكن ذلك من منطلق مبدئي ماركسي- لينيني كما قد ذهب إليه البعض و إنما من

منطلق التمايز و إيقاف نزيف ممكن من إلتحاق وطنيين ديمقراطيين منهم بالحزب قيد التأسيس و سرعان ما طوي ملفّ الخلاف لدواعي إنتهازية بحتة و حلّ الوفاق بينهما فى المجال النقابي الذى ينشطون فيه بالأساس كتيارين نقابيين مواليين للبيروقراطية النقابية و متحالفين معها فى محطّات هامة. و تاليا سلك من نقدوا سابقا حزب العمل الوطني الديمقراطي ذات منهجه فكان اللقاء على أرضية تحريفية ديمقراطية برجوازية و النشاط فى إطار دولة الإستعمار الجديد و قوانينها.

و قد دفعتهم الهزيمة فى إنتخابات 23 أكتوبر 2011 إلى التسريع فى مشروع الوحدة الذى شهد تعثّرات و هدفهم المركزي من هذه الوحدة بما أنّها ليست وحدة ثورية مبدئية هو هدف براغماتي / نفعي يتمثّل فى خلق قوّة فى المحطّات الإنتخابية القادمة. و أضحى الدور الموكل لهذا الحزب من قبل دولة الإستعمار الجديد هو تجميع الوطنيين الديمقراطيين و تأطير نشاطاتهم ضمن قانون هذه الدولة حتى لا يتأثّروا بالشيوعية الثورية و يتجذّروا نظريّا و عمليّا و يخرجوا عن إطار السيطرة و يهدّدوا الخطط التى رسمتها الطبقات الرجعية الحاكمة و الإمبريالية .

و ما إنفكّ هذا الحزب الموحّد بشقيه ، ماضيا و حاضرا ، يتذيّل للبيروقراطية النقابية وهو يقتفى أثر " مبادرات الإتحاد " و يدعمها ، هذا الإتحاد (و تحديدا قيادته المركزية) الذى خدم و لا يزال سياسات دولة الإستعمار الجديد مساهما من موقعه فى قمع مناضلي الحوض المنجمي و فى شتم أوّل المسيرات المساندة لنضالات سيدى بوزيد ...و فى إصباغ الشرعية على الحكومات المتتالية و إنقاذها فى الأوقات الحرجة و الإنقلاب على المواقف الصادرة عن هياكله تلبية لمصالح النظام العميل ضد مصالح الجماهير الكادحة.

و " مبادرة الإتحاد " الأخيرة فى شهر أكتوبر 2012 ، قبيل نهاية الشرعية الإنتخابية بأيام ، تأتى فى نفس السياق حيث سعى جهده إلى جعل " الجميع " يتمسّكون بالشرعية الإنتخابية التى تلقّت ضربات قاتلة فى الكثير من الجهات و إنقاذها بطلب أن تقترن بشرعية أخرى توافقية و كلّ هذا يصبّ فى الوفاق الطبقي خشية أن تخرج الأمور عن نطاق التحكّم فيها ، خشية تجذّر وعي الطبقات الشعبية و تغلغل الأفكار الشيوعية الثورية حقّا فى صفوفها.

ولا نستغرب كلّ ذلك من حزب القضاء على العمل المأجور ليس من أهدافه (" لائحة التشغيل")، حزب همّه الوحيد و الأوحد هو أن يصبح راهنا " قوّة إقتراح " فى خدمة الوفاق الطبقي و إعادة هيكلة دولة الإستعمار الجديد .

3- مستقبل هذا الحزب :

يصبو هذا الحزب إلى أن يكون خادما مطيعا لدولة الإستعمار الجديد و " قوة إقتراح " لحلول تمكّنها من معالجة أزماتها و لما لا قوّة تشارك فى سلطة هذه الدولة لتضليل الجماهير و تطبيق سياسات الإستعمار الجديد بوجوه " يسارية " " ماركسية معتدلة " أي ماركسية مزيفة ، إن إحترقت الوجوه اليمينية مستقبلا.

و ما الحزب الموحّد هذا إلاّ خطوة فى هذا الإتجاه ستتبعها خطى أخرى للعمل على بناء حزب " يساري" بالوحدة مع حزب العمّال التونسي الإصلاحي منذ نشأته و الغارق هو الآخر فى وحل الديمقراطية البرجوازية أو ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد منذ عقود و بالتأكيد لن يكون وليد هذه الوحدة غير المبدئية إلاّ إصلاحيّا مناهضا للينينية على طول الخطّ ، محور وحدته و غاياته هي المعارك الإنتخابية و الحصول على كراسي خدمة لمصالح شخصية و فئوية و خدمة طبعا لدولة الإستعمار الجديد.

هل سيتحقّق لهم مرادهم؟ أم هل سيتفكّك هذا الحزب و يتشتّت بفعل وحدته الإيديولوجية و السياسية الهشّة و الإنتهازية الإنتقائية القائمة على رقع ملصقة الرقعة إلى جانب الأخرى ، رقع تذكّر بسروال مهرّج فى السرك ؟

قادم الأيّام و منعرجات الصراع الطبقي هما اللذان سيحسمان أمر هذه و غيرها من الإحتمالات التى نتوقّع و التى لا نتوقّع .

خاتمة : على الشيوعيين أن يكونوا شيوعيين و ينشروا المبادئ الشيوعية لا التحريفية !

وقد بلغنا هذا المبلغ من إجلاء حقيقة الخطّ الإيديولوجي و السياسي لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد ، صار بيّنا لدينا أنّ هذا الحزب حزب ماركسي مزيّف ، حزب تحريفي برجوازي إصلاحي ، لا يمكن أن يقود أية ثورة من منظور بروليتاري . ذلك أنّه

" يجب أن يكون هناك حزب ثوري ما دمنا نريد الثورة . و بدون حزب ثوري ، حزب مؤسس وفق النظرية الماركسية- اللينينية الثورية و طبق الأسلوب الماركسي- اللينيني الثوري ، تستحيل قيادة الطبقة العاملة و الجماهير العريضة من الشعب و السير بها إلى الإنتصار على الإمبريالية و عملائها" .

(ماو تسى تونغ ،" يا قوى العالم الثورية ، إتحدى و قاومي العدوان الإمبريالي" نوفمبر- تشرين الثاني - 1948، المؤلفات المختارة ، المجلّد الرابع.)

و آن أوان الإجابة على سؤالين إثنين قد يتبادران أو ربّما قد تبادرا بعدُ إلى أذهان القراء و هما : ما العمل فى الظرف الحالي؟ و هل يمكن لقلّة من الماويين و الثوريين خدمة الشعب فى هذا البحر المتلاطمة أمواجه من الإصلاحيين و الإنتهازيين ؟

الإجابة على السؤال الأوّل و بالتفاصيل اللازمة قد تستغرق صفحات و صفحات بيد أنّنا فى هذه الخاتمة بإقتضاب شديد نسلّط بعض الضوء و في خطوط عريضة على جوانب من المسألة فنقول إنّ من واجب الثوريين الحقيقيين نشر الحقائق كلّها حتى المُرّة منها و تطبيق سياسات ثورية على الأصعدة جميعها. و من هذه الواجبات ، متأكّد هو نشر الإيديولوجيا الشيوعية الثورية ، الشيوعية الحقيقية و تعاليمها بشأن الدولة و الديمقراطية و الدكتاتورية و الجيش و الإنتخابات ... و الثورة و تحرير الإنسانية من كافة أنواع الإضطهاد و الإستغلال كما هو متأكّد التصدّى للأفكار و الإيديولوجيات الرجعية القروسطية منها والليبرالية و البرجوازية الصغيرة و الإمبريالية . على هدي خطى لينين ينبغى أن نرفع شعار " إمّا الإيديولوجية البرجوازية أو الإيديولوجيا البروليتارية " و نكرّسه نظريّا و فى الممارسة العملية !

و فى خضمّ عملية الهدم و البناء الجدلية هذه ، سياسيّا ينبغى التشديد على انّ ما حدث فى تونس و فى أقطار عربية أخرى إنتفاضات لم ترتق إلى ان تكون ثورات و أنّ دول الإستعمار الجديد لم يقع تحطيمها بل تعاد هيكلتها و أنّ من يدّعي أنّ تلك ثورات و " ربيع عربي" يضلّل الجماهير و أنّ مهمّة تحطيم دول الإستعمار الجديد لا زالت قائمة تماما و تستدعي ثورة حقيقية هي الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية بقيادة البروليتاريا و التى تقتضى بدورها حزبا طليعيّا ثوريّا ، حزبا شيوعيا حقّا و جبهة ثورية متحدة و جيشا شعبيا يقودهما هذا الحزب الشيوعي الثوري فى إنجاز هذه الثورة عن طريق حرب الشعب الطويلة الأمد.

و فى نفس الوقت الذى ندين فيه من سمّاهم ماركس المرضى بالبلاهة البرلمانية و نفضح اللعبة الديمقراطية لدولة الإستعمار الجديد و المشاركين فيها و الداعين لها و نشيد بالنضالات الجماهيرية التى فرضت تنازلات على الترويكا و المجلس التأسيسي ذاته ، لم نقف ولن نقف مكتوفي الأيدي تجاه نضالات جماهيرنا الشعبية اليومية الإقتصادية منها و السياسية و غيرها بل لا بد لنا أن نستمرّ فى سياستنا الثورية وأن نشارك في هذه و غيرها من النضالات بنشاط و إن

أمكن أن نقودها لكن ليس على طريقة الإصلاحيين و تمسّكهم بالشرعية الإنتخابية و حصر تطلعات البروليتاريا و الطبقات و الفئات الشعبية الأخرى فى إطار الدولة القائمة و إنّما من منظور لينيني للنضال من أجل الإصلاحات و مقاومة السلطة و تغيير الناس من أجل الثورة ، و على وجه الدقّة راهنا قطع خطوات نحو إيجاد الأسلحة السحرية الثلاثة :الحزب و الجبهة و الجيش الشعبي و الحزب محورها كلّها.

و إليكم ما كتبناه فى " أنبذوا الأوهام البرجوازية الصغيرة حول الإنتفاضة الشعبية فى تونس" (العدد الأوّل من " لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية !") عن النضالات من أجل الإصلاحات دون التحوّل إلى إصلاحيين :

" **<u>إصلاح أم ثورة :</u>**

كما علّمنا لينين نناضل من أجل الإصلاحات لكن لا كإصلاحيين و إنّما كثوريين : " **يعترف الماركسيون بالنضال من أجل الإصلاحات ، أي من اجل تحسينات فى أوضاع الكادحين تترك السلطة ، كما من قبل ، فى يد الطبقة السائدة . و لكن الماركسيين يخوضون فى الوقت نفسه نضالا فى منتهى الحزم ضد الإصلاحيين الذين يحدون ، بواسطة الإصلاحات ، مباشرة أو بصورة غير مباشرة ، من تطلعات الطبقة العاملة و نشاطها. فإنّ الإصلاحية إنّما هي خداع برجوازي للعمّال الذين يبقون دائما عبيدا مأجورين ، رغم مختلف التحسينات ، ما دامت سيادة الرأسمال قائمة.**

إنّ البرجوازية الليبرالية تمنح الإصلاحات بيد و تسترجعها بيد أخرى ، و تقضى عليها كلّيا ، و تستغلها لأجل إستعباد العمال ، لأجل تقسيمهم إلى فرق مختلفة ، لأجل تخليد عبودية الكادحين المأجورة. و لهذا تتحوّل الإصلاحية بالفعل ، حتى عندما تكون مخلصة كليا ، على أداة لإضعاف العمّال و لنشر الفساد البرجوازي فى صفوفهم. و تبيّن خبرة جميع البلدان أنّ العمّال كانوا ينخدعون كلما وثقوا بالإصلاحيين.

أمّا إذا إستوعب العمال مذهب ماركس ، أي إذا أدركوا حتمية العبودية المأجورة ما دامت سيادة الرأسمال قائمة ، فإنهم ، على العكس ، لن يدعوا الإصلاحات البرجوازية ، أيّا كانت ، تخدعهم. إنّ العمال يناضلون من اجل التحسينات مدركين أنّ الإصلاحات لا يمكن ان تكون لا ثابتة و لا جدّية ما دامت الرأسمالية قائمة ، و يستغلّون التحسينات لأجل مواصلة النضال بمزيد من العناد ضد العبودية المأجورة. إنّ الإصلاحيين يحاولون أن يقسموا العمّال الذين يدركون كذب الإصلاحية ، فإنهم يستغلون الإصلاحات لأجل تطوير و توسيع نضالهم الطبقي" (لينين " الماركسية و الإصلاحية ").

مبدئيا لسنا ضد النضال من أجل الإصلاحات و لكن يجب ألاّ نكون إصلاحيين ، يجب أن نكون شيوعيين ثوريين ننشر المضمون الحقيقي للماركسية ، المضمون الثوري و نسعى جهدنا لإنجاز المهمّة التاريخية للبروليتاريا الثورية.

يزعق البعض ممّن رأينا على جهاز التلفزة أنّ ما وقع ثورة سلمية بإمتياز هدفها الآن النضال ضد من يريدون سرقتها من الشعب. و نعلّق على هذا الكلام المليئ مغالطات فنقول فضلا عن كون ما حدث ليس ثورة ، إن العنف كان حاضرا فى كلّ مكان و إن لم يكن من طرف الجماهير الشعبية فى شكل كفاح مسلّح . فعدوّ الجماهير لجأ لكافة أنواع العنف حتى المسلّح منه متسبّبا فى قتل العشرات و جرح المئات أمّا الجماهير فإستعملت ألوانا من العنف تمتدّ من العنف اللفظي و

الهجوم بالحجارة إلى الحرق و التكسير ضد رموز الدولة بوجه خاص . و الرئيسي فى مجمل مناطق البلاد و على إمتداد أربعة أسابيع تقريبا كان التحركات العنيفة و بصورة ثانوية حصلت مسيرات سلمية و حتى فى العاصمة كانت التحركات عنيفة من قبل الجماهير و مسلّحة من قبل مختلف أجهزة الشرطة . و أكثر من ذلك حتى يوم الجمعة 14 جانفي فرضت المسيرة فى العاصمة فى شارع الحبيب بورقيبة فرضا بالقوّة بعد معركة مع الشرطة و فى أحياء من العاصمة و أماكن أخرى من البلاد كان الرصاص لا يزال يطلق.

و إذن كانت الإنتفاضة عنيفة وإن لم ترتق فيها الجماهير إلى رفع البندقية فى وجه الأعداء لا لشيىء - فى جهات معيّنة - إلاّ لفقدان الجماهير للسلاح و قد مارست الجماهير العنف المنظّم لطرد قوات الأمن من عدّة مدن و إنكار ذلك إنكار لحقائق فاقعة يراد منه توجيه الرأي العام إلى مفاهيم الإنتقال و التحوّل السلمي بعيدا عن إستهداف أجهزة دولة الكمبرادور و الإقطاع المتحالفين مع الإمبريالية ، و العمل فى إطارها. ومن هنا نرى الإرتباط بين أطروحة "الثورة " و " نموذج التغيير السلمي" الإصلاحي.

طريق الثورة الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة فى المستعمرات و أشباه المستعمرات كتيار من تياري الثورة البروليتارية العالمية (التيار الآخر هو الثورة الإشتراكية عبر الإنتفاضة المسلّحة المتبوعة بالحرب الأهلية فى البلدان الإمبريالية) ليس الإنتفاضة فى المدن الكبرى ثمّ التوجّه إلى الريف لتحريره و إنما هو طريق حرب الشعب الطويلة الأمد و محاصرة الريف للمدن. و فى خلط الأوراق بصورة إنتقائية تضليل للجماهير و إنحراف نظري خطير بل شديد الضرر. و إن كان حزب العمّال واضحا فى تبنيه ، حسب وثائقه ، للطريق الإنتفاضي فإن الوطنيين الديمقراطيين يتحدّثون عن حرب الشعب دون تحديد مضمونها و أشكالها و كيفية خوضها و علاقتها بالقوى الطبقية للثورة و يعكس تقييمهم للصراع الطبقي فى المدّة الأخيرة فى تونس هذه الضبابية فى الرؤية و هذا الخطإ النظري الفادح .

إنّ مقولات الإصلاحيين و النقابويين الإقتصادويين تضرب عمليا وواقعيا فى العمق المقولات اللينينية فى " الدولة و الثورة " التي يدّعون نظريا تبنّيها . و نشر الأوهام حول الدولة بكافة مكوّناتها التي لم يقع تحطيمها عبر النضال المسلّح لإقامة دولة جديدة يصبّ فى خانة الإصلاحية و تخريب الوعي الثوري للمناضلين والمناضلات و الجماهير عوض رفعه. و هذا من جانبهم يلحق أضرارا جسيمة بالثورة الحقيقية التي من غير الممكن قيامها دون حزب ثوري و ليس إصلاحي و شعب ثوري و ليس إصلاحي بمعنى تحوّل قطاعات كبرى منه ثمّ غالبيته إلى تبنّى الأهداف الثورية و العمل على كافة الجبهات وتقديم التضحيات اللازمة من أجل تحقيقها ، فى ظروف وضع ثوري بالمفهوم اللينيني فى البلدان الإمبريالية و فى مرحلة الهجوم الإستراتيجي لحرب الشعب فى المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات. ف " الثورة إنتفاضة و عمل عنيف تلجأ إليه إحدى الطبقات للإطاحة بطبقة أخرى"(ماو تسى تونغ-1927).

وتمدّنا تجربة الثورة البروليتارية العالمية بدروس تاريخية منها ما لخّصه ماو تسى تونغ " بدون جيش شعبي ، لن يكون هناك شيئ للشعب" . و كي لا ندخل فى تفاصيل كثيرة نذكّر بما حصل فى أندونيسيا فى الستينات من تقتيل للشيوعيين و للجماهير الشعبية بالآلاف بفعل خطإ فى فهم طبيعة الدولة و الجيش . و الشيئ ذاته حصل فى الشيلي فى السبعينات إثر إنقلاب عسكري نفّذه بينوشى بتنسيق مع السي آي آي . وفى الثمانينات ، هلّل حزب العمّال الشيوعي التونسي لآكينو و ما سمّاه بالتحوّل الديمقراطي فى الفليبين و أثبتت التاريخ و التحليل الملموس للواقع الملموس للصراع الطبقي هناك مدى تهافت هكذا آراء و المجازر التي إرتكبتها آكينو فى حقّ جماهير الشعب و الشيوعيين و تخريبها فى تحالف وثيق مع الجيش و الأمريكان البلاد و إستغلال و

إضطهاد العباد . و يكفى بهذا الصدد النظر إلى ما آل إليه الوضع هناك و قراءة وثائق الرفاق الماويين فى الحزب الشيوعي الفليبيني الذى قاد و لا زال حرب الشعب الماوية فى الفليبين وهو فى السنوات الأخيرة يخطو خطوات جبّارة فى التقدّم بالثورة من مرحلة الدفاع الإستراتيجي نحو مرحلة التوازن الإستراتيجي قبل مرحلة الهجوم الإستراتيجي بتضحيات تفوق التصوّر فى مواجهة كافة أجهزة دولة الإستعمار الجديد و تحطيمها و بناء دولة الديمقراطية الجديدة بقيادة البروليتاريا الثورية.

و أعمق من ذلك حتى ، فى العقدين الأخيرين شهد جنوب آسيا نهوضا جبّارا لحرب الشعب الماوية فى النيبال و فى الهند . و قد قاد الماويون – الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) قبل إنحرافه منذ خمس سنوات تقريبا – حرب الشعب طوال سنوات عشر (من 1996إلى 2005) بعد فشل تجربة ما سمّاها الإصلاحيون من مدعى تبنّى الماركسية و البرجوازيين الليبراليين " ثورة ديمقراطية " حصلت فى بداية تسعينات القرن الماضي . و الجدير بالذكر أنّ من كان يقود حكومة دولة الإستعمار الجديد أو يشارك فيها كان من الحزب الشيوعي النيبالي (الموحّد الماركسي- اللينيني) الذى إرتكب جرائما لا تحصى فى حقّ الماويين و جماهير الشعب خدمة للطبقات الحاكمة و الإمبريالية. و الشيئ نفسه يمكن قوله بصدد الحزب الشيوعي الهندي و الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي) اللذان كانا يحكمان ولايات / دول فى الهند و يقدّمان أجلّ الخدمات للكمبرادور و الإقطاع و حليفهما الإمبريالية متصدّين بوحشية لحرب الشعب التي يقودها الماويون الذين توحّد أهمّ تيارين منهما فى إطار الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) و هم يتصدّون اليوم لأعنف و أعتى عملية وحشية للتطويق و السحق ، عملية الصيد الأخضر."
(إنتهى المقتطف).

و لا يجب أن يغيب عن ذهننا و لو لحظة شعار " لا دساترة ،لا خوانجية ، لا إنتهازية " مع مراعاة إمكانية عقد تحالفات مؤقتة خلال معارك معيّنة مع قوى " يسارية " أو " ديمقراطية ".

و نأتى الآن إلى الإجابة عن السؤال المتصل بدور الأقلية و تأثيرها فنبدأ بقلب السؤال رأسا على عقب بمعنى هل على الماويين والثوريين أن يتبعوا لأنهم أقلّية الإصلاحيين و الإنتهازيين الذين يمثّلون الأكثرية صلب " اليسار" ؟ قطعا لا .

حقيقة لا جدال فيها أنّ الشيوعين ظلّوا و سيظلّون تقريبا على الدوام أقلّية عدديا فى بحر المجتمعات حتى فى ظلّ أغلب فترات حياة المجتمع الإشتراكي بما هو مرحلة إنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية بقيادة شيوعية ، بيد أنّ نشاطهم وحيويتهم و تفانيهم فى خدمة الشعب و خطّهم الإيديولوجي و السياسي تصيّرهم عموما محورا حوله تتجمّع القوى التى تعمل على التغيير الثوري ولظروف موضوعية أو ذاتية كثيرة لا نتوسّع فيها هنا قد ينفضّ الناس من حولهم.

علّمنا لينين و ماو تسى تونغ أن الحقيقة فى البداية تمسك بها فئة قليلة من الناس يتوجّب عليها النضال بلا هوادة إن رامت لنفسها أن يتبنّاها عدد متزايد من البشر لتغدو لاحقا متبنّاة من عدد كبير إن لم يكن الأغلبية. و من له إلمام بتاريخ الثورة البلشفية و تاريخ الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى يعرف كيف كان لينين فى أفريل 1917 ، فى اللجنة المركزية لحزبه البلشفي ، أقلّيا و كيف كان ماو تسى تونغ فى 1966 أقليّا فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني و قاما باللازم و حقّقا إنتصارات تاريخية لا فائدة فى الإتيان عليها هنا.

و إستقينا دروسا مريرة من تجارب البروليتاريا العالمية التى كانت تمدّ سيطرتها على نطاق واسع من أراضي كوكبنا و خسرت دولها الإشتراكية السابقة جميعها. و بن علي كان قويّا و مع

ذلك تهاوي تحت ضربات الجماهير الشعبية المتمرّدة . و قبل سنة من الآن كانت النهضة فى أوج قوّتها تحظى بإحترام كبير فى الأوساط الشعبية و اليوم باتت فئات كثر من جماهير شعبنا تكنّ لها العداء و تواجهها فى معارك نطاقها آخذ فى الإتساع.

جدليّا القوّة قد تتحوّل فى ظروف معطاة إلى ضعف و الضعف يتحوّل إلى قوّة . فى الوقت الحاضر التحريفية و الإصلاحية مهيمنان على الحركة الشيوعية قطريّا و عربيّا و عالميّا بيد أنّ الماركسية الحقيقية ، الشيوعية الثورية تصارع من أجل إلحاق الهزيمة بالتحريفية و الإصلاحية . و النضال فى ظروف مواتية أو غير مواتية ، نضال الشيوعيين الثوريين إستنادا إلى خطّ إيديولوجي و سياسي صحيح هو الكفيل بترجيح كفّة الشيوعية الثورية و دحر التحريفية و الإصلاحية ف" **صحّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي أو عدم صحّته هي المحدّدة فى كلّ شيء"**. و هذه الحقيقة الأخيرة التى إستخلصها ماو تسى تونغ من تجارب البروليتاريا العالمية علينا تمثّلها و إستيعابها و تكريسها فى مساهمتنا المتعدّدة الجوانب فى الصراع الطبقي سواء قطريّا أم عربيّا أم عالميّا.

و إلى الذين يلوموننا على مواقفنا التى يعتبرونها متطرّفة و يدعوننا إلى الإلتحاق بمستنقع التحريفية و ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد ، نتوجّه لهم بكلمات نستعيرها من لينين ، من كتابه المنارة البروليتارية " ما العمل ؟ " :

" نحن نسير عصبة متراصة فى طريق وعر صعب ، ممسكين بأيدينا بقوّة . و من جميع الجهات يطوّقنا الأعداء ، و ينبغى لنا أن نسير على الدوام تقريبا و نحن عرضة لنيرانهم . لقد إتحدنا بملء إرادتنا ، إتحدنا ، بغية مقارعة الأعداء ، لا للوقوع فى المستنقع المجاور الذى لامنا سكانه منذ البدء لأنّنا إتحدنا فى عصبة على حدة و فضّلنا طريق النضال على طريق المهادنة. و إذا بعض منّا يأخذ بالصياح : هلمّوا إلى هذا المستنقع ! و عندما يقال لهم : ألا تخجلون ، يعترضون قائلين : ما أجهلكم يا هؤلاء ! ألا تستحون أن تنكروا علينا حرية مناداتكم إلى طريق الأحسن !- صحيح ، صحيح أيّها السادة ! إنكم أحرار، أحرار لا فى أن تنادوا و حسب ، بل أيضا فى الذهاب إلى المكان الذى يطيب لكم ، إلى المستنقع إن شئتم ؛ و نحن نرى إنّ مكانكم أنتم هو المستنقع بالضبط ، و نحن على إستعداد للمساعدة بقدر الطاقة على إنتقالكم أنتم إليه. و لكن رجاءنا أن تتركوا أيدينا ، أن لا تتعلّقوا بأذيالنا ، أن لا توسخوا كلمة الحرية العظمى ، ذلك لأنّنا نحن أيضا " أحرار" فى السير إلى حيث نريد، أحرار فى النضال لا ضد المستنقع و حسب بل أيضا ضد الذين يعرجون عليه ! "

نحن ثوريّون و بغية تحرير الإنسانية تحريرا حقيقيا من جميع أنواع الإستغلال و الإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي ، لن نرضى بغير تحطيم دولة الإستعمار الجديد (وكافة دول الإستعمار الجديد و الدول الإمبريالية عالميا) و تشييد دولة الديمقراطية الجديدة كجزء من الثورة البروليتارية العالمية و غايتنا الأسمى هي الشيوعية عالميّا . و نربط إستراتيجيتنا هذه بتكتيكات تخدمها ، لا تبتلعها . و مدركين تمام الإدراك أنّ الأقلية تتحوّل إلى الأغلبية و العكس بالعكس و بأن صحة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي هي المحدّدة فى كلّ شيء ، حتى فى وضع الأقليّة و أقليّة الأقليّة نتمسّك بالمبادئ الشيوعية و بالتعاليم التى صاغها ماو تسى تونغ و منها " السير ضد التيّار مبدأ ماركسي". التيّار الإصلاحي جارف ، التيارّ التحريفي غامر لكنّنا لا نهاب و لن نهاب الأمواج العاتية و قد أبحرنا و سنبحر ضد التيّار مهما كلّفنا ذلك و الطريق شائك لكن المستقبل وضّاء .

الملاحق :

الملحق 1 : الديمقراطية القديمة البرجوازية أم الديمقراطية الجديدة الماوية .

(" لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية !" عدد1/ مارس 2011).

لا زال مفهوم الثورة الديمقراطية الجديدة غامضا أو مشوّها لدى الكثيرين ،إن لم يكن مجهولا تماما. فقلّة هم المناضلون و المناضلات ، في أوساط الحركة الشيوعية العربية لا سيما الشباب منهم ،الذين يعرفونه حق المعرفة فى الوقت الحالي. في الستينات و السبعينات و إلى حدود معيّنة فى بدايات الثمانينات ، كان أكثر رواجا و إنتشارا إلاّ أنّ الماويين فى الأقطار العربية باتوا أقلّ تأثيرا و إستعمالا لهذا المفهوم لصالح مفهوم الثورة الوطنية الديمقراطية الذى شابته تشويهات لا تحصى. لذلك إنسجاما مع مفاهيم الحركة الماوية العالمية و توضيحا لمفهوم الثورة الديمقراطية الجديدة للرفاق و الرفيقات وللأجيال الجديدة ، نصوغ هذا المقال ونرجو من القرّاء شيئا من رحابة الصدر لطول بعض الإستشهادات التي نراها ضرورية لملامسة مختلف جوانب الموضوع الذى نحن بصدده و للردّ بصورة مباشرة أو غير مباشرة على الترهات و الخزعبلات و التشويهات التحريفية و الرجعية للماوية.

1 – ديمقراطية أم ديمقراطيات :

لعلّ قول إنّ الديمقراطية ديمقراطيات قد يصدم أصحاب الرؤى المثالية و القوالب الجاهزة بينما فى الواقع طبقيا. فمنذ العبودية وجدت الديمقراطية فكانت ديمقراطية أسياد العبيد و فى نفس الوقت مظهرها الآخر ، دكتاتورية على العبيد المشكّلين للسواد الأعظم للشعب. و بعد ذلك عرفت الإنسانية ديمقراطية / دكتاتورية الإقطاعيين و النبلاء ضد الأقنان و تاليا الديمقراطية/ الدكتاتورية البرجوازية ضد البروليتاريا فى المجتمعات الرأسمالية (و الرأسمالية الإمبريالية منذ القرن العشرين و بلوغ الرأسمالية مرحلتها العليا الإمبريالية). و بفضل الثورة الإشتراكية بقيادة شيوعية فى روسيا، شهد الإتحاد السوفياتي زمن لينين و ستالين ديمقراطية/ دكتاتورية البروليتاريا كما شهدت الصين الماوية ديمقراطية جديدة/ دكتاتورية الديمقراطية الشعبية إلى أواسط الخمسينات فديمقراطية /دكتاتورية البروليتاريا إلى حدود الإنقلاب التحريفي لسنة 1976 و إعادة تركيز الرأسمالية هناك .(1)

و تعلّمنا الماديّة التاريخية أنّ الطبقة (أو الطبقات) الحاكمة تمارس الديمقراطية فى صفوفها و تسمح حتى لمعارضيها من الطبقات الأخرى الذين يقبلون بإطار دولتها و لا يطالبون سوى ببعض الإصلاحات بهوامش من ديمقراطيتها غير أنّها تمارس الدكتاتورية المتستّرة أو المفضوحة ضد أعدائها من الطبقات الأخرى الذين يعملون فى سبيل تحطيم دولتها و الثورة عليها و إيجاد دولة بديلة تحكمها طبقة أو طبقات أخرى تجعل من الطبقة (الطبقات) السائدة و المهيمنة سابقا طبقة (طبقات) مسودة و مهيمن عليها و عرضة لدكتاتورية الطبقة (الطبقات) الحاكمة الجديدة. و ليس من المستغرب أيضا أن تلجأ الطبقة أو الطبقات الحاكمة ، فى ظروف معينة من تطوّر الصراع الطبقي،إلى إستعمال العنف و الدكتاتورية حتى ضد فئات من صفوفها إذا ما

إقتضت المصالح العامة للطبقة أو الإئتلاف الطبقي الحاكم ذلك كما لا يستغرب أبدا أن تعمد الطبقة أو الطبقات الحاكمة إلى تقديم تنازلات إقتصادية و إجتماعية و سياسية - ديمقراطية برجوازية- إن لزم الأمر فى ظرف تاريخي معيّن من تطوّر الصراع الطبقي محلّيا و عالميّا من أجل المحافظة على حكمها و دولتها لتعود لاحقا إلى الإلتفاف على هذه الإصلاحات البرجوازية كلّما خوّل لها ذلك ميزان القوى الطبقي و مدى تطوّر الصراع الطبقي أو فرضه عليها سير نظامها و مصالحها الآنية و البعيدة المدى.

ومسألة ذات صلة بما نحن بصدده هي مسألة الأقلية والأغلبية.و فى هذا المضمار أكّد التاريخ أنّ ديمقراطيات/دكتاتوريات أسياد العبيد و الملوك و النبلاء و البرجوازيات كانت بلا مراء ديمقراطيات/ دكتاتوريات الأقلّية ضد الأغلبية فالطبقات الحاكمة لم تكن تمثّل إلاّ نسبة مائوية قليلة جدّا من المجتمع. و بالمقابل كانت الديمقراطية الجديدة فى الصين فى المناطق المحرّرة ثمّ فى الصين قاطبة من 1949 إلى أواسط الخمسينات ديمقراطية/دكتاتورية الأغلبية ضد الأقلية ، ديمقراطية/دكتاتورية الطبقات الثورية – الأغلبية بقيادة البروليتاريا وهم من العمّال و أقرب حلفائهم الفلاحين الفقراء ثمّ الفلاحين المتوسطين و البرجوازية الصغيرة المدينية و فئات من البرجوازية الوطنية - ضد الأقلية و هم أعداء الثورة من إمبرياليين و كمبرادور و إقطاع .

و خلال مرحلة بناء الإشتراكية و مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا فى الصين منذ أواسط الخمسينات إلى أواسط السبعينات ،عرفت الصين ديمقراطية/ دكتاتورية البروليتاريا المتحالفة مع الفلاحين الفقراء خاصة وهي أيضا ديمقراطية/ دكتاتورية الأغلبية بقيادة البروليتاريا و حزبها الطليعي الماوي آنذاك، الحزب الشيوعي الصين ، ضد الأقليّة من البرجوازية القديمة منها و الجديدة التي تظهر داخل الدولة و الحزب البروليتاريين. و إبّان الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى كطريقة و وسيلة لمواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا ، تمّكنت جماهير الكادحين بقيادة ماويّة من منع إعادة تركيز الرأسمالية فى الصين لعقد (فضلا عن مكاسب أخرى ليس هذا مجال تفصيلها) و تكريس ديمقراطيتها و دكتاتوريتها على أوسع نطاق عرفه تاريخ البشرية، فى الأرياف و الحقول و فى المدن و المصانع وفى الحقل الثقافي إلخ و مارست اهمّ حقّ من حقوقها السياسية ألا وهو حقّ التحكّم فى وسائل الإنتاج و الدولة و الحزب القائد للدولة البروليتارية و توجيه المجتمع صوب الشيوعية . و بذلك كانت الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التي هزّت الصين و العالم هزّا والتى شرّكت إلى أقصى حدّ الجماهير الشعبية فى الصراع الطبقي من أجل المضيّ قدما فى بناء الإشتراكية فالشيوعية أعلى قمّة بلغتها البروليتاريا العالمية فى تكريسها للديمقراطية/ الدكتاتورية البروليتارية فى سيرها نحو الشيوعية و إلغاء كافة الطبقات و كافة أنواع الإضطهاد و الإستغلال.

و إذن من مغالطات البرجوازية و تضليلاتها الحديث عن ديمقراطية كتعبير مطّاط و بصفة عامة دون ربطها بالطبقة أو الطبقات التي تستفيد منها و الطبقات التي تمارس عليها الدكتاتورية ،المظهر الآخر الملازم لأية ديمقراطية ،كوحدة أضداد أو تناقض.و فى المجتمع الطبقي، من الحقائق الموضوعية أنّه لا وجود لديمقراطية فوق الطبقات أو خارجها وليس هناك طبعا بالنسبة لمن يتبنىّ وجهة النظر البروليتارية للعالم و المنهج المادي الجدلي و المادي التاريخي ديمقراطية للجميع مثلما يدافع عنها أتباع المنطق الشكلاني البرجوازيين لتضليل الجماهير.و فى عالم اليوم ، عالم القرن الواحد و العشرين ، لم تعد هناك (و منذ 1976) أية ديمقراطية/ دكتاتورية بروليتارية بينما تتواصل الديمقراطية /الدكتاتورية البرجوازية الإمبريالية مهيمنة فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية وهي تفرض فى المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات شكلين أساسيين لدول الإستعمار الجديد حسب تطوّر الصراع الطبقي ؛ شكل ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد أو شكل

فاشية دولة الإستعمار الجديد. "الديمقراطية هي شكل للدولة ، نوع من أنواعها " (لينين "الدولة و الثورة " ص106). و نظرة سريعة على ما يحصل فى العالم لعقود تأكّد ذلك بلا أدنى شكّ.

و لا ينبغي أن ننسى أو نتناسى أنّ حتى البرجوازية الإمبريالية عادة ما تعتمد الشكل الديمقراطي للحكم إلاّ أنّها فى فترات معيّنة من إحتداد الصراع الطبقي تلجأ إلى الشكل الفاشي لصيانة دولتها و مصالحها الطبقية و تاريخيا ألمانيا النازية و إيطاليا الفاشية خير أمثلة على ذلك. وقد أخطأ الشيوعيون خطأ فادحا و مميتا فى إيطاليا و فرنسا و غيرها من البلدان حينما ساندوا ديمقراطية الدولة البرجوازية و إكتفوا بالعمل فى إطارها ضد الشكل الفاشي عوض الإطاحة بالدولة البرجوازية الإمبريالية مهما كان شكلها و تركيز دولة بروليتارية /إشتراكية عوضا عنها.
و بما هي شكل من أشكال الدولة فإنّ الديمقراطية آيلة للزوال مع زوال الدولة ذاتها التي تعدّ مرحلة من مراحل تطوّر المجتمع الإنساني و نتاجا تاريخيا له بدايته و نهايته التي تستدعى الخروج من إطار المجتمع البرجوازي و إعادة بنائه على أسس إشتراكية و توسيع و تعميق الديمقراطية البروليتارية و التقدّم نحو الشيوعية التي بحلولها عالميا تضمحلّ الدولة الديمقراطية البروليتارية ذاتها و بالتالى الديمقراطية.

قال لينين فى "الدولة و الثورة " : " الديمقراطية ليست البتّة بحدّ لا يمكن تخطّيه ، فهي ليست غير مرحلة من المراحل فى الطريق من الإقطاعية إلى الرأسمالية و من الرأسمالية إلى الشيوعية" (ص 105) و" إنّ إلغاء الدولة هو إلغاء الديمقراطية أيضا و إنّ إضمحلال الدولة إضمحلال الديمقراطية" (ص 87) . و عليه من الأكيد و الأكيد للغاية أن نتصدّى للأوهام التحريفية البرجوازية حول الديمقراطية /الدكتاتورية كأحد أهمّ و أوكد المهام فى الصراع الإيديولوجي و السياسي للشيوعية الحقيقية ،الثورية ضد مشوهيها و أعدائها.

2- الديمقراطية القديمة أم الديمقراطية الجديدة :

"إنّ التناقضات المختلفة من حيث طبيعتها لا يمكن أن تحلّ إلاّ بطرق مختلفة طبيعيّا"
(ماو تسى تونغ " فى التناقض")

كانت الثورات الديمقراطية القديمة ضد الإقطاع، قبل القرن العشرين، ثورات برجوازية تفرز دولا رأسمالية برجوازية.أمّا الثورات الديمقراطية الجديدة فتتعارض تمام التعارض مع الديمقراطية القديمة أي مع الديمقراطية البرجوازية الراسمالية-الإمبريالية بمعنى أنّ نتيجة الثورة الديمقراطية الجديدة الحقّة لن تكون دولة ديمقراطية قديمة برجوازية و مجتمع رأسمالي تسوده البرجوازية و إنّما دولة ديمقراطية جديدة ، دولة ديمقراطية شعبية لطبقات ثورية مناهضة للإمبريالية و البرجوازية الكمبرادورية/البيروقراطية و الإقطاع تقودها البروليتاريا و تمهّد الطريق للثورة الإشتراكية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية.

بهذا المعنى الديمقراطية الجديدة مرحلة إنتقالية من مجتمع المستعمرات الجديدة أو أشباه المستعمرات إلى مجتمع مستقلّ ديمقراطي بقيادة بروليتارية و بتحالف وثيق مع الفلاحين الفقراء كخطوة اولى تليها خطوة ثانية لبناء مجتمع إشتراكي و هذا تيّار من تيارّي الثورة البروليتارية العالمية و تيارّها الثاني هو الثورات الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية.
و لشرح الديمقراطية الجديدة كتب ماو عام 1940كتيّبا لم يكن فى منتهى الأهمّية لإنتصار الثورة فى الصين فحسب بل بات ذا مغزى عالمي و أحد أهمّ مساهمات ماو تسى تونغ فى تطوير علم الثورة البروليتارية العالمية ، و منه نقتطف لكم الفقرات التالية الطويلة نسبيّا للضرورات التي ألمحنا إليها فى المقدّمة :

--- " فى هذا العصر إذا نشبت فى أي بلد مستعمر أو شبه مستعمر ثورة موجهة ضد الإمبريالية ، أي ضد البرجوازية العالمية و الرأسمالية العالمية، فهي لا تنتسب إلى الثورة الديمقراطية البرجوازية العالمية بمفهومها القديم ،بل تنتسب إلى مفهوم جديد، و لا تعدّ جزءا من الثورة العالمية القديمة البرجوازية و الرأسمالية ، بل تعدّ جزءا من الثورة العالمية الجديدة، أي جزءا من الثورة العالمية الإشتراكية البروليتارية. و إنّ مثل هذه المستعمرات و شبه المستعمرات الثورية لم تعد تعتبر فى عداد حليفات الجبهة الرأسمالية العالمية المضادة للثورة ، بل أصبحت حليفات للجبهة الإشتراكية العالمية الثورية." (من فقرة "الثورة الصينية جزء من الثورة العالمية").

--- " إن الجمهورية الديمقراطية الجديدة تختلف عن الجمهورية الرأسمالية من النمط الأوربي الأمريكي القديم والخاضعة لديكتاتورية البرجوازية ، إذ أن هذه الأخيرة هي جمهورية الديمقراطية القديمة التي قد فات أوانها ، و من جهة أخرى فإنها تختلف أيضا عن الجمهورية الإشتراكية من النمط السوفياتي والخاضعة لديكتاتورية البروليتاريا ،فإن مثل هذه الجمهورية الاشتراكية تزدهر في ارض الاتحاد السوفياتي وسوف تعمم في جميع البلدان الراسمالية ، وأكيد أنها ستصبح الشكل السائد لتركيب الدولة والسلطة السياسية في جميع البلدان المتقدمة صناعيا . ولكن مثل هذه الجمهورية ، خلال فترة تاريخية معينة لا تصلح للثورات في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة ، ولذا فلا بد أن يتبنى خلال تلك الفترة التاريخية المعينة شكل ثالث للدولة في ثورات جميع البلدان المستعمرة والشبه المستعمرة . ألا و هو جمهورية الديمقراطية الجديدة . وبما أن هذا الشكل مناسب خلال فترة تاريخية معينة ، فهو شكل انتقالي ، ولكنه ضروري لا بديل له."(من فقرة " سياسة الديمقراطية الجديدة ").

--- " ان الجمهورية التي يجب إقامتها ...لا بد أن تكون جمهورية للديمقراطية الجديدة سياسيا واقتصاديا على حد سواء . ستكون المصاريف الكبرى والمشاريع الصناعية والكبرى ملكا للجمهورية " إن كافة المشاريع أكانت صينية أم أجنبية والتي تحمل طابعا احتكاريا أو هي أكبر من أن يديرها الأفراد، مثل المصارف والسكك الحديدية والخطوط الجوية يجب ان تشرف عليها الدولة وتديرها ، حتى لا يستطيع الرأسمال الخاص أن يسيطر على وسائل معيشة الشعب ، هذا هو المبدأ الرئيسي لتحديد الرأسمال " ...ففي الجمهورية الديمقراطية الجديدة الخاضعة لقيادة البروليتاريا سيكون القطاع العام ذا طبيعة اشتراكية ، وهو يشكل القوة القائدة في مجموع الاقتصاد القومي بيد ان هذه الجمهورية لا تصادر الأملاك الرأسمالية الخاصة الأخرى ، ولا تحظر تطور الإنتاج الرأسمالي الذي " لا يسطر على وسائل معيشة الشعب " وذلك لأن اقتصاد الصين لا يبرح متخلفا جدا .

وستتخذ هذه الجمهورية بعض التدابير اللازمة من أجل مصادرة أراضي ملاك الأراضي وتوزيعها على الفلاحين الذين لا يملكون أرضا أو يملكون قطعا صغيرة ، تطبق بذلك شعار ... القائل " الأرض لمن يفلحها " وتلغى العلاقات الإقطاعية في المناطق الريفية ، وتحيل ملكية الأرض إلى الفلاحين . أما اقتصاد الفلاحين الأغنياء في المناطق الريفية فوجوده مسموح به . تلك هي سياسة تحقيق المساواة في ملكية الأرض و شعار " الأرض لمن يفلحها " هو الشعار الصحيح الذي يترجم تلك السياسة. وفي هذه المرحلة لن نسعى على العموم الى إقامة الزراعة الاشتراكية . بيد ان أنوعا مختلفة من الاقتصاديات التعاونية التي تكون قد تطورت على أساس " الأرض لمن يفلحها " سوف تحتوي على عناصر اشتراكية" (من فقرة " إقتصاد الديمقراطية الجديدة ").

---" أمّا الثقافة الجديدة فهي إنعكاس إيديولوجي للسياسة الجديدة و الإقتصاد الجديد وهي كذلك

فى خدمتها." (من فقرة : ثقافة الديمقراطية الجديدة.) " إنّ ثقافة الديمقراطية الجديدة هذه ثقافة وطنية تعارض الإضطهاد الإمبريالي و تنادي بالمحافظة على كرامة الأمة ... و إستقلالها. هذه الثقافة تخصّ أمتنا ، و تحمل خصائصها الوطنية. و يجب عليها أن ترتبط بالثقافة الإشتراكية و ثقافة الديمقراطية الجديدة لسائر الأمم ، بحيث تتشرّب من بعضها البعض و تتبادل المساعدة لتتطوّر سويّا فى سبيل تشكيل ثقافة جديدة للعالم ...إنّ ثقافة الديمقراطية الجديدة هذه ثقافة علمية تعارض سائر الأفكار الإقطاعية و الخرافية و تنادي بالبحث عن الحقيقة من الوقائع، و بالإلتزام بالحقيقة الموضوعية ، كما تنادى بالوحدة بين النظرية و الممارسة العملية... إنّ ثقافة الديمقراطية الجديدة هذه هي ثقافة جماهيرية و هي بالتالى ديمقراطية . و ينبغى لها أن تخدم الجماهير الكادحة من العمّال و الفلاحين الذين يشكّلون أكثر من 90% من سكّان بلادنا ، و أن تصبح بصورة تدريجية ثقافتهم الخاصّة." (من فقرة " ثقافة وطنية علمية جماهيرية ").

و عليه ، واهمون هم أولئك الذين يتصوّرون إمكانية وجود مجتمع رأسمالي ديمقراطي برجوازي على غرار ما يوجد فى أوروبا ، فى المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات فى حين أنّ هذه الإمكانية منعدمة تاريخيا وواقعيّا. و القوى القومية و "اليسارية" المرتكبة لإنحراف قومجي ، الداعية للتحرّر الوطني رئيسيا و المتناسية للطابع الديمقراطي أو المقلّصة من أهمّيته مشدّدة على مواجهة العدوّ الإمبريالي غاضة الطرف عن البرجوازية الكمبرادورية/البيروقراطية (و متحالفين معها أحيانا) و الإقطاع على خطإ واضح و جلي ؛ و القوى "اليسارية" التي تشدّد التشديد كلّه على الطابع الديمقراطي بمعنى الحرّيات السياسية حصريا تقريبا مخطئة هي الأخرى لتقليصها لمضمون الثورة التي تتطلبها المرحلة فى المستعمرات الجديدة وأشباه المستعمرات و طبيعتها و إستهتارها بالجبال الرواسي الثلاثة ألا وهي الإمبريالية و البرجوازية الكمبرادورية و الإقطاع.

3- الديمقراطية الجديدة تطوير لعلم الثورة البروليتارية العالمية أم تحريف له :

رغم محاولات الحركة الشيوعية العالمية و الأممية الشيوعية بقيادة البلاشفة الذين كانوا على رأس جماهير الشعب فى إنجاز ثورة أكتوبر المجيدة ،أن تطوّر خطّا متكاملا للثورة فى المستعمرات و أشباه المستعمرات ،فإنّ لينين أقرّ بمحدودية تلك الجهود و بالحاجة الأكيدة لتطوير طرق جديدة و عدم إتباع طريق أكتوبر.و قد صرّح فى تقرير فى المؤتمر الثاني لعامة روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق فى 22 نوفمبر 1919 ، بالآتى :

" أنتم تمثلون منظمات شيوعية و أحزابا شيوعية تنتسب لمختلف شعوب الشرق . و ينبغى لى أن أقول إنه إذا كان قد تيسر للبلاشفة الروس إحداث صدع فى الإمبريالية القديمة ، إذا كان قد تيسر لهم القيام بمهمة فى منتهى العسر وإن تكن فى منتهى النبل هي مهمة إحداث طرق جديدة للثورة ، ففى إنتظاركم أنتم ممثلى جماهير الكادحين فى الشرق مهمة أعظم و أكثر جدة ...

و فى هذا الحقل تواجهكم مهمة لم تواجه الشيوعيين فى العالم كله من قبل : ينبغى لكم أن تستندوا فى الميدانين النظري و العملي إلى التعاليم الشيوعية العامة و أن تأخذوا بعين الإعتبار الظروف الخاصة غير الموجودة فى البلدان الأوروبية كي يصبح بإمكانكم تطبيق هذه التعاليم فى الميدانين النظري و العملي فى ظروف يؤلف فيها الفلاحون الجمهور الرئيسي و تطرح فيها مهمة النضال لا ضد رأس المال ، بل ضد بقايا القرون الوسطى . وهذه مهمة عسيرة ذات طابع خاص ، غير أنها مهمة تعطى أطيب الثمرات ، إذ تجذب إلى النضال تلك الجماهير التى لم يسبق لها أن إشتركت فى النضال ، و تتيح لكم من الجهة الأخرى الإرتباط أوثق إرتباط بالأممية الثالثة بفضل تنظيم الخلايا الشيوعية فى الشرق ... هذه هي القضايا التى لا تجدون حلولا لها فى أي كتاب من

كتب الشيوعية ، و لكنكم تجدون حلولها فى النضال العام الذى بدأته روسيا . لا بد لكم من وضع هذه القضية و من حلها بخبرتكم الخاصة ..."

و بفضل التجارب العملية و النظرية، السلبية منها و الإيجابية، المراكمة وإستجابة لمتطلبات واقع المستعمرات الجديدة و اشباه المستعمرات ،طوّر ماوتسى تونغ ضمن مساهماته العديدة فى تطوير علم الثورة البروليتارية العالمية و الماركسية فى مكوناتها الثلاثة ، طرقا جديدة للثورة بداية مع ثورة الديمقراطية الجديدة ثم الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى لمواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا.

و إثر وفاة القائد البروليتاري الصيني العظيم و إنقلاب التحريفيين فى الصين معيدين تركيز الرأسمالية هناك ، نظّم هجوم سافر على ماو تسى تونغ و مساهماته التى أثبت التاريخ صحّتها ، من طرف الإمبريالية العالمية و الرجعية و التحريفيين الصينيين و كذلك الخوجيين عبر العالم .و إنبري الشيوعيون الثوريون الماويون حقّا للدفاع عن إرث ماو تسى تونغ الذى هو إرث البروليتاريا الثورية العالمية و خاضوا جملة من الصراعات على شتى الأصعدة أدّت ضمن ما أدّت إليه إلى تشكيل الحركة الأممية الثورية سنة 1984 من عدّة أحزاب و منظمات من جميع قارات الكوكب أصدرت بيانا عالميا فى تلك السنة منه نقتطف لكم بضعة فقرات متصلة بالموضوع الذى نحن بصدده وبدروس متعلّقة بهذا النوع من الثورات:

" و لا تزال النظرية التى بلورها ماو تسى تونغ خلال السنوات الطويلة للحرب الثورية فى الصين تمثل المرجع الأساسي لصياغة الإستراتيجيا و التكتيك الثوريين فى البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة أو المستعمرات الجديدة . فى هذه البلدان تمثل الإمبريالية الأجنبية و كذلك البرجوازية البيروقراطية "والكمبرادورية " و الإقطاعيون- بإعتبار الطبقتين الأخيرتين طبقات تابعة و مرتبطة بقوة بالإمبريالية- مرمى الثورة (هدفها) . و تعبر الثورة فى هذه البلدان مرحلتين : ثورة أولى هي الثورة الديمقراطية الجديدة التى تؤدي مباشرة فيما بعد إلى ثورة ثانية هي الثورة الإشتراكية . و طبيعة و هدف و مهام المرحلة الأولى من الثورة تخوّل للبروليتاريا وتقتضى منها إقامة جبهة واسعة متحدة تجمع كل الطبقات و الشرائح الإجتماعية التي يمكن كسبها لمساندة برنامج الديمقراطية الجديدة .و مع ذلك ، فإن البروليتاريا تسعى إلى بناء هذه الجبهة المتحدة بما يتفق مع مبدأ تطوير و دعم قواها الذاتية المستقلة وهو ما يستتبع مثلا أنه على البروليتاريا أن تكون لها قواتها المسلحة الخاصة متى حتمت الظروف ذلك و أنه عليها أن تفرض دورها القيادي تجاه قطاعات الجماهير الثورية خاصة تجاه الفلاحين الفقراء. و يتخذ هذا التحالف كمحور أساسي له تحالف العمال مع الفلاحين كما يجب أن تحتل الثورة الزراعية (أي النضال ضد الإستغلال شبه الإقطاعي فى الريف و /أو شعار " الأرض لمن يفلحها") مكانة مركزية فى برنامج الديمقراطية الجديدة ...

و من أجل تتويج ثورة الديمقراطية الجديدة، يترتب على البروليتاريا أن تحافظ على دورها المستقل و أن تكون قادرة على فرض دورها القائد فى النضال الثوري وهو ما تقوم به عن طريق حزبها الماركسي -اللينيني-الماوي . و قد بينت التجربة التاريخية مرارا و تكرارا أنه حتى إذا ما إشتركت فئة من البرجوازية الوطنية فى الحركة الثورية فإنها لا تريد (ولا تستطيع) قيادة ثورة الديمقراطية الجديدة و من البداهة إذا ألاّ توصلها إلى نهايتها. كما بينت التجربة التاريخية أن "جبهة معادية للإمبريالية " (أو "جبهة ثورية " أخرى من هذا القبيل) لا يقودها حزب ماركسي-لينيني–ماوي لا تؤدى إلى نتيجة حتى إذا ما كانت هذه الجبهة (أو بعض القوى المكوّنة لها) تتبنى خطا "ماركسيا" معينا أو بالأحرى ماركسيا كاذبا . و بالرغم من أن هذه التشكيلات الثورية قد قادت أحيانا معاركا بطولية بل و سدّدت ضربات قوية للإمبريالية ، فإنها أظهرت أنها عاجزة

على المستوى الإيديولوجي و التنظيمي ،عن الصمود أمام التأثيرات الإمبريالية و البرجوازية. و حتى فى الأماكن التى تمكّنت فيها هذه العناصر من إفتكاك السلطة، فإنها بقيت عاجزة عن تحقيق تغيير ثوري كامل للمجتمع فإنتهت جميعا ،إن عاجلا أم آجلا ، بأن قلبتها الإمبريالية أو أن تحولت هي نفسها إلى نظام رجعي جديد يعمل اليد فى اليد مع الإمبرياليين .

و يمكن للحزب الشيوعي فى الوضعيات التى تمارس فيها الطبقات المسيطرة ديكتاتورية عنيفة أو فاشية أن يستغل التناقضات التى يخلقها هذا الوضع بما يدعم الثورة الديمقراطية الجديدة و أن يعقد إتفاقات أو تحالفات مؤقتة مع عناصر من طبقات أخرى . و لكن هذه المبادرات لا يمكن لها أن تنجح إلا إذا واصل الحزب المحافظة على دوره القيادي و إستعمل هذه التحالفات فى النطاق المحدّد بمهمته الشاملة و الرئيسية و المتمثلة فى إنجاح الثورة ، دون أن يحوّل النضال ضد الديكتاتورية إلى مرحلة إستراتيجية للثورة بما أن محتوى النضال المعادي للفاشية ليس إلا محتوى الثورة الديمقراطية الجديدة .

ويتعين على الحزب الماركسي -اللينيني- الماوي لا فقط أن يسلّح البروليتاريا و الجماهير الثورية بوسائل فهم طبيعة المهمّة الموكولة للإنجاز مباشرة (إنجاح الثورة الديمقراطية الجديدة) و الدور و المصالح المتناقضة لممثلى مختلف الطبقات (الصديقة أو العدوّة) و لكن أيضا أن يفهمهم ضرورة تحضير الإنتقال إلى الثورة الإشتراكية وواقع أن الهدف النهائي يجب أن يكون الوصول إلى الشيوعية على مستوى العالم .

ينطلق الماركسيون –اللينينيون- الماويون من مبدإ أن على الحزب أن يقود الحرب الثورية بما يجعلها حرب جماهير حقيقية . و يجب عليهم حتى خلال الظروف العسيرة التى تفرضها الحرب أن يعملوا على تربية واسعة للجماهير و مساعدتها على بلوغ مستوى أرقى نظريا و إيديولوجيا و من أجل ذلك يتوجب تأمين نشر و تطوير صحافة شيوعية منتظمة الصدور و العمل على أن تدخل الثورة الميادين الثقافية .

فى البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة (أو المستعمرات الجديدة)، تمثّل الإنحراف الرئيسي فى الفترة الأخيرة (و لا تزال) فى الميل إلى عدم الإعتراف أو إنكار هذا التوجه الأساسي للحركة الثورية فى مثل هذه البلدان : الميل إلى إنكار الدور القيادي للبروليتاريا و للحزب الماركسي -اللينيني- الماوي و إلى رفض أو تشويش إنتهازي لنظرية حرب الشعب و إلى التخلى عن بناء جبهة متحدة على أساس تحالف العمال و الفلاحين تقودها البروليتاريا .

و قد تجلى هذا الإنحراف التحريفي فى الماضي فى شكل "يساري " أو فى شكل يميني مفضوح . و لطالما نادى التحريفيون الجدد ب " الإنتقال السلمي للإشتراكية " (و خصوصا إلى حدود الماضى القريب) و سعوا إلى دعم القيادة البرجوازية فى نضالات التحرر الوطني و لكن هذه التحريفية اليمينية التى لا تخفى سياستها الإستسلامية ، كانت دائما ما تجد صداها فى شكل آخر للتحريفية تتقاطع معها اليوم أكثر فأكثر : نوع من التحريفية المسلحة " اليسارية " تدعو لها فيمن يدعو لها ، من حين لآخر القيادة الكوبية و تؤدى إلى سحب الجماهير بعيدا عن النضال المسلح و التى تدافع عن فكرة دمج كل مراحل الثورة و عدم القيام إلا بثورة واحدة، ثورة إشتراكية مزعومة. و تؤدى هذه السياسة عمليا إلى محاولة دفع البروليتاريا إلى أفق محدود جدا و إلى إنكار واقع أن على الطبقة العاملة أن تقود الفلاحين و قوى أخرى وأن تسعى بذلك إلى تصفية كاملة للإمبريالية و للعلاقات الإقتصادية و الإجتماعية المتخلفة و المشوّهة التى يتمّعش منها رأس المال الأجنبي و التى يجتهد فى تدعيمها . و يمثل هذا الشكل من التحريفية اليوم واحدة من

الوسائل الرئيسية التى يستعملها الإمبرياليون الإشتراكيون للإندساس فى نضالات التحرر الوطني و مراقبتها .

ويجب على الماركسيين-اللينينيين -الماويين ، حتى يمكّنوا تطور الحركة الثورية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات (أو المستعمرات الجديدة) من إتخاذ توجه صحيح ، أن يواصلوا تكثيف النضال ضد كلّ أشكال التحريفية و الدفاع عن مساهمات ماو بإعتبارها أساسا نظريا ضروريا من أجل تحليل عميق للظروف الملموسة و بلورة خط سياسي مناسب فى مختلف البلدان من هذا النوع . (من فقرة " المهام فى المستعمرات و أشباه المستعمرات (أو المستعمرات الجديدة) ") و عقب أقلّ من عقد من النضال النظري و العملي و تطوير منظّمات و أحزاب و حرب الشعب فى عدّة بلدان لا سيما فى البيرو فى ثمانينات القرن العشرين ، خطت الحركة الأممية الثورية خطوة نوعية أخرى بتبنّيها للماركسية-اللينينية-الماوية و إعتبارها الماوية مرحلة ثالثة جديدة و أرقى فى علم الثورة البروليتارية العالمية .وهي تفسّر مساهمات ماو تسى تونغ فى "لتحي الماركسية- اللينينية- الماوية " سنة 1993 خطّت الأسطر التالية بشأن الثورة الديمقراطية الجديدة :

" و تمكّن ماوتسي تونغ من حلّ مسألة كيفية إنجاز الثورة في بلد تهيمن عليه الإمبريالية . فالطريق الأساسي الذي رسمه للثورة الصينيـــــة يمثـــل مساهمة لا تقدر بثمن فى نظرية وممارسة الثورة وهي مرشد لتحرير الشعوب التى تضطهدها الإمبريالية. و هذا الطريق يعنى حرب الشعب و محاصرة الأرياف للمدن ويقوم على الكفــــاح المسلح كشكل أساسي للنضـــال وعلى الجيش الذى يقوده الحزب كشكل أساسي لتنظيم الجماهير وإستنهاض الفلاحين وخاصة الفقراء منهم و على الإصلاح الزراعي و بناء جبهة موحدة بقيادة الحزب الشيوعي وذلك قصد القيــام بثورة الديمقراطية الجديدة ضد الامبريالية والإقطاع والبرجوازية البيروقراطيـــــة و تركيز ديكتاتورية الطبقات الثورية تحت قيادة البروليتاريا كتمهيــد ضروري للثورة الإشتراكية التي يجب أن تتلو مباشرة إنتصار المرحلة الاولى من الثـورة . وقدم ماو الأطروحة المتمثلة في " الأسلحة السحرية الثلاثة " : الحزب والجيش والجبهة المتحدة " كأدوات لا بد منها لإنجاز الثـــورة فى كل بلـــد طبقا للظروف و طريق الثورة الخاصين . "

و بناء على ما تقدّم نستشفّ أنّ الديمقراطية الجديدة ليست تحريفا و تشويها لعلم الثورة البروليتارية العالمية و إنّما هي تطوير خلاّق قائم على دراسات وتجارب عملية فى الصين طوال عقود من الحرب الأهلية و على حقيقة أثبت تاريخ الصراع الطبقي فى الصين و غيرها من البلدان صحّها و انّ مدعي إتباع طريق أكتوبر – الإنتفاضة المسلحة المتبوعة بحرب أهلية و ليس حرب الشعب و محاصرة الريف للمدن- يطرحون طريقا خاطئا لن يقدر الشعب إذا ما إنتهجه أن يحقّق التحرّر الديمقراطي الجديد و التمهيد للثورة الإشتراكية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية و فى تحالف مع التيار الآخر للثورات البروليتارية ، تيار الثورات الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية –الإمبريالية. و كلّ القوى الشرعوية و الإصلاحية "الديمقراطية " من الطراز القديم التي تسعى إلى العمل فى إطار دولة الإستعمار الجديد لن تستطيع أبدا ان تنجز الثورة الديمقراطية الجديدة التي تستدعى القضاء على هذه الدولة لبناء دولة الديمقراطية الجديدة عوضا عنها و على أنقاضها.

4 - الثورة الديمقراطية الجديدة / الثورة الوطنية الديمقراطية :

فى خضمّ الجدال الكبير للحزب الشيوعي الصيني و على رأسه ماو تسى تونغ ضد التحريفية المعاصرة منذ الخمسينات و خاصة الستينات ، صاغ الرفاق الماويون الصينيون وثيقة تاريخية

مثّلت حجر الزاوية فى القطع النظري و العملي مع التحريفية المعاصرة السوفياتية منها و اليوغسلافية و الفرنسية و الإيطالية ...و فى بناء الحركة الماركسية-اللينينية العالمية و نقصد "إقتراح حول الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية" بتاريخ يونيو/ حزيران عام 1963(دار النشر بالغات الأجنبية ، بيكين 1963) .

فى تناقض مع الأطروحات التحريفية المعاصرة و للتشديد على التناقضين الأساسيين الذين على حركة التحرّر الوطني بقيادة شيوعية معالجتهما ، كتب الرفاق الماويون الصينيون ضمن النقطة 8 :

- " إنّ مناطق آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية الواسعة هي المناطق التي تتجمّع فيها مختلف أنواع التناقضات فى العالم المعاصر، و الإستعمار أضعف ما يكون سيطرة فى هذه المناطق ، وهي مراكز عواصف الثورة العالمية التي تسدّد الآن الضربات المباشرة إلى الإستعمار.
إنّ الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية فى هذه المناطق و حركة الثورة الإشتراكية العالمية هما التياران التاريخيان العظيمان فى عهدنا الحاضر. إنّ الثورة الوطنية الديمقراطية فى هذه المناطق هي جزء هام من الثورة البروليتارية العالمية المعاصرة. " (ص 14)

وشرحوا مهام الأحزاب البروليتارية وحذّروها من مغبّة السقوط فى خطإ التذيّل لقوى برجوازية أو إقطاعية فى النقطة 9 :
" و إذا أصبحت البروليتاريا ذيلا للإقطاعيين و البرجوازيين فى الثورة ، فإنه لا يمكن أن يحقّق نصر حقيقي كامل للثورة الوطنية الديمقراطية بل و حتى إذا تحقّق نوع من النصر فإنّه من غير الممكن أيضا أن يوطّد ذلك النصر. و فى مجرى النضالات الثورية التي تخوضها الأمم و الشعوب المضطهَدَة يجب على الحزب البروليتاري أن يضع برنامجه الخاص به الذى هو كلّيا ضد الإستعمار و الرجعية المحلّية و من أجل الإستقلال الوطني والديمقراطية الشعبية، و عليه أن يعمل مستقلاّ بين الجماهير و يوسّع بلا إنقطاع القوى التقدّمية و يكسب القوى الوسطى و يعزل القوى الرجعية؛و بذلك فقط يمكنه ان يسير بالثورة الوطنية الديمقراطية إلى النهاية و يوجه الثورة إلى طريق الإشتراكية."(ص 20)

و هكذا ماويا الثورة الوطنية الديمقراطية التي طرحت فى "الإقتراح..." صياغة مساوية و متماهية مع الثورة الديمقراطية الجديدة ، موجهة سياسيا إلى الحركة الشيوعية العالمية بكلمات مشدّدة على المهام الأساسية و الصراع ضد الأطروحات التحريفية المعاصرة. و قد تبنّت عديد الأحزاب و المنظّمات الماركسية-اللينينية عبر العالم حينها و فى لاحق الأيام هذا المفهوم ، مفهوم الثورة الوطنية الديمقراطية.

وفى تونس مثلا ، أكّد عليه أنصار الحركة الماركسية-اللينينية بقيادة ماو تسى تونغ فى تناقض مع الأطروحات التروتسكية و التروتسكية الجديدة القائلة بطبيعة المجتم الرأسمالية وبالثورة الإشتراكية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات، إلى درجة أن البعض بات فى السبعينات و الثمانينات من القرن العشرين يطلقون خطأ على أنفسهم إسم طبيعة الثورة المنشودة فى بلد شبه مستعمر شبه مستعمر (الوطنيون الديمقراطيون بتلويناتهم العديدة) . و فى المغرب أيضا تبنّت الحركة الماركسية-اللينينية ، لا سيما "إلى الأمام"، أفكار ماو تسى تونغ ومفهوم الثورة الوطنية الديمقراطية و طبيعة المجتمع شبه المستعمر شبه الإقطاعي (أنظروا: دفاعا عن التاريخ -موقع فكر ماو تسي تونغ في تجربة الحملم بالمغرب - طريق الثورة -).

و فى أواخر الستينات و إثر إعادة تشكيله و قطعه مع التحريفية المعاصرة إستجابة لدعوة

"؛إقتراح..." والحزب الشيوعي الصيني على رأس الحركة الماركسية-اللينينية العالمية لأن يتمايز الشيوعيون الثوريون على كافة الأصعدة مع هذه التحريفية ، إنطلق الحزب الشيوعي الفليبيني بعد إعادة تشكّله فى حرب الشعب و بنى الجيش الشعبي الجديد كما شيّد الجبهة الوطنية الديمقراطية الشهيرة عالميّا .و ما إنفكّت هذه "الأسلحة السحرية الثلاثة" تناضل إلى يومنا هذا من أجل إنجاز الثورة الديمقراطية الجديدة كجزء من الثورة البروليتارية العالمية... و على من يرنو دراسة دقيقة و تفحّص عن كثب لأمثلة خاصة و ذات خصوصيات لبرامج الماويين فى الثورة الديمقراطية الجديدة فعليه البحث فى الأنترنت- مواقع الأحزاب التي نذكر- عن مثلا برنامج الحزب الشيوعي الفيليبيني و برنامج الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) و برنامج الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي-اللينيني-الماوي) إلخ.

و تأسيسا على ما مرّ بنا و نظرا للتشويهات التي طالت مفهوم "الثورة الوطنية الديمقراطية "(من تذيّل للقوى القومية و الأصولية ؛ إلى الشرعوية و النقابوية /الإقتصادوية و الإنتفاضوية إلخ) و إنسجاما مع المفاهيم الماوية المتداولة عالميّا على الشيوعيين الماويين بذل قصارى الجهود النظرية و العملية لإزالة الغبار من على المضمون الأصلي و الحقيقي لهذا المفهوم و ربطه بالديمقراطية الجديدة فى إتجاه ترسيخ مفهوم الثورة الديمقراطية الجديدة و نقترح أن نستعمل من هنا فصاعدا صيغة الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية للتمايز مع الأطروحات و المفاهيم غير الماوية .

5 – طريق الثورة الديمقراطية الجديدة : حرب الشعب أم الإنتفاضة المسلّحة :

إذا تجاوزنا الحديث عن التحريفيين الكلاسيكيين الذين يدعون إلى الإنتقال السلمي و بالتالى البرلمانية ،و الإصلاحيين من كلّ رهط الذين لا يسعون إلاّ إلى إصلاحات فى إطار دولة الإستعمار الجديد ، دولة الكمبرادور و الإقطاع المتحالفين مع الإمبريالية ، فإنّ ما يسترعي الإنتباه هنا هما تياران إثنان خطيران على البروليتاريا و قيادتها الشعب لتحقيق الثورة الديمقراطية الجديدة : التيّار الخوجي و التحريفية المسلّحة.

فى تنكّر لتاريخ الثورة الألبانية التى تحقّقت بفضل حرب الشعب و محاصرة الريف للمدينة (أنظروا "حرب التحرير فى ألبانيا " لمحمّد شيخو، دار الطليعة ، لبنان) و إنقلاب على المواقف المساندة و المتبنّية و المثمّنة للخطّ الماوي طوال الستينات و النصف الأوّل من السبعينات ، نظّم أنور خوجا ، أواخر السبعينات (فى "الإمبريالية و الثورة ") هجوما مسعورا لا مبدئيا و دغمائيا تحريفيا ضد الماوية و ممّا أدار له ظهره طريق الثورة فى المستعمرات و أشباه المستعمرات مدافعا من جهة عن "طريق أكتوبر" أي الإنتفاضة فى المدن الكبرى المتبوعة بحرب أهلية لإفتكاك السلطة و الزحف من المدن إلى الأرياف و مدينا من جهة أخرى طريق الثورة الصينية أي طريق حرب الشعب طويلة الأمد. وهو بذلك ينكر التاريخ الألباني و الصيني و الفتنامي و الكوري ... و الواقع العياني حينها حيث كانت قوى ماوية عديدة تواصل حرب الشعب التى إنطلقت فيها منذ سنوات ،فى تركيا و الهند و الفيليبين ...

و قد أثبت تاريخ الصراع الطبقي أنّ طريق حرب الشعب الماوية هو الطريق السليم و الصحيح الذى مكّن الشعب الصيني بقيادة بروليتارية ماوية من الظفر فى الثورة الديمقراطية الجديدة شأنه فى ذلك شأن الفيتنام لاحقا كما أثبت أنّ ما من بلد شهد مطلقا إنتصار ثورة الديمقراطية الجديدة التى شوّهها أنور خوجا مستعملا مفاهيم أخرى تحريفية برجوازية ،عن طريق الإنتفاضة فى المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات و ذلك لأنّه طريق خاطئ أصلا لا يميّز بين البلدان الرأسمالية-الإمبريالية و البلدان المستعمرة أو شبه المستعمرة شبه الإقطاعية و بالتالى لا يميّز

مثله مثل التروتسكيين بين تياري الثورة البروليتارية العالمية كما حدّدهما لينين. و أثبت تاريخ الصراع الطبقي للقرنين العشرين و الواحد و العشرين أنّ الخطّ الماوي هو الخطّ الصائب و القادر على تحقيق الظفر للبروليتاريا و الشعوب التوّاقة للتحرّر الديمقراطي الجديد و الإشتراكي و أنّ الخطوط الأخرى بشتّى تلويناتها فشلت فى ذلك و لا تستطيع بحكم خطإ خطّها إلاّ أن تفشل. و الأنكى هو أنّ الحركات و الأحزاب التى تجاهلت التعاليم الماركسية-اللينينية –الماوية بهذا الصدد تعرّضت لمذابح و نكسات لم تقدر على تجاوزها لعقود و يكفينا هنا التذكير بما حصل فى أندونيسيا و الشيلي كأمثلة لا أشهر منها.

و يشهد تاريخ الثورة الصينية انّ خطّ وانغ مينغ – الإنتفاضة فى المدن الكبرى و إفتكاك السلطة فيها أوّلا – لم يؤدّ إلى خسائر جسيمة فحسب بل أيضا إلى كوارث كادت تسحق الثورة سحقا لولا المسيرة الكبرى وإنتصار الخطّ الماوي فى قيادة الحزب منذ 1935 . و نجم عن الخطّ الماوي الصحيح تعزيز قوى الثورة و تمكّنها من الإنتصار على أعدائها عبر البلاد بأسرها (بإستثناء هونكونغ) سنة 1949 و مكّن الفيتنام و كوريا من إلحاق الهزيمة بالأمريكان(هذا دون الحديث عن حرب التحرير بألبانيا) .

و الأحزاب الماوية التى إنطلقت فى حرب الشعب الطويلة الأمد كطريق للثورة الديمقراطية الجديدة فى المستعمرات الجديدة و اشباه المستعمرات منذ الستينات – الهند و الفيليبين- و السبعينات- تركيا – و الثمانيات –البيرو- و التسعينات – النيبال- خوّل لها الخطّ الماوي الصحيح تعزيز قوّتها و التقدّم بالثورة غير أنّ إغتيال قادتها أو سجنهم و إرتكاب أخطاء و إنحرافات عن الجوهر الثوري الحقيقي للماوية جعلها فى فترات معيّنة تفقد الكثير من قوّتها و زخم الثورة . و مع ذلك تلك القوى التى لا تزال ماوية رئيسيا قولا و فعلا لم تسحق وهي مع تصحيحها للأخطاء تعود بقوّة لقيادة تقدّم الثورة مثلما هو الحال راهنا فى الفيليبين و الهند .

أمّا التحريفية المسلّحة فى نسختيها الغيفارية و الجبهوية / الإنتفاضية (على غرار الجبهة السندينية و خطّ فيالوبوس الذى أسقطه الثوريون الماويون داخل الحزب الشيوعي الفليبيني و خطوط مماثلة فى السلفادور و كولمبيا ...) فإنّها تسعى إلى تحقيق إنتصار يعدّونه سريعا و تقاسما للسلطة مع فئات من الطبقات الحاكمة لدولة الإستعمار الجديد بعيدا عن تحطيمها و تشييد دولة الديمقراطية الشعبية و تمهيد الطريق للثورة الإشتراكية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية.وهي إن لجأت إلى الكفاح المسلّح فكتكتيك مكمّل للبرلمانية أو لتفرض على فئات من حاكمة فى الدولة المفاوضات و الحلّ الذى ينعتونه بالسياسي و ليس كحرب شعب طويلة الأمد ماوية لإستنهاض الجماهير الشعبية و بناء سلطة حمراء و أجهزة دولة جديدة فى مناطق الإرتكاز بالريف للزحف شيئا فشيئا على المدن و الدولة القديمة و تحطيمها كلّيا جيشا و شرطة و بيروقراطية/ دواوينية كي تمارس الجماهير الشعبية و الطبقات الثورية بقيادة البروليتاريا ديمقراطية صلب الشعب و دكتاتورية ضد الأعداء من إمبرياليين و برجوازية كمبرادورية/ بيروقراطية وإقطاعيين؛ و تعبّد الدولة الجديدة الطريق للثورة الإشتراكية على كافة الأصعدة. و لأنّ المجال لا يسمح بالخوض فى تفاصيل خطّ من هذا القبيل، نحيلكم على دراسة وثائق ماوية منها "غيفارا ، دوبريه و التحريفية المسلّحة" لماويين أمريكان –متوفّر بموقع الفكر الممنوع بالأنجليزية- و وثيقة نشرها ماويون من الهند بمجلّة "عالم نربحه" عن الإقتصادوية المسلّحة ووثيقة أخرى نشرها ماويون من كولمبيا فى ذات المجلّة عن حرب الشعب و الإستراتيجيا الإنتفاضية فضلا عن وثائق حملة التصحيح للحزب الشيوعي الفليبيني.

ودون التوسّع أكثرفى الموضوع، من المهمّ هنا أن نشير إلى أنّ الطريق الإنتفاضى الخوجي يلقى صداه فى تونس عن وعي و تنظير مفضوح أو متستّر او عن غير وعي لدى مجموعات تطلق

على نفسها نعت الوطنية الديمقراطية إضافة إلى حزب العمّال الشيوعي التونسي الذى تبنّى الخوجية و دافع عنها صراحة منذ نشأته و هو عالميّا منخرط فى منظمة الأحزاب و المنظمات الخوجية . و فى هذه المدّة الأخيرة يبثّ أصحاب الطريق الإنتفاضي الخوجي و الإصلاحيين الإنتهازيين الآخرين الأوهام البرجوازية حول الإنتفاضة الشعبية فى تونس معتبرينها ثورة فى حين أنّ ما حقّقته و قد تحقّقه لا يتجاوز الإصلاحات البرجوازية (تنازلات إقتصادية و سياسية و إجتماعية طفيفة قابلة للإلتفاف عليها فى أقرب الفرص السامحة لأعداء الشعب بذلك) فرضتها النضالات الشعبية التى لا تمسّ من جوهر دولة الإستعمار الجديد و جيشها و نمط إنتاجها و الطبقات التى هي تمثّلها وتخدمها (2). و عربياً تجسّد الجبهات الفلسطينية ، و منها بالخصوص الديمقراطية و الشعبية النزعة التحريفية المسلّحة ، علما أنّ هتين الجبهتين كانتا تعدّان الإتحاد السوفياتي الإمبريالي الإشتراكي صديقا للشعوب و كانتا تنسّقان معه المواقف و هما لعقود تقدّمان التنازلات تلو التنازلات إلى درجة أضرّت بقضية التحرّر الوطني الديمقراطي الفلسطينية حتى لا نستعمل كلمات أخرى.

و بإختصار نستخلص من تاريخ الصراع الطبقي للبروليتاريا العالمية أنّ طريق حرب الشعب الطويلة الأمد الماوية هو الطريق الثوري الوحيد فى المستعمرات و أشباه المستعمرات للقضاء على الجبال الرواسي الثلاثة ،الإمبريالية و البرجواية الكمبرادورية/البيروقراطية و الإقطاع وهو طريق أهمّ ما يقتضيه محوريا و مركزيّا تأسيس و بناء حزب بروليتاري ثم جيش شعبي و جبهة متحدة كأسلحة سحرية ثلاثة قادرة على قيادة الشعب لإنجاز الثورة الديمقراطية الجديدة و بناء دولة جديدة ،دولة الطبقات الثورية بقيادة البروليتاريا تمهّد الطريق للثورة الإشتراكية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية المسترشدة بالماركسية-اللينينية-الماوية.

و من هذا تتجلّى حقيقة ساطعة على الثوّار البروليتاريين إدراكها ألا وهي" لا حركة ثورية دون ماوية ! ".

========================

<u>الهوامش :</u>

1- و كذلك الواقع طبقيا الإشتراكية إشتراكيات . و يكفى بهذا المضمار التذكير بعنوان كتاب إنجلز "الإشتراكية العلمية و الإشتراكية الطوباوية" من ناحية أولى ؛ و فقرات ماركس و إنجلز فى البيان الشيوعي :"الإشتراكية الرجعية : أ- الإشتراكية الإقطاعية ب- الإشتراكية البرجوازية الصغيرة ج- الإشتراكية الألمانية و الإشتراكية "الحقّة" ، الإشتراكية المحافظة أو البرجوازية ، من ناحية ثانية؛ و مقالات لينين عن الإشتراكية الديمقراطية و عن الإشتراكية الإمبريالية من ناحية ثالثة ؛ و كتابات الشيوعيين الماويين ، زمن ماو و بعده، عن الإمبريالية الإشتراكية و عن مفهوم الإشتراكية دون صراع طبقي الخوجية و عن الإشتراكية (دكتاتورية البروليتاريا و نمط إنتاج) كمرحلة إنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية مديدة تعجّ بالصراعات الطبقية و تتضمنّ كلا من إمكانية التقدّم نحو المجتمع الشيوعي العالمي و إمكانية إعادة تركيز الرأسمالية ...

2- مثال ذلك ما ورد فى جريدة "الشروق" التونسية – السبت 5 فيفري 2011 بالصفحة 15- على لسان شكري بلعيد الناطق الرسمي بإسم حركة "الوطنيون الديمقراطيون"، متحدّثاعن "طبيعة هذا النظام و طبيعة هذه المرحلة التاريخية" من:

- " نحن اليوم فى مرحلة إنتقال ثوري" و"نحن إزاء ثورة ذات طبيعة ديمقراطية" دون ربط هذه الديمقراطية بطبقة أو طبقات معينة مع إستعمال مصطلح ثورة عوض ما هو فى الواقع ،ماركسيا

إنتفاضة قد تؤدّى إلى إصلاحات ديمقراطية برجوازية شكلية أو تنازلات أخرى يمكن الإلتفاف عليها و سحبها لاحقا مثلما حصل فى الشيلي فى السبعينات و الفليبين فى الثمانينات...

- " مرحلة سياسية تتميّز بإزدواجية السلطة" التي لا نراها فى الواقع أصلا حيث لا تزال حكومة الجنرال المخلوع-حكومة الغنوشي القديمة الجديدة- مطعّمة بوجوه إصلاحية غير تجمّعية صراحة تحكم البلاد و الرئيس هو ذات رئيس مجلس النواب سابقا و المجلسين –النواب و المستشارين- لم يحلاّ بل رأيناهم بفضل الإعلام المرئي ينشطان بصفة عادية تقريبا و حيث مراكز القوّة و النفوذ فى السلطة و فى كافة نواحي الحياة السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و الإعلامية لا تزال تسيّر جوهريّا دواليب الحكم و حيث فى خيال بلعيد فقط توجد سلطة أخرى موازية لمؤسسات وسلطة دولة الإستعمار الجديد التي لم يطل عامودها الفقري (الجيش و شتى أصناف قوات القمع) إضعاف كمّي أو نوعي لا بل إنّ حتى فى المناطق التي هجرتها لفترات معيّنة قوات الأمن/ القمع تولّى السكّان بصفة مؤقتة و بتنسيق مع جيش دولة الإستعمار الجديد القيام باللازم من حماية الأشخاص و المؤسسات و منها مؤسسات حكومة الغنوّشي القديمة – الجديدة و لم يشكّلوا بالتالى سلطة موازية فما بالك بسلطة دولة جديدة موازية!

- و " بناء الجمهورية الديمقراطية الإجتماعية " كمفهوم غريب عن الماركسية نرجو من صاحبه شرحه فى لاحق الأيآم، هو و جملة المفاهيم الأخرى التي نجدها فى ذات الصفحة و الفقرة :" المجلس التأسيسي ... أداة الثورة...و أداتها أيضا فى بناء مؤسسات النظام الديمقراطي الجديد لتونس الحرّة." !!!

وبالمناسبة نسأل أصحاب حركة الوطنيين الديمقراطيين هل أنّ هذه و غيرها من المقولات إمتداد للأطروحات الوطنية الديمقراطية للثمانينات أم هي قطيعة معها؟ و إن كانت قطيعة كمّية أو نوعيةّ فكيف تمّت و لماذا و متى ؟ و نكون شاكرين سلفا لمن يقدّم لنا أجوبة على هذه الأسئلة تكون مدعومة طبعا بالوثائق التاريخية لهذه المجموعة.

========= شيوعي ماوي – تونس فى 15 فيفري2011==========
==

الملحق 2 : طليعة المستقبل ينبغى أن نكون!

(" لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية !" عدد 2 / أفريل 2011)

تطبيقا لشعار الوضوح النظري و السياسي مثلما سمّاه الرفاق الشيوعيون الماويون فى المغرب ، و بحثا عن صحّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي المحدّد فى كلّ شيئ كما قال ماو تسى تونغ ، نتناول فى هذا المقال مسألة محورية فى النضال النظري الذى نخوضه ونحثّ الرفاق الشيوعيين الماويين و غيرهم على خوضه ذلك أنّه لا حركة ثورية دون نظرية ثورية و سحبا لهذه المقولة الأخيرة اللينينية العظيمة لكونها تلخّص حقيقة موضوعية عميقة و تركّز دروسا إستخلصت من التجارب العملية للنضال البروليتاري عالميّا ، على واقعنا اليوم ، نرفع راية " لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية ".

و من حصيلة تقييمات لنا سابقة للوضع عالميّا و عربيّا و قطريا، لمسنا إنحرافات خطيرة عن إيديولوجيا البروليتاريا العالمية ما جعل ، ضمن أسباب عدّة أخرى ، ممارسات الحركة الشيوعية العربية تحيد عن الهدف الأسمى ، الشيوعية و جعل الكثير من مكوناتها تنخرط كقوى إصلاحية فى العمل فى إطار الحفاظ على السائد أو العمل فى إطار دول الإستعمار أو الإستعمار الجديد. و منذ الخمسينات ، بقدر ما كان الخطّ الإيديولوجي و السياسي قريبا من الماوية كانت المنظمات و المجموعات و الأحزاب الشيوعية ثورية و بقدر إبتعادها عن الماوية ، كانت تنهشها الإنتهازية اليمينية و اليسراوية . و هذا صحيح ، حسب رأينا ، بوجه خاص فى المغرب و تونس.

1- الشيوعية ، لا الإشتراكية العلمية :

وعادة ما تعرّف الجماعات - و نخصّص هنا الحديث أساسا عن" الوطنيين الديمقراطيين الماركسيين اللينينيين"، الوطد- التي تدعى الإنضواء تحت لواء الشيوعية نفسها- إيديولوجيا بأنّها تتبنّى الإشتراكية العلمية وهذا منها فى يوم الناس هذا خطأ نظري نشرحه فى الحال.

و مثلما سجّلنا بالعدد الأوّل من نشرية " لا حركة شيوعية دون ماوية" ،ضمن مقال " الديمقراطية البرجوازية القديمة ام الديمقراطية الجديدة الماوية " الإشتراكية إشتراكيات (و الشيوعية اليوم شيوعيات) :" و يكفى بهذا المضمار التذكير بعنوان كتاب إنجلز " الإشتراكية العلمية و الإشتراكية الطوباوية " من ناحية أولى ؛ و فقرات ماركس و إنجلز فى البيان الشيوعي :" الإشتراكية الرجعية : أ- الإشتراكية الإقطاعية ب- الإشتراكية البرجوازية الصغيرة ج- الإشتراكية الألمانية و الإشتراكية "الحقّة" ، الإشتراكية المحافظة أو البرجوازية ، من ناحية ثانية؛ و مقالات لينين عن الإشتراكية الديمقراطية و عن الإشتراكية الإمبريالية من ناحية ثالثة ؛ و كتابات الشيوعيين الماويين،زمن ماو و بعده، عن الإمبريالية الإشتراكية و عن مفهوم الإشتراكية دون صراع طبقي الخوجية و عن الإشتراكية (دكتاتورية البروليتاريا و نمط إنتاج) كمرحلة إنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية مديدة تعجّ بالصراعات الطبقية و تتضمنّ كلا من إمكانية التقدّم نحو المجتمع الشيوعي العالمي و إمكانية إعادة تركيز الرأسمالية ..."

قال إنجلز فى مستهلّ المقال الأوّل من كرّاسه المنشور سنة 1892 " الإشتراكية الطوباوية و الإشتراكية العلمية " : " إنّ الإشتراكية العصرية ، من حيث مضمونها هي فى المقام الأوّل ، نتيجة لملاحظة التناقضات الطبقية السائدة فى المجتمع العصري بين المالكين و غير المالكين ، بين الرأسماليين و العمّال الأجراء ، من جهة ،و لملاحظة الفوضى السائدة فى الإنتاج من جهة

أخرى. و لكن هذه الإشتراكية تبدو فى البدء ، من حيث شكلها النظري ، كأنّها مجرّد إستمرار ، أكثر تطوّرا و إنسجاما ، للمبادئ التي صاغها المنورون الفرنسيون الكبار فى القرن الثامن عشر" .

و عند نهاية هذا المقال الأوّل ، خلص إنجلز إلى أنّ " و لهذا لم تعد تبدو الإشتراكية الآن إكتشافا حققه من قبيل الصدفة هذا العقل العبقري أو ذاك ، بل صارت تبدو نتيجة ضرورية للنضال بين الطبقتين الناشئتين تاريخيّا، البروليتاريا والبرجوازية.

و لم تبق مهمتها إبتداع نظام إجتماعي على أكثر ما يمكن من الكمال ، بل غدت دراسة التطوّر الإقتصادي التاريخي الذى أدّى بالضرورة إلى نشوء هاتين الطبقتين و إلى نشوء الصراع بينهما ،و إيجاد الوسائل فى الوضع الإقتصادي الناجم عن هذا التطوّر ، من أجل تسوية النزاع. و لكن الإشتراكية السابقة لم تكن متلائمة مع هذا الفهم المادي للتاريخ مثلما كان فهم الماديين الفرنسيين للطبيعة غير متلائم مع الديالكتيك و مع علم الطبيعة الحديث."(الطبعة العربية ، دار التقدّم موسكو ،ص 38و 65) .

إذن نشأت الإشتراكية العصرية مع المجتمع العصري نتيجة صراع الطبقتين الناشئتين البروليتاريا و البرجوازية و بدأت أقرب إلى أفكار فلاسفة الأنوار - القرن 18- " و إكتشافا من قبيل الصدفة هذا العقل العبقري أو ذاك" لتغدو إشتراكية علمية بما هي تعتمد دراسة التطوّر الإقتصادي التاريخي ، و الفهم المادي التاريخي لذلك صارت تسمّى إشتراكية علمية بعدما كانت طوباوية.و عليه الإشتراكية كوحدة أضداد ،تناقض إنقسمت (بمعنى "إزدواج الواحد" اللينيني و الماوي) إلى طوباوية و علمية كمظهري هذا التناقض. و تمكّنت الإشتراكية العلمية من إلحاق الهزيمة بالإشتراكية الطوباوية و سادت عالميّا إلاّ أنّ هذه الإشتراكية العلمية ستشهد هي ذاتها صراعات داخلية ستفرز عديد التيارات أهمّها التيّار الماركسي الذى لن يفتأ يتطوّر هو ذاته و " ينقسم " (بمعنى إزدواج الواحد) فى مسيرة نموّه و حركة تطوّره إلى اليوم.

" حتى بين المذاهب المتعلّقة بنضال الطبقة العاملة و المنتشرة بخاصة فى صفوف البروليتاريا ، لم ترسّخ الماركسية مواقعها دفعة واحدة...و حين حلّت الماركسية محلّ النظريات المعادية لها ، و المتجانسة بعض التجانس، سعت الميول التي كانت تعبّر عنها هذه النظريات وراء سبل جديدة. فقد تغيّرت أشكال النضال و دوافعه، و لكن النضال مستمرّ ...بنضال التيار المعادي للماركسية فى قلب الماركسية... لقد منيت إشتراكية ما قبل الماركسية بالهزيمة ،وهي تواصل النضال، لا فى ميدانها الخاص ، بل فى ميدان الماركسية العام، بوصفها نزعة تحريفية."(لينين: المختارات فى ثلاثة مجلدات ، المجلد الأوّل، الجزء الأوّل، ص 86-87 ضمن نص " الماركسية و النزعة التحريفية").

و" أدّى النضال ضد المحرّفين إلى نهوض مثمر فى تفكير الإشتراكية العالمية النظري بقدر ما أدّى جدال إنجلس مع دوهرينغ قبل عشرين سنة." (مصدر سابق ، ص 89) و يخلص لينين إلى أنّ " نضال الماركسية الثورية الفكري ضد النزعة التحريفية ، فى أواخر القرن التاسع عشر، ليس سوى مقدّمة للمعارك الثورية الكبيرة التي ستخوضها البروليتاريا السائرة إلى الأمام ، نحو إنتصار قضيّتها التام، رغم كلّ تردّد العناصر البرجوازية الصغيرة و تخاذلها." (المصدر السابق ، ص 95).

و" التحريفية هي شكل من أشكال الإيديولوجية البرجوازية . إن المحرفين ينكرون الفرق بين الإشتراكية و الرأسمالية و الفرق بين دكتاتورية البروليتاريا و دكتاتورية البرجوازية . و الذى

يدعون إليه ليس بالخط الإشتراكي فى الواقع بل هو الخط الرأسمالي " (ماو تسي تونغ :خطاب فى المؤتمر الوطنى للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية ، مارس 1957).

و يبرز جليّا أن الإشتراكية التي إنكبّ إنجلز على الخوض فيها فى ذلك الكرّاس تحيل على الصراع الطبقي و المادية التاريخية و هذا لا يعدو أن يكون مكوّنا من مكوّنات الماركسية الثلاثة و هو ما أكّده لينين فى " مصادر الماركسية الثلاثة و أقسامها المكوّنة الثلاثة " حيث إعتبر مذهب ماركس " بوصفه التتمّة المباشرة الفورية لمذاهب أعظم ممثلى الفلسفة و الإقتصاد السياسي و الإشتراكية " (لاحظوا جيّدا أنّه لم يستعمل مصطلح "الإشتراكية العلمية " بل فقط " الإشتراكية" مثلما فعل فى كرّاس "كارل ماركس"). ف" مذهب ماركس "، الماركسية ،:" هو الوريث الشرعي لخير ما أبدعته الإنسانية فى القرن التاسع عشر: الفلسفة الألمانية ،و الإقتصاد السياسي الإجليزي،و الإشتراكية الفرنسية .و إنّنا ستناول مصادر الماركسية الثلاثة هذه ،التي هي فى الوقت نفسه أقسامها المكوّنة الثلاثة."(لينين ، المختارات فى ثلاثة مجلدات ، المجلد 1، الجزء 1، ص 79/78).

و من هنا لا يفعل من يريد أن يماثل بين الماركسية أو الشيوعية و " الإشتراكية العلمية" سوى العودة إلى ما قبل لينين و اللينينية و ليّ عنق الشيوعيين إلى الخلف، نحو القرن 19. و هذا بوضوح إنحراف نظري و كذلك تنازل نظري –سياسي يهدونه على طبق لأعداء الشيوعية مقدّمين أنفسهم بتعلّة عدم تنفير الجماهير ،على أنّ هدفهم الأسمى بالتالى هو الإشتراكية و ليس الشيوعية بطورها الأدنى الإشتراكية و طورها الأعلى الشيوعية ، وفق كتاب لينين " الدولة و الثورة" ، يتوصلون إليه عبر الصراع الطبقى الذى تعترف به و تقرّه حتى البرجوازية و الذى لا يحدّد بحدّ ذاته من هو الماركسي.

فى رسالة وجهها ماركس إلى فيدمير ،بتاريخ 5 مارس /أذار 1852 ،أعرب عن أنّه :

" فيما يخصنى ليس لى لا فضل أكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع المعاصر و لا فضل إكتشاف صراعها . فقد سبقنى بوقت طويل مؤرخون برجوازيون بسطوا التطوّر التاريخي لصراع الطبقات هذا ، و إقتصاديون برجوازيون بسطوا تركيب الطبقات الإقتصادي .و ما أعطيته من جديد يتلخّص فى إقامة البرهان على ما يأتى :

1"- إن وجود الطبقات لا يقترن إلاّ بمراحل تاريخية معينة من تطوّر الإنتاج 2- إنّ النضال الطبقي يفضى بالضرورة إلى ديكتاتورية البروليتاريا ، 3- إنّ هذه الديكتاتورية نفسها ليست غير الإنتقال إلى القضاء على كلّ الطبقات و إلى المجتمع الخالى من الطبقات..."و معلّقا على ذلك ، كتب لينين: " ...الأمر الرئيسي فى تعاليم ماركس هو النضال الطبقي هذا ما يقال و ما يكتب بكثرة كثيرة. بيد أنّ هذا غير صحيح. و عن عدم الصحة هذا تنتج ،الواحد بعد الآخر ، التشويهات الإنتهازية للماركسية و ينتج تزويرها بحيث تصبح مقبولة للبرجوازية. ذلك لأنّ التعاليم بشأن النضال الطبقي لم توضع من قبل ماركس، بل من قبل البرجوازية قبل ماركس ،و هي بوجه عام مقبولة للبرجوازية. و من لا يعترف بغير نضال الطبقات ليس بماركسي بعد ،و قد يظهر أنّه لم يخرج بعد عن نطاق التفكير البرجوازي و السياسة البرجوازية. إنّ حصر الماركسية فى التعاليم بشأن النضال الطبقي يعنى بتر الماركسية و تشويهها و قصرها على ما تقبله البرجوازية. ليس بماركسي غير الذى يعمّم إعترافه بالنضال الطبقي على الإعتراف بديكتاتورية البروليتاريا. و هذا ما يميّز بصورة جوهرية الماركسي عن البرجوازي الصغير (وحتى الكبير) العادي." (لينين ،" الدولة و الثورة " ص 35-36 ،الطبعة العربية، دار التقدّم موسكو).

و نستشفّ ممّا تقدّم أنّ دعاة " الإشتراكية العلمية" بكلمات لينين يشوّهون الماركسية بإنتهازية و يزوّرونها و يبترونها لتصبح مقبولة للبرجوازية . و يتغافلون عن ما يميّز " بصورة جوهرية" الماركسي عن غيره. و لئن عرّف لينين حينها الماركسي بمن" يعمّم إعترافه بالنضال الطبقي على الإعتراف بديكتاتورية البروليتاريا" فإنّ الشيوعيين الثوريين الماويين ، وبعد مراكمة تجارب إشتراكية بقيادة أحزاب شيوعية فى الإتحاد السوفياتي و الصين خاصة ، يضيفون أنّ الماركسي صار من يعترف بتواصل وجود الطبقات و التناقضات الطبقية و التناحرالطبقي فى ظلّ الإشتراكية و بضرورة مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا(نظرية مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا كما صاغها ماو و طبّقها فى خضمّ الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى.).

وننهى هذه النقطة بالتأكيد على أنّ إيديولوجيتنا هي الشيوعية و ليست الإشتراكية العلمية و الشيوعية ، قال ماوتسى تونغ فى " حول الديمقراطية الجديدة "(1940 ، م 2) " هي نظام كامل للإيديولوجيا البروليتاري وهي فى نفس الوقت نظام إجتماعي جديد. و هذا النظام الإيديولوجي و الإجتماعي يختلف عن أي نظام إيديولوجي و إجتماعي آخر ، وهو أكثر النظم كمالا و تقدّمية و ثورية و منطقية فى التاريخ الإنساني."

2- الشيوعية ، لا البلشفية :

و فى نفس السياق ، فى يومنا هذا ، يتجه البعض من مدعى تبنّى الشيوعية إلى إعتبار أنفسهم تيّارا بلشفيّا و هذا فى حدّ ذاته إنحراف خطير . فالبلشفية وهي تعنى الأغلبية نتيجة إنقسام – إلى أغلبية و أقلّية- داخل الحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي إبّان مؤتمر (راجعوا لينين : " خطوة إلى الأمام ،خطوتان على الوراء") صارت ميزة الأغلبية التي ساندت أطروحات لينين حينها تفرّقهم عن المناشفة ، الأقليّة.و بالتالى كانت البلشفية نقيضا للمنشفية فمثلما مرّ بنا بأنّ الإشتراكية العلمية كانت نقيضا للإشتراكية الطوباوية .

و ظلّ إستعمال البلشفية كمصطلح مفيد فى علاقة بثورة أكتوبر الإشتراكية التي قادها البلاشفة إلى درجة انّ هناك من ذهب للحديث عن الثورة البلشفية عوضا عن الثورة الإشتراكية. و بقيت صفة البلشفية ملتصقة لسنوات بإسم الحزب الشيوعي السوفياتي إلاّ أنّها لم تكن من صلب إسمه الذى كان " الشيوعي" بل ملحقا به و أحزاب الأممية الشيوعية ، الأممية الثالثة ،سيرا على خطى لينين و منهجه أطلقت على نفسها أسماء تعكس هدفها الأسمى أي الشيوعية فكانت تسمىّ الحزب الشيوعي لبلد ما ، كالحزب الشيوعي الفرنسي أو الحزب الشيوعي الصيني إلخ و لم تردف الإسم بالبلشفية. هذا من ناحية ،و من ناحية ثانية ، تعلّقت البلشفية بالتجربة الروسية و تاريخيّا كانت نهاية الذين حاولوا إستعمال صفة البلشفية للمزايدة بالثورية خارج الإتحاد السوفياتي نهاية تعيسة. و نضرب على ذلك مثال الصينيين الذين لقّبوا أنفسهم ب"البلاشفة مئة بالمئة " و دفعوا الحزب الشيوعي الصيني إلى إستنساخ الطريق الروسي و تركيز النشاط الحزبي فى المدن لتحريرها أوّلا كما حصل أثناء ثورة أكتوبر ، فتسبّت دغمائيتهم هذه فى تكبّد الثورة جيشا و حزبا و جماهيرا أفدح الخسائر و لولا نضال ماو تسى تونغ ضدّ خطّهم الخاطئ هذا الذى لم يفقه شيئا من دعوة لينين لأحزاب المستعمرات و أشباه المستعمرات للبحث عن طرق جديدة للثورة (أنظروا العدد الأوّل من " لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية" ، مقال " الديمقراطية القديمة البرجوازية ام الديمقراطية الجديدة الماوية ") .

و قد نقد ستالين ذلك الخطإ الدغمائي فى " ملاحظات حول المواضيع الراهنة " قائلا :" " رغم تقدّم حزبنا إيديولوجيّا ، نجد فيه بعدُ ، لسوء الحظّ، ما يدعون " قادة " يعتقدون بصراحة بأنّ

الثورة الصينية يمكن قيادتها ، إن أمكن القول ، عبر البرقيّات ووفق المبادئ العامّة للكومنترن، دون الأخذ بعين النظر للخصوصيّات القومية للصين ، لإقتصادها ، لنظامها السياسي ، لثقافتها ، لعاداتها ، لتقاليدها . ما يميّز ، بالفعل ، هؤلاء "القادة" عن القادة الحقيقيين ،هو أنّه لديهم دائما فى جعبتهم صيغتان أو ثلاث،"تناسب " كافة البلدان وهي " ضرورية " فى كافة الظروف .بالنسبة إليهم ، لا وجود للحاجة إلى أن نأخذ بعين النظر الخصوصيّات القومية و المميّزات القومية الخاصّة لكلّ بلد ...هناك إذن محاولات وضع فى قوالب جامدة قيادة كافة البلدان..." (و كلام ستالين هذا ينطبق على جميع الخوجيين المفضوحين منهم و المتستّرين).

و عندما تمكّن الماويون من إلحاق الهزيمة بالخطّ الإيديولوجي و السياسي الدغمائي أواسط ثلاثينات القرن الماضى تمّكنت الثورة الديمقراطية الجديدة الصينية من إعادة بناء قوتها شيئا فشيئا بخطى راسخة عبر إستراتيجيا حرب الشعب الطويلة الأمد و محاصرة الريف للمدن و كان لها الظفر عبر البلاد بأسرها سنة 1949 ممهّدة الطريق للثورة الإشتراكية فالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى (1966-1976) كطريقة ووسيلة جديدة لمواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا و كلّها تعدّ من مساهمات ماو تسى تونغ فى إيجاد طرق جديدة للثورة و فى تطوير علم الثورة البروليتارية العالمية. (للمزيد حول " البلاشفة مئة بالمئة" : " فى الردّ على الهجوم الدغمائي التحريفي لأنور خوجا " ج . وورنير ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري الأمريكي ، بالأنجليزية و الفرنسية).

و نذكّر لمجرّد التذكير و ليس حجّة نعتمدها بأنّ مجموعة البلاشفة الجدد الكندية التي أثّرت فى هذا أو ذاك من عناصر " الوطد" عبر أعداد من مجلّة " ديماركاسيون" إنحلت منذ عقود الآن. كما نشير إلى أنّ عددا من البلاشفة الذين ساندوا لينين فى ذاك المؤتمر قد تحوّلوا فى السنوات اللاحقة إلى المعارضة و شكّلوا خطوطا تحريفية حتى . و كتابات لينين و ستالين تسجّل ذلك. و من ثمّة إستعمال كلمة بلاشفة بات اليوم ، فى القرن الواحد و العشرين لا يفيد بالضرورة الثورية و لا يحيل على إيديولوجيا ثورية اليوم .

و حينما إنكبّ ستالين على تلخيص تجربة الثورة فى روسيا و الإتحاد السوفياتي ، أبرز تطوير لينين للماركسية و ما أصبح يسمّى كمصطلح علمي دقيق اللينينية (لا البلشفية) كمرحلة جديدة ،ثانية و أرقى فى علم الثورة البروليتارية العالمية و مذّاك غدت الأحزاب الشيوعية الحقيقية تتبنّى الماركسية-اللينينية و تلاشى أكثر فأكثر إستعمال وصف البلشفي حتى فى الإتحاد السوفياتي.

و الآن و قد عمد البعض إلى إحياء هذا المصطلح غير الدقيق علميّا اليوم على أنّه نعت مميّز يطلق على الثوريين ، فإنّه يجدر بنا بعد إجلاء الأمر أن نقول لهم لا للنكوصية ، المصطلح الأدقّ عالميّا هو اللينينية . و لتقريب الصورة وليس للشتم أو التشويه ، صنيعكم هذا يشبه صنيع السلفيين المتزمّتين فى تمسكهم بتلابيب النصوص و ظواهرها و الإستماتة فى الدفاع عنها.وليعلم هؤلاء و غيرهم أنّ الرابطة التروتسكية بفرنسا التابعة للرابطة الشيوعية العالمية – الأممية الرابعة تصدر منذ سنوات نشرية بعنوان " البلشفي" روّج آخر عدد منها وهو العدد 195 فى مارس 2011.

إنّ الماركسية علم و العلم يتطوّر و يتعمّق بالضرورة و إنّكم بهكذا إنحراف تسيئون لستالين ذاته و أنتم تدّعون الدفاع عنه – دفاع دغمائيّ يستبعد نقد الأخطاء- بتشكيكهم فى اللينينية كمفهوم علمي دقيق. وفى الوقت نفسه ندعوكم رفاقيّا إلى جادّة الصواب و إلى عدم إيقاف تطوّر الماركسية عند ستالين و التجربة السوفياتية فالبروليتاريا العالمية راكمت قدرا هاما من التجارب

زمن ستالين و بعده لا سيما التجربة الصينية الرائدة و غيرها و تجارب ثريّة منذ الستينات إلى يومنا هذا فى عديد البلدان وهي بالتالى تستدعى النقاش الجاد و الدراسة و التلخيص لتطوير الماركسية اللينينية التي أضحت حسب الشيوعيين الماويين الماركسية-اللينينية –الماوية على أنّ الماوية هي المرحلة الثالثة ، الجديدة و الأرقى. و لن تكفّ الماركسية-اللينينية-الماوية ذاتها عن التطوّر و إلاّ ستموت .

وعلى الشيوعيين الماويين أن يكونوا واعين تمام الوعي قبل غيرهم بفحوى قول ماو تسى تونغ : " إنّ الجمود العقائدي و التحريفية كلاهما يتناقضان مع الماركسية. و الماركسية لا بدّ ان تتقدّم ، و لا بدّ ان تتطوّر مع تطوّر التطبيق العملي و لا يمكنها ان تكفّ عن التقدّم . فإذا توقّفت عن التقدّم و ظلّت كما هي فى مكانها جامدة لا تتطوّر فقدت حياتها، إلاّ أن المبادئ الأساسية للماركسية لا يجوز أن تنقض أبدا و إن نقضت فسترتكب أخطاء. إن النظر إلى الماركسية من وجهة النظر الميتافيزيقية و إعتبارها شيئا جامدا ، هو جمود عقائدي ، بينما إنكار المبادئ الأساسية للماركسية و إنكار حقيقتها العامة هو تحريفية. و التحريفية شكل من أشكال الإيديولوجية البرجوازية " . ("خطاب فى المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية " 12 مارس/ أذار 1957).

<u>طليعة المستقبل لتحرير الإنسانية لا محافظون على الماضى:</u>

تتكرّر فى كتابات " الوطد" و أقوالهم أنّهم المدافعون عن " الإرث الثوري" للبروليتاريا و بذلك يذكّروننا مباشرة بأنور خوجا و دفاعه عن " نقاوة " الماركسية. نشرح فنقول إنّ الدفاع عن ما يسمّيه الشيوعيون الماويون علم الثورة البروليتارية العالمية مظهر واحد من مظهري وحدة الأضداد أو التناقض بمعنى أنّ الإيديولوجيا الشيوعية تحتاج إلى مظهر الدفاع عن الصائب فيها و ما هو صحيح و سليم و لا يتضارب مع الهدف الأسمى ، الشيوعية كما تحتاج أيضا إلى نقد الأخطاء و الهنات فى الممارسة العملية الماضية و تصحيحها و تجاوزها .و بالتالى تطوير الماركسية و تطوير علم الثورة البروليتارية العالمية يحصل أيضا إنطلاقا من المكوّنات النظرية الصائبة و الصحيحة الملخّصة للتجارب السابقة و كذلك مع تطوّر الممارسة العملية المستجدّة بمكوّناتها الثلاثة وفق ماو تسى تونغ : الصراع الطبقي و الصراع من أجل الإنتاج و الصراع من أجل العلم.

و بإعتبار الدفاع و التطوير مظهري تناقض يكون الدفاع فى فترة معينة هو الرئيسي و التطوير ثانوي و فى فترة أخرى يكون التطوير هو الرئيسي.و غالبا ما كان ، تاريخيّا الدفاع عن المبادئ الأساسية للشيوعية الثورية مدخلا و قاعدة لتطوير علم الثورة البروليتارية هذا. و يظلّ الأساسي و الجوهري فى الماركسية هو التطوّر و إن" توقّفت عن التقدّم و ظلّت كما هي فى مكانها جامدة لا تتطوّر فقدت حياتها" ، ماتت و تجمّدت.

بيد أنّ " الوطد" لا يتحدّثون إلاّ عن مظهر الدفاع و يتجاهلون مظهر التطوير مثلما فعل أنور خوجا من قبلهم فسقطوا مثله فى الدغمائية و تبعاتها الهدّامة. و بإيقافهم كخوجيين متستّرين لتطوّر الماركسية عند ستالين ،أنكروا التجارب اللاحقة التي راكمتها الثورة البروليتارية العالمية فى بلدان أخرى ،غير الإتحاد السوفياتي ، زمن ستالين و بعده. و بذلك أخفقواو يخفقون أيما إخفاق فى فهم إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي و البلدان الإشتراكية سابقا ، على غرار الصين ؛و لا يفهمون تواصل وجود الطبقات و التناقضات الطبقية و الصراع الطبقي فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا ،و النظرية التي طوّرها ماو تسى تونغ بهذا المضمار و الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى كثورة داخل الثورة ،إنطلاقا من تطوّر التطبيق العملي لعقود وفى مجالات

متنوّعة. و إن تطرّقوا إلى تجارب فتنام و كوريا فهم يتعاطون معها بأسلوب إنتقائي بموجبه يذكرون عموميّات أو ما يرونه صالحا – براغماتيّا- و يغيّبون ما يحلو لهم تغييبه لعدم إنسجامه ورؤاهم المبنيّة على الخوجية و الأفكار المسبّقة و التهم الزائفة الموجّهة للماوية. وبالنتيجة من المستبعد – على حدّ علمنا في الوقت الحالي- ان تكون لديهم بحوث و دراسات للتجارب الفتنامية و الكورية و الألبانية ... و كيفية تحوّل تلك الدول من دول تقودها البروليتاريا إلى دول برجوازية و من الإشتراكية إلى الرأسمالية.

وفى حين لم يتخطّى هؤلاء الخوجيين المتستّرين مظهر الدفاع الملازم لهم لوحده – مع غياب التطوير- دافع الشيوعيون الماويون منذ زمن اولا عن ستالين و تجارب البروليتاريا العالمية و قيموها علميّا و من منظور بروليتاري و بمنهج مادي جدلي و مادي تاريخي و نقدوا الأخطاء و إستخلصوا الدروس و العبر و طفقوا مذّاك يواصلون المسار و يطوّرون علم الثورة البروليتارية العالمية و يمضون بالإشتراكية إلى أبعد نقطة ممكنة فى إتجاه الشيوعية ما أفرز فعلا و على قاعدة التطوّر العملي ،مرحلة جديدة ،ثالثة و أرقى فى هذا العلم هي الماوية (الماركسية-اللينينية –الماوية) وهي مرحلة ينكرها كلّيا التحريفيون المعاصرون و الخوجيون الدغماتحريفيون المفضوحين منهم و المتستّرين.

و لم يثن الماويين دفاعهم عن الماويّة عن مواصلة مشوار إستيعابها و رفع رايتها و تطبيقها و تطويرها. و تنهض تجارب ماويّة عديدة فى البلدان الإمبريالية و فى أشباه المستعمرات ، منذ الستينات و السبعينات دليلا على ما نقول. و اليوم يخاض نقاش و صراع حادين أحيانا حول التجارب البيروفية و النيبالية و الهندية فى أشباه مستعمرات ،و حول تجربة الحزب الشيوعي الثوري الأمريكي فى قلب الغول الإمبريالي، و كذلك تدرس و تناقش و تطوّر عمليّا و نظريّا تجارب الماويين فى تركيا و الفيليبين و سيريلانكا ...و بالتأكيد سيفرز الصراع المبدئي جملة من الأفكار الجديدة المطوّرة للماوية ليس حاليّا كمرحلة جديدة ،رابعة و إنّما كجملة أفكار مستخلصة من التطبيق العملي للعقود الأخيرة تنير الطريق لقيادة الموجة الجديدة من الثورة البروليتارية العالمية و على الشيوعيين الثوريين عبر العالم الإطلاع على هذه الصراعات و المساهمة فيها لمزيد توضيح الخطّ الإيديولوجي و السياسي و النضال بما هم أمميون بروليتاريون كجزء لا يتجزّأ من الثورة البروليتارية العالمية.

و نعرّج بالمناسبة بإقتضاب ، فى ختام هذه النقطة ، على بعض أفكار الناطق الرسمي بإسم حركة الوطنيين الديمقراطيين الواردة فى ردّه منذ سنواتالآن على حزب العمل الوطني الديمقراطي – و لا ندرى هل هو متمسّك بها أم لا لكن نتناولها لإرتباطها بموضوع الحال و إنتشارها إلى حدود فى صفوف بعض المناضلين و المناضلات الذين يدعون تبنّى الشيوعية. فى ذلك الردّ عبّر عن كون فشل تجارب الإشتراكية،حسب رأيه، (بالنسبة للشيوعيين الماويين هو هزيمة مؤقتة للبروليتاريا العالمية أمام البرجوازية، هزيمة للموجة الأولى من الثورة البروليتارية العالمية) يعزى جوهريّا إلى عدم إحترام الشرعية الإنتخابية و عدم تطبيق طريقة إنتخاب المسؤولين مثلما حصل فى كمونة باريس.

هكذا هو الآخر يعود بنا إلى ما قبل التجربتين السوفياتية و الصينية. و فضلا عن هذه النظرة النكوصية التي تجعل من تجربة كمونة باريس التي عمّرت أشهرا قليلة معدودة لا غير دون قيادة حزب بروليتاري حقّا أفضل من تجارب عقود من الإشتراكية بقيادة أحزاب شيوعية و فضلا عن جهله أو تجاهله أنّ فى الصين الماوية كان المسؤولون ، لا سيما خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، يخضعون لإنتخاب - لا التعيين- وليس من قبل أعضاء الحزب الشيوعي فحسب و إنّما من قبل الجماهير الشعبية أيضا و قد مورس حقّا و فعلا حقّ حسب الثقة منهم، فإنّ ذلك لم يمنع

البرجوازية الجديدة أساسا و القديمة من الإنقلاب على الثورة و إعادة تركيز الرأسمالية. و منطق شكري بلعيد الشكلي البرجوازي المعتمد يضرب الشيوعية فى الصميم – نفس المنطق الذى قاده إلى إعتبار ما حصل فى تونس و ما سيحصل من إنتخابات مجلس تأسيسي " ثورة ديمقراطية ". فهو يتجاهل الصراع الطبقي فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا و يحجب، خدمة للأوهام البرجوازية التي يبثّها، أهمّ معيار في تحديد التوجّه الصحيح للدولة الإشتراكية ومقاومة إعادة تركيز الرأسمالية و نقصد الخطّ الإيديولوجي والسياسي : هل أنّ السياسات المتوخاة و التوجهات المتبعة تسعى لممارسة الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية و معالجة التناقضات الموروثة عن المجتمع الرأسمالي ، بين العمل اليدوي و العمل الفكري و بين الريف و المدينة و بين العمّال و الفلاحين ... و التضييق على " الحقّ البرجوازي" قدر الإمكان ...أم هي تعمّق الإختلافات و التناقضات و توسعها؟ هل تعمّق و توسّع ممارسة الجماهير للسلطة و التملّك الفعلي لوسائل الإنتاج و التوجه صوب الشيوعية أم العكس؟ هل تجري عمليّات إستعادة أجزاء السلطة المسلوبة من قبل " البرجوازية الجديدة " فى المصانع و المزارع و الدولة و الحزب ...أم العكس؟ هل يتبع الماسكون بالسلطة فى الحزب و الدولة الطريق الإشتراكي أم العكس الطريق الرأسمالي؟

و لن ندخل فى التفاصيل هنا- قد نعود للموضوع فى فرصة قادمة- و إنّما بعجالة نطرح سؤالا و نردّ على ملاحظة متوقّعة. و السؤال هو ، فى النموذج الذى يقترحه الذى صار ناطقا بإسم الحركة الوطنية الديمقراطية ، لو أخطأت الجماهير أو ضغط عليها أو ضلّلت لأسباب شتّى وإنتخبت أتباع الطريق الرأسمالي للمراكز العليا فى الحزب و الدولة ، هل سيتمّ القبول بهذه " الشرعية الإنتخابية " التي تحوّل الدولة و الحزب البروليتاريين إلى نقيضهما دولة و حزب برجوازيين؟ هل تقبل البروليتاريا بإعادة تركيز الرأسمالية ؟ ... و الملاحظة المتوقّعة هي أنّ الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى هي الأخرى لم تمنع التحريفيين –البرجوازية الجديدة من إعادة تركيز الرأسمالية فى الصين.و الردّ هو أنّها كوسيلة و طريقة جديدة ضمن نظرية مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا الماوية بالفعل حالت دون صعود التحريفيين إلى السلطة لسنوات عشر ، إلى وفاة ماو تسى تونغ و الإنقلاب التحريفي سنة 1976. هذا من ناحية و من ناحية ثانية وفّرت قدرا هاما من " لأشياء الجديدة" والتطبيق العملي الذى لا زلنا نستفيد منه عالميّا إضافة إلى كونها مضت بالثورة إلى ابعد حدّ و إلى أعلى قمّة بلغتها الإنسانية فى السير صوب الشيوعية إلخ.

و أفضل مثال حيّ عن ما يؤدّي إليه التيّار الدغمائي التحريفي النكوصي إذا ما إتبع منطقه إذا ما إتبع منطقه إلى نهايته هو المسار الذى إتبعه محمّد الكيلاني الذى صار منذ سنوات قائدا " للحزب الإشتراكي اليساري" حيث إنطلق فى مرحلة أولى وهو ضمن حزب العمّال الشيوعي التونسي الخوجي و أحد قادته البارزين من معارضة ماو بإستعمال ستالين ضدّه فى " الماوية معادية للشيوعية" وفى مرحلة ثانية وجّه نقدا لاذعا لما أسماه " اللغة الخشبية" لحزب العمّال ثمّ إنشق عليه ليكوّن حلقة الشيوعيين الديمقراطيين فالحزب الإشتراكي اليساري و إنتهى إلى إعتبار التجربة الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي رأسمالية لا غير . و هكذا أسقط الماوية فاللينينية فالماركسية ليصبح من دعاة تبنّى الفكر الإنساني النيّر و التقدّمي . و أمّا حزب العمل الوطني الديمقراطي بعد أن مهّد له الطريق محمّد الكيلاني فقد تخلّى ، لشرعويّته، عن الماوية و اللينينية و الماركسية دفعة واحدة واضعا رموزا تحريفية و رموزا شيوعية ثورية فى نفس السلّة و مدّعيا تبنى بشكل عام الفكر الإشتراكي التقدّمي لا غير.

خاتمة :

مجمل القول ، يترتّب علينا أن نناضل بلا هوادة ضد تيّار خطير داخل الحركة الشيوعية فى القطر ، تيّار دغمائي تحريفي نكوصي عوض أن يمسك بقمّة تطوّر علم الثورة البروليتارية العالمية (الماوية) يدير ظهره له بمثالية و يلوى عنقه و ينهل من تجارب سابقة لينينة عند البعض و سابقة عن اللينينية عند الآخرين . بالتأكيد لا يتطلع هؤلاء لأن يكونوا طليعة للمستقبل و إنّما هم نكوصيون بإسم المحافظة على التراث الثوري أو الشرعية الإنتخابية و المنطق الشكلي. على الشيوعيين الثوريين ، الماويين الحقيقيين أن يكونوا لا أقلّ من طليعة للمستقبل إذا ما راموا لأنفسهم قيادة الموجة الجديدة من الثورة البروليتارية العالمية و المضيّ بها أبعد ما أمكن صوب الشيوعية على النطاق العالمي.

" و سيكون واجب القادة على وجه الخصوص أن يثقفوا أنفسهم أكثر فأكثر فى جميع المسائل النظرية و أن يتخلصوا أكثر فأكثر من تأثير العبارات التقليدية المستعارة من المفهوم القديم عن العالم و أن يأخذوا أبدا بعين الاعتبار أن الاشتراكية ، مذ غدت علما ، تتطلب أن تعامل كما يعامل العلم ، أي تتطلب أن تدرس .و الوعي الذى يكتسب بهذا الشكل و يزداد وضوحا ، ينبغى أن ينشر بين جماهير العمال بهمة مضاعفة أبدا..."(انجلز ، ذكره لينين فى " ما العمل؟ ") .

===

الملحق 3 : رسالة مفتوحة إلى أنصار حركة الوطنيين الديمقراطيين : أنبذوا التحريفية و عانقوا علم الثورة البروليتارية العالمية !

("لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية ! " عدد 6/ جانفي 2012)

" إنّ النظر إلى الماركسية من وجهة النظر الميتافيزيقية و إعتبارها شيئا جامدا، هو جمود عقائدي ، بينما إنكار المبادئ الأساسية للماركسية و إنكار حقيقتها العامة هو تحريفية. و التحريفية هي شكل من أشكال الإيديولوجيا البرجوازية. إنّ المحرّفين ينكرون الفرق بين الإشتراكية و الرأسمالية و الفرق بين دكتاتورية البروليتاريا و دكتاتورية البرجوازية . و الذى يدعون إليه ليس بالخط الإشتراكي فى الواقع بل هو الخطّ الرأسمالي" (ماو تسى تونغ ، "خطاب فى المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية " ، 12 مارس – آذار 1957).

جاءت ولادة "اليسار" الماركسي- اللينيني فى تونس (وغيرها من بلدان العالم) نتيجة الصراع العالمي بين التحريفية المعاصرة ،السوفياتية منها بالأساس و الفرنسية و الإيطالية و اليوغسلافية... من جهة و الأحزاب و المنظمات الماركسية-اللينينية و على رأسها الحزب الشيوعي الصيني منذ الخمسينات و خاصة خلال الستينات. و جاء الطرح الوطني الديمقراطي بطبيعة المجتمع المستعمر شبه الإقطاعي و الحاجة إلى ثورة وطنية ديمقراطية بقيادة بروليتارية تمهّد الطريق للثورة الإشتراكية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية تكريسا للمقولات الماركسية- اللينينية الواردة فى " إقتراح حول الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية " الذى صاغه الحزب الشيوعي الصيني و نشره عبر العالم، و نقيضا للأطروحات التروتسكية و التروتسكية الجديدة القائمة على إعتبار المجتمع رأسماليا و إعتبار الثورة المطلوبة " ثورة إشتراكية ". هذه من الحقائق الموضوعية التى لا ينكرها إلاّ جاهل بالتاريخ المعاصر أو معيد لقراءته من وجهة نظر مثالية ذاتية.

و تعود جذور "حركة الوطنيين الديمقراطيين" إلى المجموعات التى دافعت عن الطرح الوطني الديمقراطي الذي برز منذ بداية السبعينات فى تناقض مع الطرح التروتسكي و التروتسكي الجديد فى تونس.

1- من مجموعة ثورية رئيسيا إلى مجموعة تحريفية إصلاحية :

" إنّ طبيعة الشيء يقررها فى الدرجة الأولى الطرف الرئيسي للتناقض، الذى يحتلّ مركز السيطرة. لكن هذا الوضع ليس ثابتا، إذ أن الطرف ارئيسي و غير الرئيسي لتناقض ما يتحوّل احدهما إلى الآخر، فتتبدّل طبيعة الشيء تبعا لذلك."(ماوتسي تونغ " فى التناقض" ، صفحة 483 من "مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة "، المجلّد الأول).

و بما أننا لا ننوى فى هذا المقال المقتضب الدخول فى التفاصيل التاريخية لنشأة هذه المجموعة و علاقاتها بالمجموعات الوطنية الديمقراطية الأخرى و ما تتقاسمه معها و ما تختلف فيه ، نكتفى بقول إنّ الإسم المشترك لهذه المجموعات يشير إلى تأكيدها على طبيعة الثورة المطلوبة

بروليتاريا فى المستعمرات و أشباه المستعمرات. (سبق و أن ناقشنا التسمية عند نقدنا لمشروع برنامج الوطنيين الديمقراطيين الماركسيين اللينينيين).
و لئن أمكننا أن نعدّ المجموعة و غيرها من المجموعات الوطنية الديمقراطية رئيسيّا ثورية فى بداياتها فلأنّها كانت تتبنّى و تناضل عمليّا من أجل التغيير الثوري و من أجل خطّ إيديولوجي و سياسي ثوري رئيسيّا. و عندما نقول رئيسيّا فهذا يعنى فى مظهرها أو طرفها الرئيسي الذى لا ينفى وجود الثانوي غير الثوري ضمن خطّ هذه المجموعة و غيرها من المجموعات الوطنية الديمقراطية و نشاطها حينذاك.

و من ثمّة ساهمت هذه المجموعات فى دفع حركة الصراع الطبقي فى القطر خاصّة على الجبهة الطلاّبية و فى نشر الأطروحات الوطنية الديمقراطية داخل الجامعة أساسا. بيد أنّها ككلّ وحدة أضداد/ تناقض و كلّ ظاهرة و سيرورة شهدت فى مسارها صراعات بين الرئيسي و الثانوي ، بين الحاجة إلى تعميق القطيعة مع التحريفية بكافة أرهاطها و تعميق الخطّ الثوري إيديولوجيا و سياسيّا و تنظيميّا نحو المساهمة فى إيجاد الحزب البروليتاري الثوري كحلقة ومهمّة مركزيين لقيادة النضال من أجل إنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية عبر حرب الشعب من ناحية و الإنعزالية و الإنتهازية اليمينية من ناحية ثانية. و قد عرفت شأنها فى ذلك شأن غالبية المجموعات الوطنية الديمقراطية الأخرى التى لم تستطع أن تقطع جذريّا مع التحريفية و أن تتبنّى علم الثورة البروليتارية العالمية نظريّا و أن تطبّقه عمليّا و تتقدّم صوب إنجاز المهمّة المركزية المتمثّلة فى إيجاد الحزب الشيوعي الثوري ، عرفت تحوّلا كمّيا فنوعيّا فى طابعها فصارت رئيسيّا مجموعة إصلاحية منذ نهاية الثمانينات.

2- لا وطنية و لا ديمقراطية ، أطروحات تحريفية إصلاحية :

و اليوم ، خلال السنة و نيفّ تقريبا ، أكثر من أي زمن مضى، زادت الطبيعة التحريفية الإصلاحية تعمّقا و غدت أوضح حتى بالنسبة للذين لهم أدنى إطلاع على الماركسية-اللينينية حتى لا نقول الماركسية-اللينينية –الماوية وهو التعبير الأصحّ عن علم الثورة البروليتارية العالمية اليوم. و بإختصار شديد ، يتنكّر أنصار حركة الوطنيين الديمقراطيين لما سبق و أن دافعوا عنه من مقولات ثورية . فبعد رفعهم – إلى جانب آخرين- شعار الحركة الطلاّبية " القطيعة التنظيمية و السياسية مع النظام" ، لم يخجلوا من إعتبار رشيد عمّار و جيش دولة الإستعمار الجديد ، دولة البرجوازية الكمبرادورية/ البيروقراطية و الإقطاعية المتحالفين مع الإمبريالية ، جيشا وطنيّا و بذلك يطمسون المسألة الوطنية فى العمق.

فإذا كان هذا الجيش فى تونس وطنيّا و بالتالى إذا كانت الدولة التى هو عمادها الجوهري وطنية (**" يعتبر الجيش ، حسب النظرية الماركسية حول الدولة ، العنصر الرئيسي فى سلطة الدولة."**– ماو تسي تونغ " قضايا الحرب و الإستراتيجيا" 6 نوفمبر-تشرين الثاني 1938 ،المؤلفات المختارة ،المجلّد الثاني) ، ما الحاجة إلى ثورة وطنية ؟ و إذا ما أنجزت فى تونس " ثورة ديمقراطية إجتماعية " حسب الناطق الرسمي لهذه الحركة ، ما من حاجة إلى ثورة ديمقراطية ومن هنا ما عادت هناك حاجة فى النهاية إلى الثورة الوطنية الديمقراطية.

و هكذا يتمّ الإلغاء التام و الكلّي لضرورة الثورة الوطنية الديمقراطية و يتمّ إفراغ الوطنيين الديمقراطيين من مضمونهم ما يثير سؤالا منطقيّا و شرعيّا : لماذا إذن التمسّك بهذه التسمية " حركة الوطنيين الديمقراطيين" فى حين أنّ المهام المطروحة عليهم حسب تصريحاتهم قد أنجزت و الحال أنّه لم تعد هناك حاجة لا لثورة وطنية و لا لثورة ديمقراطية و لا لثورة وطنية ديمقراطية طبعا ؟

من الوطنية الديمقراطية لم يبق لهم سوى الإسم الذى لا يعبّر عن رؤيتهم للواقع و عن تطلعاتهم و أهدافهم فلينزعوه عنهم فيستريحوا و يريحوا و ليطلقوا على أنفسهم إسم " حركة الديمقراطية الإجتماعية " مثلا فيكونوا من الصادقين!

أمر هذه المجموعة قد يحيّر الكثيرين غير أنّه مفهوم تماما من طرف الذين يعلمون أن الحركة الماركسية- اللينينية التى قادها ماو تسى تونغ فى الستينات و السبعينات سعت فعلا لتعرية الأحزاب الكبرى و الأحزاب فى السلطة ،و ليس المجوعات أو المنظّمات، التى تحمل إسم الشيوعية و لا تملك من الشيوعية غير ذلك الإسم إذ هي فى الواقع تحريفية برجوازية لا غير؛ و الذين درسوا عن كثب الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و صراع البروليتاريين الماويين ضد التحريفيين الساعين لإعادة تركيز الرأسمالية فى الصين ، داخل الحزب الشيوعي الصيني ذاته ؛ و الذين درسوا بجدّية مسار التحولات الكمّية منها و النوعية التى شهدتها الدولتين الإشتراكيتين السوفياتية و الصينية من دولتين بروليتاريتين إلى دولتين برجوازيتين و التى شهدهما كلّ من حزب لينين وستالين، الحزب الشيوعي السوفياتي و حزب ماو تسى تونغ ، الحزب الشيوعي الصيني ، من حزبين بروليتاريين ثوريين إلى حزبين تحريفيين برجوازيين أعادا تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي بعد وفاة ستالين و فى الصين بعد إنقلاب 1976 ؛ و الذين يدركون فحوى مقولة ماو تسى تونغ فى مطلع النقطة الأولى من هذا المقال و يفهمون المادية الجدلية حقّ الفهم.

3- الإنتقائية و الإقتصادوية :

لقد تعامل قادة هذه الحركة مع علم الثورة البروليتارية العالمية ككل، والماركسية كأولى مراحله و اللينينية كمرحلته الثانية و الماوية كمرحلته الثالثة، بمنهج إنتقائي لا أكثر و لا أقلّ فحيث رغب الجماعة فى مهاجمة مجموعة أخرى أو تيّار أو حزب للظهور بمظهر الثورية لجؤوا إلى مقتطفات من كتابات رموز الشيوعية لا سيما ماركس و لينين غير أنّهم ما عادوا يتبنّون المثل العليا و المبادئ الشيوعية. إنّهم يتعاطون مع علم الثورة البروليتارية العالمية ببراغماتية ، يستغلّونه لأهداف و غايات نفعية ضيّقة لا من أجل نشر الشيوعية و النهوض بالمهام النظرية و العملية للمساهمة فى التقدّم بالثورة محلّيا وقوميّا و عالميّا ، من منظور بروليتاري ثوري و يمارسون بعد ذلك ما يحلو لهم بعيدا عن الماركسية- اللينينية.

و على سبيل المثال لا الحصر ، فى إحدى الوثائق الناقدة لحزب العمل الوطني الديمقراطي أيّام مساعي تأسيسه ، ثمّة إعتماد على مقولات لينينية لدحض الأطروحات التحريفية أصلا لمرتدّى " العود" الذين ما عادوا هم أيضا شيوعيين و لا وطنيين ديمقراطيين من منظور البروليتاريا. و لكن فى المدّة الأخيرة ، شاهدنا جماعة الحركة الوطنية الديمقراطية و خاصة ناطقها الرسمي يخبطون خبط عشواء و يتنكّرون أيّما تنكّر للينينية. ففضلا عن كونهم لم يطبّقوا المبادئ اللينينية فى بناء التنظيم الثوري و تسييره و موقفه البروليتارية ، يطعنون اللينينية بالترويج لمفاهيم

ديمقراطية برجوازية ، "ديمقراطية إجتماعية " غير طبقية و لدولة ليست أداة إضطهاد طبقي و لجيش دولة الإستعمار الجديد على أنّه جيش وطني إلخ.

" لا يمكن التحدث عن " الديمقراطية الخالصة" ، بل عن الديمقراطية الطبقية فقط (و نقول بين هلالين إنّ " الديمقراطية الخالصة" ليست فقط صيغة جاهلة تنمّ عن عدم فهم لنضال الطبقات و لجوهر الدولة على حدّ سواء ، بل هي أيضا صيغة جوفاء ولا أجوف، لأنّ الديمقراطية ، ستضمحلّ ، إذ تتطور فى المجتمع الشيوعي و تتحوّل إلى عادة ، و لكنها لن تصبح أبدا ديمقراطية " خالصة".) إنّ " الديمقراطية الخالصة" ليست سوى تعبير كاذب لليبيرالي يخدع العمّال."(لينين " الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي" ، صفحة 18، دار التقدّم موسكو ، الطبعة العربية).

و زيادة على هذا ، لعقود الآن ، تجذّر داخل المجموعة إنحراف إنتهازي يميني إقتصادوي إذ صبّوا جهودهم رئيسيا على المسائل المطلبية المباشرة للجماهير أي على الجبهة الإقتصادية و أولوا النزر القليل من الجهد – أو أغفلوا عمدا عامدين- للنضال على الجبهتين الإيديولوجية و السياسية فى تضارب تام مع ما عرضه بإقتدار لينين فى مؤلّفه المنارة الثورية " ما العمل؟". و بلغ بهم الأمر مثلما بلغ ب"الوطد" أن عقدوا تحالفات ليست فقط مشبوهة بل و رجعية صراحة مع البيروقراطية النقابية ذراع النظام الحاكم فى الحركة النقابية ، وذلك فى أكثر من موقع و من قطاع و من جهة (مثلا ، ما حصل فى الإتحاد الجهوي بتونس العاصمة أو فى المؤتمر الأخير للإتحاد...). و هذا ما يشهد به و شهده الكثيرون و لا يحتاج منّا إلى بيان.

و قد تحوّل عدد من المنتمين إلى هذه الحركة إلى مجرّد بيروقراطيين يسعون وراء السلطة و الجاه و المال و يعارضون بشراسة العمل الثوري الحقيقي أينما وجدوا. و لا غرابة فى أن تدير المجموعة بحركة بهلوانية ظهرها لسنوات من الدعاية المناهضة لعضو من المكتب التنفيذي للإتحاد العام التونسي للشغل كان من رموز ال"وطد" ، ليحتضنون و يضمّوه إلى صفوفهم على أنّه مناضل لا يشقّ له غبار! و بعد نقد لاذع لحزب العمل الوطني الديمقراطي الإنتهازي الشرعوي ، تقام المساعي حثيثة للتوحّد معه ! إنّما الطيور على أشكالها تقع !

4- الوطنية و الأممية :

فى الأصل ، كانت المجموعات الوطنية الديمقراطية تتبنّى الشيوعية هدفا أسمى و إيديولوجيا. و كما مرّ بنا أتت التسمية للتأكيد على طبيعة الثورة فى تعارض مع الأطروحات التروتسكية و التروتسكية الجديدة المتعلّقة بصدد طبيعة الثورة على أنّها " ثورة إشتراكية " او ديمقراطية وطنية كما يزعم البعض. ووطنية هذه المجموعات ، مرّة أخرى فى الأصل، نابعة من فهم الثورة الوطنية الديمقراطية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات كتيّار من تيّاري الثورة البروليتارية العالمية و تيارها الآخر هو الثورة الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية مثلما أوضحت ذلك وثيقة الحزب الشيوعي الصيني و على رأسه ماو تسى تونغ " إقتراح حول الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية" منذ بداية الستّينات ، فى إطار صراع محتدم مع خطّ التحوّل السلمي التحريفي المفضوح الذى كان يعتبر أنّ الإستقلال قد تمّ و لا ضرورة للثورة الوطنية الديمقراطية المناهضة للإمبريالية و الإقطاعية و البرجوازية الكمبرادورية / البيروقراطية و أنّ المطروح هو إستكمال الإستقلال السياسي بالإستقلال الإقتصادي لا غير.

و إضافة إلى تنكّرها للتاريخ العالمي و المحلّي و الإطار العام لنشأتها ضمن مجموعات وطنية ديمقراطية أخرى ، إختارت المجموعة التى ننقد أن تدير ظهرها إلى الحركة الشيوعية العالمية

برمّتها مطبّقة الإنعزالية فى أجلى صورها ذلك أنّها إنقطعت عن الإطلاع على الصراعات الدائرة داخل الحركة الشيوعية العالمية على النطاق العالمي و كأنّها ليست جزءا منها. و لم تساهم فى توضيح المسائل النظرية و محاور الصراع بين الماركسية و التحريفية عموما ثمّ بين الماركسية- اللينينية- الماوية و الخوجية و لم تساهم فى التصدّى للهجمة العالمية للإمبريالية والرجعية ضد الشيوعية (حملة "موت الشيوعية " منذ التسعينات) . ما فعلته هو مزيد التوغّل فى الإقتصادوية لتصبح جوهريّا مجموعة نقابية شغلها الشاغل الحصول على بعض المواقع مهما كلّفها الأمر و ظلّت أحيانا تصدر بين فترات متباعدة بعض النصوص المتفاوتة الأهمّية.

كمجموعة شيوعية فى الأصل ، لم تدرس الأدبيّات الشيوعية العالمية و التجارب الإشتراكية و الصراعات داخل المنظّمات الشيوعية العالمية و أرضياتها و ما إلى ذلك بما يعنى أنّها لم تسعى لتطوير المعرفة بالشيوعية كعلم و لم تربط علاقات أمميّة مع واحدة من عديد المنظّمات العالمية و تنخرط فيها من أجل النضال بغاية إيجاد منظّمة أممية للبروليتاريا العالمية. و بإختصار غاب الخطّ الأممي كلّيا لدى المجموعة مثلما غاب فهم الهدف الأسمى الشيوعية و الدفاع عنها و غاب إعتبار الثورة الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة تيارا من تيّاري الثورة البروليتارية العالمية كما غاب النضال من أجل التعريف بتجارب البروليتاريا و الثورات الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة و حرب الشعب فى أنحاء العالم منذ الثمانينات – مثال البيرو و الفليبين و النيبال و الهند إلخ .

تلاشى الخطّ البروليتاري بشتى جوانبه الإيديولوجية و السياسية و التنظيمية و أهيلت عليه جبال من التراب ليحلّ محلّه منذ عقود الآن خطّ ديمقراطي برجوازي لا وطني و لا ديمقراطي من وجهة النظر البروليتارية ، يمدح دولة الإستعمار الجديد و جيشها و يطمس المسألة الوطنية و يطمس المسألة الديمقراطية و جوهرها الثورة الزراعية و الأرض لمن يفلحها و المساواة بين المرأة و الرجل و الحريات السياسية للجماهير الشعبية و الدكتاتورية ضد أعداء الشعب داخليّا و خارجيّا. من أين لمثل هذا الخطّ التحريفي الإصلاحي أن يتناول تناولا ثوريّا الأممية البروليتارية و يكرسها فى الواقع الملموس؟

<u>خاتمة :</u>

لقد أثبتت تجارب البروليتاريا و الشعوب و الأمم المضطهدة عالميّا أنّ التحرّر الوطني الديمقراطي غير ممكن التحقيق بقيادة قوى دينية و لا بقيادة قوى قومية أو أية قوى أخرى عدا البروليتاريا و بأفق التمهيد للثورة الإشتراكية كجزء لا يتجزّأ من الثورة البروليتارية العالمية . هذه الحقيقة كانت تدافع عنها العديد من عناصر الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد فى الماضى البعيد الآن و كانت تنتقد الإصلاحية فى الثمانينات و لكن ها هي تتخلّى عن التحرّر الوطني الديمقراطي الحقيقي لا الوهمي و تضحى هي ذاتها إصلاحية تسعى جهدها لإصلاح دولة الإستعمار الجديد و خدمتها و النشاط فى إطارها لا الثورة عليها فإضطرّت بموجب تحريفيتها و إصلاحيتها هذه إلى التحالف مع الإصلاحيين و منهم حزب العمال التونسي و إلى تضليل المناضلين و المناضلات و الجماهير العريضة بشأن طبيعة الدولة و طبيعة جيشها وهي تصوّر الإنتفاضة على أنّها ثورة و الجيش العميل على أنّه جيش وطني و ما إلى ذلك من الترويج للوفاق الطبقي و التحوّل السلمي و المشاركة فى الإنتخابات المسرحية و إعتبار مؤسسات دولة الكمبرادور و الإقطاع بالتحالف مع الإمبريالية مؤسسات وطنية و الإعتراف بشرعية حكومة النهضة وقبلها المشاركة فى الهيئة العليا ... و التحالف مع البيروقراطية بشتى الطرق و مشاركتها بعض المواقع ...

على الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد تنسحب كلمات لينين المدوّية منذ أكثر من قرن :

" إنّ لكلمة برنشتاين المجنّحة :" الهدف النهائي ليس بشيء ، الحركة هي كلّ شيء " ، تعبّر عن طبيعة النزعة التحريفية خيرًا من عدد كبير من الشروحات المستفيضة . أن يحدّد المرء سلوكه تبعًا لأحداث الساعة ، لتغيرات الأمور السياسية الطفيفة ، أن ينسى مصالح البروليتاريا الجذرية و الميزات الجوهرية لمجمل النظام الرأسمالي و لكلّ التطوّر الرأسمالي ، أن يضحّي بهذه المصالح من أجل منافع وقتية ، فعلية أو مفترضة : تلك هي خطوط السياسة التحريفية ."

(لينين- الماركسية و النزعة التحريفية-)

هدف الشيوعيين الأصيلين لا المزيفين هو تحقيق الشيوعية كهدف أسمى. و على الشيوعيين أن يكونوا شيوعيين و ينشروا مبادئ الشيوعية لا الأوهام البرجوازية. وتتجسد الشيوعية في اشباه المستعمرات بالالتزام بمبدا الصراع الطبقي والنضال الوطني والتمسك بالقطيعة مع اجهزة نظام دولة الإستعمار الجديد والحفاظ على استقلالية البروليتارية الإيديولوجية و السياسية و التنظيمية و عدم التذيّل بأي شكل من الأشكال إلى البرجوازية عامة . و ما نستشفّه مما تقدّم هو أنّ الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد لا ينتمي إلى الشيوعية و الشيوعية منهما براء ، فالحزب الجديد بالأحرى حركة ديمقراطية برجوازية لا تختلف كثيرا عن " حزب العمل الوطني الديمقراطي [شق عبد الرزّاق الهمّامي]" و " الحزب الإشتراكي اليساري" و "حزب العمّال التونسي"... إلاّ فى جزء من التاريخ الخاص بكلّ منهم .جميعهم صاروا بالأساس مجموعات تحريفية إصلاحية برجوازية أو بكلمات أخرى مجموعات ماركسية مزيّفة . و لم تفاجئنا تحافاتهم الإنتهازية الماضية و لن تفاجأنا تحالفاتهم الإنتهازية القادمة أيضا.

كافة هذه المجموعات " اليسارية " ، إلى جانب " الحزب الوطني الإشتراكي الثوري –الوطد-، تشكيلات نكوصية رجعية حيث أنّها جميعا عوض أن تسعى لأن تكون طليعة المستقبل تلوى عنقها و مناضليها ومناضلاتها و الجماهير الشعبية إلى الخلف ، إلى الماضي ، إلى ما قبل الماوية لدي البعض و إلى ما قبل اللينينية أو إلى ما قبل الماركسية لدي آخرين ، بإختصار إلى الديمقراطية / الدكتاتورية البرجوازية للقرن الثامن العشر عوض ديمقراطية / دكتاتورية البروليتاريا المستقبلية كمرحلة إنتقالية نحوالشيوعية الهدف الأسمى للشيوعيين و الشيوعيات الحقيقيين. النكوصيون رجعيون بإنتقائية و براغماتية يلوّنون مشاريعهم البرجوازية بألوان "يسارية " ، "ماركسية " فيشوهون الشيوعية الحقيقية ، الشيوعية الثورية . إنّهم ماركسيون مزيفون .

و لا جدال فى أنّ القوى الرجعية سعت و تسعى دوما إلى إفساد الثوريين و الثوريات ، هذا أمر بديهي . و لا مناص من الإشارة إلى أنّ المسألة ليست مسألة شخصية بقدر ما هي مسألة خطّ بمعنى أنّها لا تتصل بنوايا البعض بقدر ما أنّ للخطّ الإيديولوجي و السياسي منطقه الخاص و نتيجة ما آل و يؤول إليه أمر حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد يحدّدها هذا المنطق ، لا تحدّدها النوايا التى قد تكون حسنة لدي ثلّة من أتباعه . و إلى ذلك، يهمّنا أن نلفت النظر إلى أنّ مسألة تحوّل الثوريين إلى تحريفيين إصلاحيين ليست جديدة على الحركة الشيوعية عالميّا و عربيّا و قطريّا و فضلا عن العامل الذى ذكرناه نشدّد أيضا على عامل أنّ التهاون فى الدفاع عن الشيوعية مبادئا و تجاربا تاريخية و فى المسك بأرقى تطوّرات علم الثورة البروليتارية العالمية لتفسير العالم و تغييره (أو إدارة الظهر لها من قبل القيادات خاصة عمدا لمآرب شخصية) يخلق ضبابا كثيفا لدي المناضلات و المناضلين فلا يستطيعون عبره الرؤية و صعود الجبال مرارا و تكرارا ليبلغوا القمم فتتفسّخ روحهم الثورية و يقعون فى حفر التحريفية فيقطّعوا

أوصال تعاليم الشيوعية الثورية و يصبحوا من عازفي ألحان الفكر البرجوازي المطلي بطلاء " يساري" فيستغلّهم أفراد أو أحزاب أو الدولة القائمة ذاتها ضد المشروع الشيوعي و العالم اللآخر الممكن ، العالم الشيوعي .

لذا نتوقف هنا لندعو النزهاء من أنصار هذا الحزب الذين يتطلّعون بحماس لأن يكونوا شيوعيين حقيقيين ينشروا الشيوعية إلى إمرين إثنين :

أولا ، أن يفكّروا مليّا فى مقولة ماو تسى تونغ التالية بشأن وجه من وجوه الأسلوب الشيوعي الثوري :

"على الشيوعيين كلّما واجهوا أمرا من الأمور أن يبحثوا عن أسبابه و دواعيه ، و أن يستخدموا عقولهم و يفكّروا بإمعان ليتبيّنوا هل الأمر يطابق الواقع و تؤيده مبرّرات سليمة أو لا ، و لا يجوز لهم بأي حال من الأحوال أن ينقادوا وراء غيرهم إنقياد الأعمى أو يشجّعوا العبودية."

و ثانيا ، أن يراجعوا الخطّ الذى ينتهجونه و يقيموا تاريخهم ومسارهم تقييما صحيحا من منظور بروليتاري و أن يرسموا لأنفسهم آفاقا ثورية لا إصلاحية و أن يختاروا عن وعي الإنحياز إلى البروليتاريا و الجماهيرالشعبية الكادحة و أن يتبنّوا علم الثورة البروليتارية العالمية لا الإيديولوجيا البرجوازية علما و أنّ هناك أفراد من ضمن هذه الحركة عشّشت فى أذهانهم و سلوكاتهم وممارساتهم التحريفية و ما من أمل بتاتا فى إصلاحهم.

و من البديهي أنّنا نرحّب بمساهمات أخرى تصبّ فى الإتجاه الذى رسمنا أي دفع النقاش و الجدال النظري لمزيد الوضوح السياسي و الإيديولوجي فى صفوف " اليسار" كما نرحّب بالنقد البنّاء من وجهة نظر بروليتارية و سنسعى للإستفادة حتى من النقد من أية وجهة نظر أخرى كانت على أن يلامس الحقيقة التى هي وحدها الثورية مثلما علّمنا لينين العظيم وشدّد على ذلك ماو تسى تونغ قائلا :

"على الشيوعيين أن يكونوا مستعدين فى كلّ وقت للتمسّك بالحقيقة ، فالحقيقة ، أية حقيقة ، تتفق مع مصلحة الشعب . وعلى الشيوعيين أن يكونوا فى كلّ وقت على أهبة لإصلاح أخطائهم ، فالأخطاء كلها ضد مصلحة الشعب ".

(" الحكومة الإئتلافية " ، 24 أبريل- نيسان 1945، المؤلفات المختارة المجلّد الثالث).
===